

المجلة الاجتماعية القومية

المجلد الخامس والأربعون — العدد الأول — يناير ٢٠٠٨

يصدرها

المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية

بالقاهرة

ISSN 0028-0026

المجلة الاجتماعية القومية

قواعد النشر

١ - المجلة الاجتماعية القومية دورية ثلث سنوية (تصدر فى يناير ومايو وسبتمبر) تهتم بنشر الأبحاث والدراسات والمقالات العلمية المحكمة فى فروع العلوم الاجتماعية المختلفة .
٢ - تتم الموافقة على نشر البحوث والدراسات والمقالات بعد إجازتها من قبل محكمين متخصصين .
٣ - تحتفظ المجلة بكافة حقوق النشر ، ولا تقبل المجلة بحوثا ودراسات سبق أن نشرت أو عرضت للنشر فى مكان آخر . كما يلزم الحصول على موافقة كتابية قبل إعادة نشر أية مادة منشورة فيها .
٤ - يفضل ألا يتجاوز حجم المقال ٢٥ صفحة كوارتو ومطبوعة على الكمبيوتر . ويقدم مع المقال ملخصان : أحدهما باللغة التى كتب بها المقال ، والثانى بلغة أخرى فى حوالى صفحة .
٥ - يشار إلى الهوامش والمراجع فى المتن بأرقام ، وترد قائمتها فى نهاية المقال .
٦ - تقوم المجلة أيضا بنشر عروض الكتب الجديدة والرسائل العلمية المجازة حديثا ، وكذلك المؤتمرات العلمية بما لا يزيد على ١٥ صفحة كوارتو .

سعر العدد والاشتراكات السنوية

ثمن العدد الواحد فى مصر ثمانية جنيهات ، وخارج مصر خمسة عشر دولاراً أمريكيا .
قيمة الاشتراك السنوى (شاملة البريد) فى داخل مصر ٢٠ جنيها ، وخارج مصر ٤٠ دولارا

المراسلات :

- ترسل جميع المراسلات على العنوان التالى :

رئيس تحرير المجلة الاجتماعية القومية .
المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ،
بريد الزمالك ، القاهرة ، مصر ، رقم بريدى ١١٥٦١

رقم الإيداع ١٦٥
المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية

المجلة الاجتماعية القومية

المجلد الخامس والأربعون — العدد الأول — يناير ٢٠٠٨

المصريــــون

صورتهم الذهنية لدى المواطن المصرى *

ناهد صالح **

نتناول فى هذه الورقة بعض نتائج استطلاع رأى هموم واهتمامات المواطن المصرى ، التى ترصد رأى المواطن المصرى فى المصريين بعامة ، وفى بعض فئاتهم الاجتماعية بخاصة ، وذلك من خلال وصفه لهم . وقد أوضحت هذه النتائج غلبة الصفات الإيجابية على السلبية بالنسبة للمواطن المصرى ، والمرأة المصرية ، والمرأة المصرية العاملة ، وأساتذة الجامعات ، بينما غلبت الصفات السلبية على فئات أخرى ، وفى مقدمتها فئات : الشباب ، والعمال ، والمدرسين ، ورجال الأعمال .

مقدمة

فى عام ١٩٢٢ نشر وولتر ليبمان Walter Lippmann مؤلفه القيم عن الرأى العام ، والذى قدم فيه – من خلال أجزائه الثمانية بفصولها الأربعة والعشرين – رؤية علمية رائدة ومتميزة ، توضح العلاقة بين الرأى العام والصور الذهنية النمطية Stereotypes لدى المواطنين ، وكيف تؤثر هذه الصور فى تشكيل وتحديد تقديرات ومواقف الرأى العام واتجاهاته [١].

* هذه الورقة العلمية جزء من نتائج استطلاع للرأى أجراه قسم بحوث وقياسات الرأى العام بالمركز بعنوان : هموم واهتمامات المواطن المصرى ، إشراف الأستاذة الدكتورة ناهد صالح ، وعضوية الأستاذة الدكتورة نجوى خليل ، والأستاذة الدكتورة هند طه ، والدكتور ماجد جورج ، والدكتورة هبة جمال ، والدكتورة مايسة جمعة ، والباحثات : جميلة المأمون ، وهويدا الدر ، وهند نبيل ، وهبة عاطف .

** أستاذ علم الاجتماع ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

المجلة الاجتماعية القومية ، المجلد الخامس والأربعون ، العدد الأول ، يناير ٢٠٠٨ .

وإذا كان الفضل يرجع إلى وولتر ليبمان فى إبداع المفهوم العلمى للصورة الذهنية النمطية ، وفى وضع تعريف محدد له ، فضلا عن المعالجة النظرية المتعمقة لتأثير هذه الصورة على الرأى العام ، فإن الاهتمام بالبحوث الميدانية التى ترصد واقع الصور الذهنية النمطية عن الشعوب ، والمواطنين ، والجماعات، والدول ، والمؤسسات ، والقادة ، والتى يعتمد على تحليل بياناتها فى الكشف عن العلاقة الارتباطية بين الرأى العام والصور الذهنية النمطية هذه ، جاء من جانب العديد من العلماء والباحثين المتخصصين فى العلوم الاجتماعية ، وخاصة فى مجال علم الاجتماع وعلم النفس والعلوم السياسية بعامة ، والمهتمين منهم ببحوث وقياسات واستطلاعات الرأى العام بخاصة ، والذين لم يقف اهتمامهم عند حد الكشف عن الصور الذهنية أو رصد معالمها ، ولكن امتد إلى العديد من الجوانب المنهجية ، سواء المتعلق منها بعملية الرصد هذه ، أو التى تتناول عمليات التحليل والفهم والتفسير [٢] .

وبجانب العلماء والباحثين ، أولى المشتغلون بالعمل السياسى والمعنيون به اهتماما خاصا بما تسفر عنه البحوث الميدانية التى تتناول الصور الذهنية النمطية لدى الشعوب أو المواطنين أو الجماعات من نتائج ، سواء عند وضعهم للسياسات أو اتخاذهم للقرارات ، أو عند محاولة فهمهم لمواقف الرأى العام واتجاهاته إزاء بعض السياسات والقرارات والمؤسسات والقيادات والجماعات . وقد واكب إدراك المشتغلين والمهتمين بالعمل السياسى فى الدول المتقدمة بالصور الذهنية النمطية اهتمام متزايد من جانب علماء العلوم الاجتماعية ، تمثل فى تكثيف جهودهم لفهم كيف تتكون وتترسخ الصور الذهنية النمطية ، ومن ثم كيف تتغير ، أو كيفية تغيير جوانبها السلبية ، وكيف تدعم ، أو كيفية دعم جوانبها الإيجابية [٣] .

هذا ، ولابد أن نشير – فى نهاية هذه المقدمة – إلى أن استقراء الأدبيات العلمية التى اهتمت بالصور الذهنية النمطية فى علاقتها بالرأى العام ، يوضح

لنا العلاقة بين الاهتمام بهذا الموضوع وديمقراطية النظام السياسى من جهة ، وبينه والتقدم العلمى الذى أحرزته قياسات واستطلاعات الرأى العام من جهة أخرى . ففى الدول الديمقراطية ، حيث يحتل الرأى العام موقعا متميزا فى النظام الديمقراطى ، وحيث أصبحت قياسات واستطلاعات الرأى العام بمثابة قياس ورصد لنبض الديمقراطية ، ومن ثم شغلت بجدارة موقع السلطة الخامسة ، تزدهر استطلاعات الرأى العام واستطلاعات آراء الجمهور العام ، التى من شأنها الكشف عن الصورة الذهنية النمطية لدى المواطنين عن العديد من القيادات ، والموضوعات ، والقضايا ، والمؤسسات ، وخاصة تلك التى ترتبط بالبنيان الديمقراطى للدولة وبسياساتها ، سواء الداخلية منها أو الخارجية [٤] .

منهجية رصد الصورة الذهنية للمصريين

تمثل الصور الذهنية للمصريين جزءا أساسيا من استطلاع الرأى الذى أجراه قسم بحوث وقياسات الرأى العام عن هموم واهتمامات المواطن المصرى [٥] ، وهو نمط من استطلاعات الرأى التى تجرى بصفة دورية على فترات زمنية متتالية .

ويشمل هذا الاستطلاع خمسة موضوعات أساسية : الموضوع الأول يتناول هموم واهتمامات المواطن المصرى ، على المستوى العام وعلى المستوى الخاص ، والثانى يتناول طموحات وإخفاقات المواطن المصرى ، والثالث يرصد الرضا والسعادة فى حياة المواطن المصرى . أما الموضوعان الأخيرين ، فأحدهما يتناول الصورة الذهنية لدى المواطن المصرى عن بعض مؤسسات الدولة ، والثانى يتناول الصورة الذهنية لدى المواطن المصرى عن بعض الفئات الاجتماعية ، وهو الموضوع الذى خصصنا له هذه الورقة العلمية .

وقد جمعت بيانات هذا الاستطلاع من عينة احتمالية متعددة المراحل ، تمثل المواطنين فى ثمانى عشرة محافظة من محافظات الوجه البحرى ومحافظات الوجه القبلى والمحافظات الحضرية ، وقد بلغ حجم العينة ٣٥٦٢ مواطنا ، بلغت

نسبة المقيمين منهم بالحضر ٥ر٥١٪ . وبالريف ٥ر٤٨٪ . وبلغت نسبة الذكور فى العينة ٧ر٤٨٪ ، ونسبة الإناث ٣ر٥١٪ . وبلغ متوسط أعمار أفراد العينة ٦ر٣٨ سنة بانحراف معيارى ٣ر١٥ سنة ، وقد بلغت نسبة من هم فى سن الشباب (من ١٨ سنة إلى أقل من ٣٠ سنة) ٨ر٣٥٪ ، وبلغت نسبة فئة متوسطى العمر (من ٣٠ سنة إلى أقل من ٦٠ سنة) ٢ر٥٢٪ ، فى حين بلغت نسبة من بلغت أعمارهم الستين سنة فأكثر ٨ر١١٪ . وكانت نسبة المتزوجين من أفراد العينة ٣ر٦٣٪ ، ونسبة الذين لم يسبق لهم الزواج ٦ر٢٦٪ ، فى حين بلغت نسبة الأرامل ٨ر٨٪ ، وانخفضت نسبة المطلقين إلى ٣ر١٪ . أما عن الحالة التعليمية ، فقد بلغت نسبة الأمية ٨ر٣٣٪ ، ارتفعت بين الإناث إلى ٣ر٤٣٪ ، وانخفضت بين الذكور إلى ٨ر٢٣٪ .

كذلك يلاحظ انخفاض نسبة العاملين بين أفراد العينة ، حيث بلغت ٣ر٣٦٪ ، ارتفعت هذه النسبة بين الذكور إلى ٢ر٦٤٪ ، فى حين انخفضت بين الإناث إلى ٨ر٩٪ . وقد أوضح رصد أسباب عدم العمل ارتفاع نسبة البطالة إلى ١ر١٣٪ بالنسبة للعينة الكلية . كما بلغت نسبة ربات المنازل ٧ر٣٥٪ ، ونسبة الطلبة ٦ر٧٪ ، وبلغت نسبة الحرفيين ٨ر١٢٪ ، تليهم نسبة الموظفين ٦ر٧٪ ، فالمهنيين المتخصصين ٢ر٦٪ ، فالمشتغلين بأعمال غير فنية وخدمية ، أما المشتغلون بالأعمال الحرة فقد بلغت نسبتهم ٢ر٣٪ .

وقد استخدم فى جمع بيانات الاستطلاع استمارة استبار ، جمعت بياناتها من أفراد العينة عن طريق المقابلة وجها لوجه Face to Face Interview ، باعتبار أنها الأداة الأكثر ملاءمة لجمع بيانات عن أسئلة مقننة من عينة قومية من الجمهور العام المصرى . وقد فرضت طبيعة الموضوعات التى تناولها الاستطلاع – فضلا عن بعض الاعتبارات المنهجية – اختيار نمط الأسئلة المفتوحة النهايات [٦] . وقد بلغ عدد أسئلة استمارة الاستطلاع ١١٢ سؤالا ، منها عشرون سؤالا تتناول الصور الذهنية : تسعة منها

عن الصـور الذهنيـة لبـعض مـؤسسـات الدولـة ، وأحد عـشـر سـؤالا عن الصـور الذهنيـة عن المواطن المصـرى وعن بعض الفـئـات الاجـتـمـاعيـة ، وهـذه المجـمـوعـة الأخيرة من الأسئلة هى التى تتناولها هذه الورقة العلمية .

وكانت الأسئلة الخاصة بالصور الذهنية أسئلة مفتوحة النهايات ، حيث كـان السـؤال يطرح باللغـة العـاميـة على النحـو الآتى : لو حـبـيت توصف ..... توصـفـه بإيه ؟ وكـان البـاحث الميداني يذكـر للمسـتـجيب المؤسسـة أو الفـئـة الاجـتـمـاعيـة فى مكان النقاط ، كـمـا كانت الإجـابات تكتب بنفس الكلمـات التى يجيب بها المستجيب ، والذى كان له الحق فى ذكر أكثر من صفة .

وقـد روعـى فى تصـمـيـم الأسـئلـة الخـاصـة بـالصــورة الذهنيـة بعض الاعتبارات ، فى مقدمتها أنه – وفى حدود علمنا – أول استطلاع للرأى يتناول الصورة الذهنية لعدد من المؤسسات بالدولة ومن الفئات الاجتماعية يجرى فى مصر ، وعلى عينة قومية تشمل حضر الجمهورية وريفها ، ومن ثـم كان من المهم عدم تحديد سـمات أو صفات معينة سلفا يسـأل المستجيب عن مدى اتصاف المؤسسة أو الفئة الاجتماعية بها ؛ حتى لا تغفل الإجابات صفات أخرى قد تكون لها أولويتها وأهميتها فى نظر المواطنين . وفضلا عن ذلك ، فإن صياغة الأسئلة هدفت – بجانب ضمان التلقائية فى الإجابات ، والحد من التحيز تجاه صفات بعينها ، والحد أيضا من تحيز الباحث ، الحصول على الإجابات بنفس الكلمات التى يعبـر بهـا المواطن عن الصـورة الذهنيـة لديه عن هذه المؤسـسـات أو تلك الفئات ؛ لما هو معروف عن دلالات الكلمة فى حد ذاتها . وقد جمعت بيانات استطلاع الرأى فى الفترة من سبتمبر ٢٠٠٢ إلى أكتوبر ٢٠٠٣ .

وقبل أن نعرض للصـور الذهنيـة للمصـريين ولفئـاتهم الاجـتـمـاعيـة لدى المواطن المصرى ، نشير إلى أن هذه الصور – بجانب كونها جزءا من استطلاع الرأى الذى يتناول هموم واهتمامات المواطن المصرى – هـى جزء مكمل لمجموعة الصـور الذهنيـة التـى رصـدهـا هـذا الاسـتـطـلاع ، والتى تتناول الصـور الذهنيـة

لبعض من أهم مؤسسات الدولة ، وهى : مجلس الشعب ، ومجلس الشورى ، والحكومة ، والإدارة المحلية ، والشرطة ، والقضاء ، والأحزاب - الحزب الوطنى وأحزاب المعارضة - والصحافة .

ونقتصر فى هذه الورقة على رصد الصور الذهنية لدى المواطن المصرى لفئات اجتماعية بالمجتمع ، فضلا عن صورة المصريين بعامة لديه ، هى فئات : الشباب ، والمرأة ، والمرأة العاملة ، وموظفى الحكومة ، والعمال ، والعمال الحرفيين ، والمدرسين ، وأساتذة الجامعات ، ورجال الأعمال ، ورجال الدين . وهى جميعها - كما نرى - فئات اجتماعية على قدر كبير من الأهمية ؛ فهى إما تحتل قطاعات عريضة فى المجتمع ، أو تقوم بدور أساسى وحيوى فيه ، أو تجمع بين الاثنين معا . وهى فئات بعضها ينتشر فى كافة طبقات المجتمع (الشباب ، والمرأة) ، وبعضها الآخر يندرج فى الطبقة الدنيا (العمال ، والعمال الحرفيون) ، وفى حين ينتمى البعض منها إلى الطبقة المتوسطة بشرائحها الثلاث *(المدرسون ، والموظفون بالحكومة ، وأساتذة الجامعة)* ، فإن البعض الآخر أصبح منتميا إلى الطبقة العليا فى المجتمع (رجال الأعمال) .

الصورة الذهنية للمصريين لدى المواطن المصرى

وقبل أن نتناول وصف المواطن المصرى لكل فئة من الفئات التى شملها استطلاع الرأى ، نبدأ برصد وصفه للمواطن المصرى ، أو بقول آخر مجموعة الأوصاف التى يصفه بها ، والتى تعكس الصورة الذهنية لديه عن المواطن المصرى بعامة ، بصرف النظر عن الفئة الاجتماعية التى ينتمى إليها .

١ - المواطن المصرى

"لو حبيت توصف المواطن المصرى توصفه بإيه ؟" كان هذا هو أول سؤال فى مجموعة الأسئلة التى طرحت على المواطنين الذين شملهم

استطلاع الرأى فيما يتعلق بوصف بعض الفئات الاجتماعية ، بجانب بعض المؤسسات بالدولة .

كان الهدف من طرح هذا السؤال هو معرفة الصورة الذهنية لدى المواطن عن المواطن المصرى بصفة عامة ، هل هى صورة تغلب على ملامحها الصفات الإيجابية ، أم أنها صورة تبرز الصفات السلبية ؟ ولعل أهم من كون هذه الصفات صفات إيجابية أم صفات سلبية ، هى معرفة طبيعة هذه الصفات ، وهذا ما تكشفه لنا قراءة الإجابات عن هذا السؤال .

لعل أول مايلفت نظرنا فى إجابات المواطنين هو غلبة الصفات الإيجابية على الصفات السلبية التى وصف بها المواطن المصرى ، حيث شكلت الأولى ٧٦ر٢٪ من الاستجابات ، فى حين شكلت الثانية ٢٢ر٩٪ منها، فى حين بلغت نسبة الاستجابات غير المحددة ٩ر٪ فقط . كذلك يلاحظ الانخفاض الملحوظ فى نسبة المواطنين الذين أجابوا عن هذا السؤال بلا أعرف أو بلا رأى (ر١٪) .

إذا نظرنا إلى الأوصاف التى تندرج تحت الأوصاف الإيجابية ، نجد أن المواطنين الذين أجابوا عن هذا السؤال بإبراز الجوانب الإيجابية فى وصفهم للمواطن المصرى ، وصفوا المواطن المصرى بالطيبة (٢١ر٣٪) ، وبالجدعنة (١١ر٩٪) ، وبأنه شخص مكافح (٨ر٥٪) ، وأنه على خلق ومخلص وأصيل ومحترم (٦ر٥٪) ، ومسالم وصبور وراض (٦ر١٪) ، وكريم وخير (٥ر٩٪) ، وشهم وشجاع ونبيل (٣٪) ، وأمين وشريف (٢ر٥٪) . كما تعددت الصور الإيجابية الأخرى التى عبر عنها المواطنون الذين شملهم استطلاع الرأى فى وصفهم للمواطن المصرى ، حيث أصبغت عليه صفات التعاون ، وتحمل المسئولية ، والذكاء ، والتدين ، وحبه لوطنه (٤ر٣٪) . فى حين اكتفت نسبة محدودة من الاستجابات (٢ر٨٪) بالتعبير عن الصورة الإيجابية التى رسمتها للمواطن المصرى ، بوصفه بأنه أحسن مواطن فى العالم . واكتفت نسبة ضئيلة أخرى بالإشارة إلى أن المواطن المصرى ظروفه

حسنة ، دون تحديد لهذه الظروف (٤ر٥٪) .

وإذا استعرضنـا الأوصـاف السلبيـة التى وصـف بها بعـض المواطنين – الذين شملتهم العينة – المواطن المصرى ، نجد أنها تغلب عليها الصفات التى تصفـه بأنه مواطن مـورس عليه الظلم والقهر : فـهو غلبـان (١٢ر٢٪) ، ومظلوم (٢ر٥٪) ، ومطحـون (٢ر١٪) ، ومـفلس ومـهـمـوم (١ر٥٪) ، بحـيث شكلت هذه الصفات جميعها (٨٠٪) من مجموع الصفات السلبية التى وصف بها المواطن المصرى . بجانب هذه الصفات التى تصوره باعتباره مواطنا خاضعا للظلم وللقهر ، فإن البعض ألحق به صفات أخرى ، منها : السلبية (٢ر٤٪) ، والكسل (٧ر٪) ، وأضيفت إليـها صـفـات سلبيـة أخـرى ، منهـا : التـواكل ، والجبن ، والاستغلال ، وما إلى ذلك من صفات سلبية (١ر٥٪) . ورغم ذلك يظل الجانب الإيجابى هو الغالب على صورة المواطن المصرى بالنسبة لغالبية المواطنين الذين شملهم استطلاع الرأى . ويظل جانب كبير من الصفات السلبية التى وصف بها المواطن المصرى صفات راجعة إلى القهر والظلم الذى مارسه – أو يمارسه – المجتمع عليه ، وليست صفات أصيلة فيه .

جدول (١)

صورة المواطن المصرى

الوصـــف	ك	٪
إيجابـى		
طيــــب	٨١٠	٢١ر٣
جـــدع	٤٥٢	١١ر٩
مكافــح	٣٢٤	٨ر٥
على خلق ومخلص وأصيل	٢٤٦	٦ر٥
صبور ومسالم وراض	٢١٤	٥ر٦
كريم وخير	٢٠٩	٥ر٥
شهم وشجاع ونبيل	١١٣	٣ر٠
شريف وأمين	٩٤	٢ر٥
أحسن مواطن فى العالم	١٠٠	٢ر٦
ظروفه حسنة	١٦٩	٤ر٥
صور إيجابية أخرى	١٦٢	٤ر٣

تابع جدول (١)

صورة المواطن المصرى

الوصف	ك	٪
سلبى		
غليان	٤٦٢	٢ر١٢
مظلوم	٩٤	٥ر٢
سلبى	٩٠	٤ر٢
مطحون	٧٩	١ر٢
مفلس ومهموم وأحواله غيرمستقرة	٥٩	٥ر١
كسول	٢٧	٧ر٠
صور سلبية أخرى	٥٨	٥ر١
وصف غير محدد	٣٣	٩ر٠
مجموع الاستجابات	٣٧٩٥	١٠٠
عدد المستجيبين	٣٥١٧	٧ر٩٨
لا رأى	١٨	٥ر٠
لا أعرف	١٨	٥ر٠
غير مبين	٩	٣ر٠
العينة الكلية	٣٥٦٢	١٠٠

٢ - المرأة المصرية

غلبت الصفات الإيجابية التى وصف بها المواطن المصرى المرأة المصرية على غيرها من الصفات ، حيث شكلت ٤ر٨٠٪ منها ، فى حين بلغت نسبة الصفات السلبية ١ر١٢٪ ، وشكلت الصفات المحايدة وغير المحددة ٥ر٧٪ فقط من كافة الصفات التى وصفت بها المرأة المصرية .

جاء وصف المرأة المصرية بأنها مكافحة فى مقدمة الصفات التى شكلت صورة المرأة المصرية لدى المواطن المصرى (١ر١٧٪) ، فى الوقت ذاته وصفت بالطيبة (٩ر١٢٪) ، وبالصبر (٦ر١٠٪) ، وبأنها على خلق (٨ر٥٪) ، وأصيلة (٨ر٤٪) ، وجدعة (٥ر٤٪) . كما ركزت بعض الصفات على بعض أدوار المرأة ، فهى أم عظيمة ، وزوجة تساعد زوجها فى الحياة (٧ر٤٪) ، وأنها "ست بيت" (٧ر٧٪) ، وحنونة ومعطاءة (٣ر١٪). واكتفى البعض بالقول بأنها "أفضل ست

فى الدنيا" (٤ر٤٪). وتعددت الصفات الإيجابية الأخرى للمرأة المصرية ، حيث وصفت بأنها محترمة ، وقنوعة ، وراضية ، وحمولة ، وأمينة ، وعفيفة ، وذكية ، وما إلى ذلك من الصفات التى عبر بها المواطن المصرى عن بعض ملامح الصورة الإيجابية للمرأة المصرية (٦ر٦٪) .

لم تشكل الصفات السلبية التى رسم بها المواطن المصرى بعض ملامح صورة المرأة المصرية سوى ١ر١٢٪ فقط من جملة الصفات التى حددت هذه الملامح . وجاءت غالبية هذه الصفات عاكسة قهر المجتمع للمرأة ، فهى : "غلبانة" و"تعبانة" (٣ر٦٪) ، ومظلومة (٨ر١٪) ، ومستغلة (٤ر١٪)، ومطحونة (٦ر٪). وفى الوقت نفسه وصمت المرأة بصفات سلبية أخرى (١ر٢٪) يعبر بعضها عن سماتها الشخصية ، منها أنها طماعة ، و "مفترية" ، وعنيدة ، ومتمردة ، ومهملة ، وكاذبة . ويشير البعض الآخر إلى أنها تفتقر إلى الوعى والتعليم والثقافة وما إلى ذلك من صفات سلبية تعكس تقصيرا من جانب المجتمع إزاء الارتفاع بوعى المرأة وبمستواها التعليمى والثقافى .

جدول (٢)

صورة المرأة المصرية لدى المواطن المصرى

الوصف	ك	٪
إيجابى		
مكافحة	٦٠٧	١ر١٧
طيبة	٤٥٨	٩ر١٢
صبورة	٣٧٥	٦ر١٠
ست بيت	٢٧٢	٧ر٧
على خلق	٢٠٧	٨ر٥
أصيلة	١٧٠	٨ر٤
أم عظيمة وزوجة عظيمة	١٦٥	٧ر٤
جدعة	١٦١	٥ر٤
أحسن ست فى الدنيا	١٥٦	٤ر٤
حنونة ومعطاءة	٤٦	٣ر١
صفات إيجابية أخرى	٢٣٣	٦ر٦

تابع جدول (٢)

صورة المرأة المصرية لدى المواطن المصرى

الوصـــف	ك	٪
سلبـــــى		
غلبانة وتعبانة	٢٢٢	٦ر٣
مظلومة	٦٢	١ر٨
مستغلة	٥١	١ر٤
مطحونة	٢٠	٠ر٦
صفات سلبية أخرى	٧٤	٢ر١
إجابات محايدة أو غير محددة	٢٦٧	٧ر٥
مجموع الاستجابات	٣٥٤٦	١٠٠
عدد المستجيبين	٣٥١٠	٩٨ر٥
لا رأى	٢٦	٠ر٧
لا أعرف	١٣	٠ر٤
غير مبين	١٣	٠ر٤
العينة الكلية	٣٥٦٢	١٠٠

٣ - المرأة العاملة

بعد أن عبر المواطن المصرى عن الصورة الذهنية لديه عن المرأة المصرية ، حاول الاستطلاع التعرف على ملامح الصورة الذهنية لديه عن المرأة العاملة ، هل يغلب على هذه الصورة الملامح الإيجابية أيضا ؟ أم أن هذه الملامح تراجعت لحساب الملامح السلبية لديه عنها ؟

إذا نظرنا إلى استجابات المواطنين المصريين الذين أعطوا وصفا للمرأة العاملة ، وقارناها باستجاباتهم بالنسبة للمرأة المصرية عموما ، نجد أنه رغم تراجع نسبة الاستجابات التى تعبر عن وصف إيجابى للمرأة العاملة عنه بالنسبة للمرأة المصرية عموما (من ٤ر٨٠٪ إلى ٧ر٧٣٪) ، فإن الملامح الإيجابية لصورة المرأة لاتزال هى الملامح الغالبة التى أبرزها المواطن المصرى أيضا بالنسبة للمرأة العاملة ، فى حين أن الملامح ذات الطابع السلبى لم تصل إلى خمس هذه الملامح (٧ر١٩٪) .

وإذا نظرنا إلى طبيعة الملامح الإيجابية لصورة المرأة العاملة ، نجد أن غالبيتها يشيد بدور المرأة العاملة وبأدائها فى مجال العمل ، فهى بجانب كونها مكافحة ومجتهدة (٤٤٫٧٪) ، وتعمل من أجل أسرتها ومساعدة زوجها (١٣٫٢٪) ، فهى فى عملها صبورة وحمولة ومتعاونة (٤٫٥٪) ، وهى واثقة من نفسها ومتفتحة وطموحة ومحترمة (٣٫٨٪) ، وتعطى العمل حقه ، ولا فرق بينها وبين الرجل فى العمل (٣٫٨٪) ، وهى امرأة عظيمة وأصيلة (١٫٧٪). وقد اكتفى البعض بالقول بأن المرأة العاملة أفضل من المرأة التى لا تعمل (٠٫٩٪) ، واكتفى البعض الآخر بالتعبير عن رضائه عنها بالدعاء لها "ربنا يكرمها" (١٫٣٪) .

أما عن الملامح السلبية البارزة فى صورة المرأة العاملة ، فهى وإن كانت لم تعكس سوى ١٩٫٧٪ من هذه الصورة – كما سبق أن ذكرنا– إلا أن غالبيتها تعبر عن قهر المجتمع لها ، فهى : "شقيانة ومطحونة" (٧٫٧٪) ، ومظلومة ومقهورة (٢٫٣٪) ، و"غلبانة وتعيسة" (١٫٥٪) ، و"متبهدلة" (٠٫٧٪) . وفى الوقت ذاته جاءت بعض الملامح السلبية التى تشير إلى أن عمل المرأة يكون على حساب أسرتها (٢٫٣٪) ، وأنها تأخذ فرص الشباب فى العمل (١٫٨٪) . وبعض الملامح السلبية الأخرى المحدودة التى وصفت المرأة العاملة بأنها ظالمة وكسولة وطماعة (١٫١٪) .

جدول (٣)

صورة المرأة العاملة لدى المواطن المصرى

الوصف	ك	٪
إيجابى		
مكافحة ومجتهدة	١٥٧١	٤٤٫٧
تعمل من أجل أسرتها ومساعدة زوجها	٤٦٤	١٣٫٢
صبورة وحمولة ومتعاونة	١٥٩	٤٫٥
واثقة من نفسها ومتفتحة وطموحة ومحترمة	١٣٢	٣٫٨
تعطى العمل حقه ولافرق بينها وبين الرجل فى العمل	١٣٢	٣٫٨
عظيمة وأصيلة	٥٨	١٫٧
دعاء للمرأة العاملة	٤٥	١٫٣
أفضل من التى لا تعمل	٣٠	٠٫٩

تابع جدول (٣)

صورة المرأة العاملة لدى المواطن المصرى

الوصف	ك	٪
سلبـــى		
شقيانة ومطحونة	٢٧١	٧ر٧
عملها على حساب أسرتها	١٦٢	٦ر٤
مظلومة ومقهورة	٨٠	٣ر٢
تأخذ فرص الشباب فى العمل	٦٢	٨ر١
غلبانة وتعيسة	٥٤	٥ر١
"متبهدلة"	٢٧	٧ر٠
صور سلبية أخرى	٣٧	١ر١
إجابة غير محددة أو محايدة	٢٣٣	٦ر٦
مجموع الاستجابات	٣٥١٧	١٠٠
عدد المستجيبين	٣٥٠٤	٤ر٩٨
لا رأى	٢٦	٧ر٠
لا أعرف	٢٤	٧ر٠
غير مبين	٨	٢ر٠
العينة الكلية	٣٥٦٢	١٠٠

٤- الشباب المصرى

على العكس تماما من الصورة الذهنية للمواطن المصرى التى حدد معالمها المواطنون الذين تم استطلاع آرائهم وأبرزت غلبة الملامح الإيجابية - وبشكل لافت للنظر- على الملامح السلبية ، جاءت الصورة الذهنية التى رسمها هؤلاء للشباب المصرى ، فقد جاءت هذه الصورة معبرة تماما عن الحالة السيئة التى يعيشها الشباب ، والتى حددت - بشكل واضح - الملامح المشوهة لهذه الصورة ، حيث انحصرت الملامح الإيجابية للصورة الذهنية للشباب المصرى فى ٧ر٩٪ فقط من هذه الملامح ، والتى لم تخرج عن وصفه بأنه : مجتهد (٩ر٣٪)، ومكافح (٥ر٢٪) ، وطموح (٢ر٢٪) ، وشجاع (٦ر٪) ، ونشيط (٥ر٪) .

وفى مقابل هذه الصفات الإيجابية المحدودة للغاية التى وصف بها الشباب المصرى ، جاء فيض الصفات السلبية (٩ر٨٣٪) التى تحدد ملامح الصورة الذهنية للشباب لدى المواطنين الذين تم استطلاع رأيهم ، لترصد القهر والظلم

الذى يقع على الشباب المصرى ، بما فى ذلك ظروف البطالة ، وحالة الضياع التى يعيشها ، فالشباب المصرى مظلوم ومغلوب على أمره (٣٠ر٥٪) ، وهو غلبان ومسكين (١٦ر١٪) ، عاطل ولا يجد عملا (١٢ر١٪)، فهو ضائع (٨٪) ، ومقهور ومطحون (٣ر٦٪) ، ظروفه صعبة وأحواله سيئة وأمله مفقود (٢ر٣٪) ، هو محتاج للمساعدة وربنا معه (٣ر٧٪) . وإذا كانت غالبية الملامح السلبية للصورة الذهنية عن الشباب المصرى ترصد - بشكل مباشر - مسئولية المجتمع عن هذه الملامح ، فقد جاءت نسبة محدودة من الأوصاف السلبية التى دمغ بها الشباب ، لتلقى بالمسئولية - بشكل مباشر - على الشباب نفسه ، فهو : غير مكافح (١ر٦٪) ، وفاسد (١ر٢٪) ، ولا يتحمل المسئولية (١ر١٪) ، فضلا عن وصفه بأنه طائش ومستهتر ولا يعرف مصلحته (٣٪) ، وما إلى ذلك من الصفات اللصيقة بالشباب نفسه ، وأيا كانت فهى لا تتجاوز نسبتها ٧ر٤٪ من الصفات التى وصف بها الشباب المصرى ، فى حين أن نسبة الصفات السلبية الأخرى التى ترجع إلى قهر المجتمع وظلمه للشباب وعدم الاهتمام به ارتفعت إلى ٧٦ر٥٪ .

وعموما ، لا يسعنا سوى القول بأنه إذا كانت الصورة الذهنية عن المواطن المصرى وعن المرأة المصرية وعن المرأة المصرية العاملة كانت - بشكل لافت للنظر- صورة مشرقة ، فإن الصورة الذهنية عن الشباب المصرى جاءت صورة قاتمة للغاية ، ترصد - بشكل صريح - حالة الضياع التى يعيشها الشباب ، وتشير - بشكل مباشر - إلى مسئولية المجتمع عن العديد من الملامح السلبية لهذه الصورة .

جدول (٤)

صورة الشباب لدى المواطن المصرى

الوصـف	ك	٪
إيجابـى		
مجتهد	١٣٦	٣ر٩
مكافح	٨٧	٢ر٥
طموح	٧٥	٢ر٢
شجاع	٢١	٠ر٦
نشيط	١٨٢١	٠ر٥
سلبـــــى		
مظلوم ومغلوب على أمره	١٠٦٠	٣٠ر٥
غلبان ومسكين	٥٦٢	١٦ر١
عاطل ولايجد عملا	٤٢٨	١٢ر٣
ضائع	٢٧٨	٨ر٠
محتاج لمساعدة وربنا معه	١٣٠	٣ر٧
مقهور ومطحون	١٢٥	٣ر٦
مستهتر وطائش ولا يعرف مصلحته	١٠٥	٣ر٠
ظروفه صعبة وأحواله سيئة وأمله مفقود	٨٠	٢ر٣
غير مكافح	٥٦	١ر٦
فاسد	٤٢	١ر٢
لا يتحمل المسئولية	٣٨	١ر١
صور سلبية أخرى	١٧	٠ر٥
صور محايدة أو غير محددة	٢٢٢	٦ر٤
مجموع الاستجابات	٣٤٨٠	١٠٠
عدد المستجيبين	٣٤٨٠	٩٧ر٧
لا رأى	٢٤	٠ر٧
لا أعرف	٣٧	١ر٠
غير مبين	٢١	٦ر
العينة الكلية	٣٥٦٢	١٠٠

٥ - العامل المصرى

كانت الصورة الذهنية للعامل المصرى التى عبر عنها المواطنون الذين تم استطلاع رأيهم صورة يغلب على معالمها الملامح السلبية ، ففى حين بلغت نسبة الأوصاف الإيجابية التى وصف بها العامل المصرى ١ر٢٨٪ ، ارتفعت الأوصاف السلبية إلى ١ر٦٤٪ . وإن كانت غالبية الأوصاف السلبية هذه لا تعبر عن

خصائص أو صفات سلبية فى العامل نفسه ، ولكنها ترصد الظلم والقهر والظروف السيئة التى تحيط به أو يخضع لها .

فالعامل المصرى غلبان ومسكين (٤١،٤٪) ، وهو مظلوم (٧،١٪) ، دخله قليل وغير ثابت (٥،٨٪) ، حياته شقاء ومعاناة (٥،٥٪) ، وهو يعانى من البطالة (١٪) ، وفى حاجة ماسة لرعاية الدولة (٦،٪) . أما الأوصاف السلبية الأخرى التى تتعلق بشخصية العامل المصرى وبسلوكه ، فلم تتجاوز نسبتها ٣،٧٪ من جملة الأوصاف السلبية التى وصف بها ، ويكاد ينحصر أغلبها فى وصفه بأنه : مهمل وسلبى (١،٩٪)، وجاهل (٢،٪) ، ومادى وجشع (٢،٪) .

أما الأوصاف الإيجابية التى وصف البعض بها العامل المصرى ، فقد كان أهمها وصفه بأنه : مكافح ومجد وطموح (٢١،٩٪)، وماهر وكفء (٦،٪) ، وذو ضمير (١،٦٪) ، فضلا عن أنه متواضع وقنوع (٢،٤٪) . وجاءت الأوصاف الإيجابية الأخرى لتعبر عن ملامح صورته من حيث ظروف ومستقبل عمله ، ومن هنا أكدت أن دخله مرتفع وأنه يحصل على حقوقه (٥،٪) ، وأن مستقبله مضمون (٨،٪) .

جدول (٥)

صورة العامل لدى المواطن المصرى

الوصف	ك	٪
إيجابى		
مكافح ومجد وطموح	٧٦٧	٢١،٩
متواضع وقنوع	٨٤	٢،٤
ذو ضمير	٥٦	١،٦
مستقبله مضمون	٢٧	٠،٨
ماهر وكفء	٢٠	٠،٦
دخله مرتفع ويحصل على حقوقه	١٦	٠،٥
أوصاف إيجابية أخرى	١٤	٠،٤

تابع جدول (٥)

صورة العامل لدى المواطن المصرى

الوصـــف	ك	٪
سلبـــى		
غلبان ومسكين	١٤٤٩	٤١٫٤
مظلوم	٢٤٩	٧٫١
دخله قليل أو غير ثابت	٢٠٢	٥٫٨
حياته شقاء ومعاناة	١٩٣	٥٫٥
مهمل وسلبى	٦٧	١٫٩
يعانى من البطالة	٣٤	١٫٠
فى حاجة لرعاية الدولة	٢٢	٠٫٦
مادى وجشع	٨	٠٫٢
جاهل	٨	٠٫٢
أوصاف سلبية أخرى	١١	٠٫٣
إجابة غير محددة أو محايدة	٢٧٣	٧٫٨
مجموع الاستجابات	٣٥٠٠	١٠٠
عدد المستجيبين	٣٥٠٠	٩٨٫٢
لا رأى	٢٢	٠٫٦
لا أعرف	٣٤	١٫٠
غير مبين	٦	٠٫٢
العينة الكلية	٣٥٦٢	١٠٠

٦ - العامل الحرفى

هل اختلفت صورة العامل الحرفى عن الصورة التى رسمها المواطنون الذين تم استطلاع رأيهم عن العامل المصرى عموما ؟

إذا استعرضنا ملامح الصورة الذهنية للعامل الحرفى لدى المواطنين الذين تم استطلاع رأيهم ، نجد أن الملامح السلبية هى الطاغية على هذه الصورة أيضا (٥٧٫٣٪) ، وإن كانت بشكل أقل حدة منها فى حالة العامل المصرى بصفة عامة ، ومع ذلك فهما يشتركان فى غلبة الملامح السلبية التى تعكس قهر المجتمع وظلمه للعامل المصرى ، سواء كان حرفيا أو غير حرفى . فالعامل الحرفى غلبان (٣٣٫٥٪) ، ومظلوم وحقه ضائع (٤٫٥٪) ، وتعبان ومطحون (٢٫٦٪) ، هو أرزقى ولا يجد عملا (٧٫٩٪).

أما الأوصاف السلبية المسئول عنها العامل الحرفى ، فقد وصف بأنه مستغِل (٤٪) ، وأنه بلا ذمة أو بلا ضمير (٧ر٪) ، وأنه مهمل فى عمله (٤ر٪) .

فى مقابل هذه الأوصاف السلبية فإن نسبة لابأس بها من المواطنين الذين تم استطلاع رأيهم (٦ر٣٣٪) رسمت صورة إيجابية للعامل الحرفى المصرى ، فهو : مكافح (٥ر١٢٪) ، ومجد ومجتهد فى عمله (٣ر٦٪) ، وماهر وكفء (٧ر٢٪) ، ويؤدى عمله بضمير (٣ر١٪) ، وما إلى ذلك من الأوصاف الإيجابية ، فى حين اكتفى بعض من هؤلاء بالإشارة إلى أنه أفضل من موظف الحكومة (٣ر٢٪) ، وأن دخله مرتفع (١ر٤٪) .

جدول (٦)

صورة العامل الحرفى لدى المواطن المصرى

الوصف	ك	٪
إيجابى		
مكافح	٤٢٧	٥ر١٢
مجدومجتهد فى عمله	٢١٤	٣ر٦
دخله مرتفع	١٣٩	١ر٤
ماهر وكفء	٩٦	٧ر٢
أحسن من موظف الحكومة	٧٧	٣ر٢
يساهم فى زيادة الإنتاج	٥٤	٦ر١
طيب ومحترم وراض بما له	٥١	٥ر١
يؤدى عمله بضمير	٤٤	٣ر١
صورإيجابية أخرى	٤٧	٤ر١
سلبى		
غلبان	١١٤٥	٥ر٣٣
أرزقى ولايجد عملا	٢٦٩	٩ر٧
مظلوم وحقه ضائع	١٥٤	٥ر٤
مستغل	١٣٧	٠ر٤
تعبان ومطحون	٩٠	٦ر٢
على قد حاله	٧١	١ر٢
ليس لديه ذمة أو ضمير	٢٥	٧ر٠
نادر وجوده	٢٠	٦ر٠
مهمل فى عمله	١٥	٤ر٠
أوصاف سلبية أخرى	٣١	٩ر٠

تابع جدول (٦)

صورة العامل الحرفى لدى المواطن المصرى

الوصف	ك	٪
إجابات غير محددة أو محايدة	٣١٢	٩ر١
مجموع الاستجابات	٣٤١٨	١٠٠
عدد المستجيبين	٣٤١٨	٩٦ر٠
لا رأى	٧٢	٢ر٠
لا أعرف	٦٣	١ر٨
غير مبين	٩	٠ر٢
العينة الكلية	٣٥٦٢	١٠٠

٧ - الموظف الحكومى

إذا انتقلنا من الصورة الذهنية لدى المواطن المصرى عن العامل المصرى إلى الصورة الذهنية لديه عن الموظف الحكومى ، نجد الصورة تبدو أكثر سوءا ، حيث انخفضت نسبة الصفات الإيجابية التى وصف بها الموظف الحكومى إلى ٤ر١٧٪ فقط ، فى حين ارتفعت نسبة الصفات السلبية إلى ٦ر٧٣٪ .

انحصرت الصفات الإيجابية التى وصف بها المواطنون الذين تم استطلاع رأيهم الموظف الحكومى فى أنه : مجتهد فى عمله وأنه مكافح (٣٪) ، وأمين وشريف ومخلص فى عمله (٢٪) ، ومحترم وصبور وذكى (٤ر١٪) ، وهى جميعها صفات لم تستحوذ إلا على نسبة ضئيلة من مجموع الصفات التى وصف بها الموظف الحكومى .

فى مقابل انخفاض نسبة الصفات الإيجابية نجد ارتفاع نسبة الصفات السلبية التى عكست - فى جانب منها - مسئولية المجتمع عن هذه الصورة السلبية ، وفى الجانب الآخر مسئولية الموظف الحكومى نفسه عنها. ففى الوقت الذى وصف فيه الموظف الحكومى بأنه فقير وغلبان و "على قد حاله" (١ر٣٣٪) ، ومطحون (٤ر٩٪) ، ومظلوم وحقه ضائع (٤٪) ، ووصف أيضا بأنه روتينى ويعقد الأمور (٤ر٩٪) ، واستغلالى وطماع وجشع (١ر٩٪) ، ومهمل وسلبى وكسول (٥ر٤٪) ، ولايعمل بضمير (٢٪) ، وفاسد ومرتشى (١ر١٪) .

جدول (٧)

صورة الموظف الحكومى لدى المواطن المصرى

الوصف	ك	٪
إيجابى		
مجتهد فى عمله	١٩٣	٥ر١
يكسب وهو مرتاح	١٥١	٠ر٤
مكافح	١١٣	٠ر٣
أمين وشريف ومخلص فى عمله	٧٦	٠ر٢
محترم وصبور وذكى	٥٤	٤ر١
راض بحاله	٣٨	٠ر١
طيب	٣٦	٩ر٠
سلبى		
فقير وعلى قد حاله	١٢٥٦	١ر٣٣
مطحون	٣٥٧	٤ر٩
روتينى ويعقد الأمور	٣٥٧	٤ر٩
استغلالى وطماع وجشع	٣٤٤	١ر٩
مهمل وسلبى وكسول	١٧٠	٥ر٤
مظلوم وحقه ضائع	١٥٣	٠ر٤
لايعمل بضمير	٧٥	٠ر٢
فاسد ومرتشى	٤١	١ر١
بطالة مقنعة ويفتقر للتدريب	٢٦	٧ر٠
أوصاف سلبية أخرى	١٧	٤ر٠
إجابات غير محددة أو محايدة	٣٤٣	٠ر٩
مجموع الاستجابات	٣٨٠٠	١٠٠
عدد المستجيبين	٣٤٤٢	٦ر٩٦
لا رأى	٣٢	٠ر١
لا أعرف	٦٩	٩ر١
غير مبين	١٩	٥ر٠
العينة الكلية	٣٥٦٢	١٠٠

٨ - المدرس

جاءت نصف الاستجابات تقريبا (٤٩٪) التى تصف المدرس المصرى فى غير صالحه ، وكانت فى مقدمة هذه الاستجابات وصفه بأنه مستغِل ، وصفة الاستغلال هذه كانت هى الصفة التى أجمع عليها مايقرب من ثلث المواطنين الذين شملهم استطلاع الرأى ممن حرصوا على إعطاء وصف للمدرس المصرى

(٣٢٫٥٪) ، بالإضافة إلى ذلك فهو – فى رأى البعض الآخر – جاهل ، ومهمل ، ولا مبالى ، ويسىء معاملة الطلبة ، وما إلى ذلك من الأوصاف السلبية (١٫٣٪) . فى الوقت ذاته جاءت بعض الملامح السلبية الأخرى لصورة المدرس المصرى دالة على مسئولية المجتمع عن تلك الملامح ، فالمدرس – فى رأيهم – مظلوم ومسكين ومغلوب على أمره (١٢٫٢٪) ، ويعيش ظروفا سيئة (٢٫١٪) ، ويحتاج إلى تدريب لرفع كفاءته (٫٣٪) .

ورغم قتامة الصورة الذهنية للمدرس المصرى التى عبرت عنها النسبة المرتفعة من الاستجابات ، فقد عكست نسبة لابأس بها منها (٢٨٫١٪) جوانب إيجابية فى هذه الصورة ، فقد حرص البعض على وصفه بأنه مرب فاضل ومعلم للنشء (٨٫٥٪) ، وأنه قدوة ومخلص ويستحق الاحترام (٤٫٥٪) ، وأنه إنسان مكافح (٣٫٩٪) ، بالإضافة إلى العديد من الصفات الإيجابية الأخرى التى تصفه – بجانب الصفات السابقة – بالنزاهة والصبر والعطاء وبالتعاون وبالجدية فى عمله (١٫٦٪) . بجانب حرص البعض على إبراز الجوانب الإيجابية هذه التى تعكس ملامح شخصية وسلوك المدرس المصرى ، حرص البعض الآخر على تأكيد ارتفاع دخل المدرس وحصوله على كافة حقوقه (٩٫٥٪) .

ومن اللافت للنظر بالنسبة لاستجابات المواطنين للسؤال الخاص بوصف المدرس ارتفاع نسبة من أعطوا إجابات غير محددة أو محايدة (٢٢٫٩٪)، وهى نسبة مرتفعة مقارنة بمثيلاتها فى حالة الفئات الأخرى التى سبق أن تناولناها .

جدول (٨)

صورة المدرس لدى المواطن المصرى

الوصف	ك	٪
إيجابى		
دخله مرتفع ويحصل على كل حقوقه	٣٢٠	٩٫٥
مرب فاضل ويعلم النشء	٢٨٨	٨٫٥
قدوة ومخلص ويستحق الاحترام	١٥٣	٤٫٥
مكافح	١٣٣	٣٫٩
أوصاف إيجابية أخرى	٥٣	١٫٦

تابع جدول (٨)

صورة المدرس لدى المواطن المصرى

الوصـــف	ك	٪
سلبـــى		
مستغـل	١٠٩٨	٣٢٫٥
مظلوم ومسكين ومغلوب على أمره	٤١٣	١٢٫٢
ظروفه سيئة	٨٩	٢٫٦
فى حاجة إلى تدريب	١٠	٠٫٣
أوصاف سلبية أخرى	٤٥	١٫٣
إجابة غير محددة أو محايدة	٧٧٣	٢٢٫٩
مجموع الاستجابات	٣٣٧٥	١٠٠
عدد المستجيبين	٣٣٧٥	٩٤٫٨
لا رأى	٩٠	٢٫٥
لا أعرف	٩٢	٢٫٦
غير مبين	٥	٠٫١
العينة الكلية	٣٥٦٢	١٠٠

٩ - أستاذ الجامعة

انخفضت نسبة الذين أجابوا عن السؤال الخاص بوصف أستاذ الجامعة إلى أقل من نصف عينة الاستطلاع (٤٥٫٥٪) ، ويرجع ذلك إلى أن نسبة مرتفعة من أفراد العينة ليس لديهم معرفة مباشرة بأساتذة الجامعة ، أو أن معرفتهم بهم ليست كافية لتكوين رأى أو إعطاء وصف لهم ، ومن هنا ارتفعت نسبة الإجابات التى تندرج تحت بند لا رأى وبند لا أعرف بشكل لافت للنظر عنها فى حالة الفئات الاجتماعية الأخرى التى سبق أن تناولناها.

على خلاف الصورة الذهنية للمدرس لدى المواطنين الذين رسموا معالم هذه الصورة ، والتى يغلب عليها الملامح السلبية ، جاءت الصورة الذهنية للأستاذ الجامعى مبرزة العديد من الملامح الإيجابية (٤٧٫٩٪) ، فقد وصف الأستاذ الجامعى بأنه : محترم (١١٫٥٪) ، وبأنه كفاءة عالية وخبرة واسعة (٩٫٩٪) ، وهو مرب فاضل (٩٫٧٪) ، ومخلص فى عمله (٥٫٨٪) ، وهو فضلا عن ذلك يمثل قيمة رفيعة وقدوة فى المجتمع (٦٪). وتعددت الملامح الإيجابية الأخرى التى

حددها بعض المواطنين الذين تم استطلاع رأيهم لصورة الأستاذ الجامعى ، حيث أكد البعض أهمية دوره فى المجتمع ومسئوليته الكبرى تجاهه . كما عدد البعض الآخر أنماط سلوكه التى تتسم بالانضباط وبالديمقراطية على حد قولهم ، وما إلى ذلك من أوصاف إيجابية أخرى (٥٪) .

ورغم غلبة الأوصاف الإيجابية على الأوصاف السلبية (٣٠٫٩٪) التى حددت صورة أستاذ الجامعة ، فإنه لم ينج من وصفه بأنه : مادى وجشع (٩٫٧٪) ، ومقصر (١٪) ، وظالم (٢٫٦٪)، وأن لا أحد يحاسبه وأنه يحتاج إلى رقابة (٢٫٣٪) ، فضلا عن وصفه بالغرور والغموض والهوائية وبالاستبداد واستخدام الوساطة والمحسوبية ، وسوء العلاقات مع زملائه ، وعدم تفاعله مع الطلبة وما إلى ذلك من الصور السلبية (١٫١٪) . فى الوقت نفسه حرص البعض على الإشارة إلى أنه مظلوم ومغلوب على أمره (١٫٢٪) .

جدول (٩)

صورة أستاذ الجامعة لدى المواطن المصرى

الوصف	ك	٪
إيجابى		
محترم	١٨٧	١١٫٥
كفاءة عالية وخبرة واسعة	١٦١	٩٫٩
مرب فاضل	١٥٧	٩٫٧
قدوة وقيمة رفيعة	٩٧	٦٫٠
مخلص فى عمله	٩٤	٥٫٨
صور إيجابية أخرى	٨١	٥٫٠
سلبى		
مادى وجشع	٣٤٦	٩٫٧
ظالم	٤٢	٢٫٦
فى حاجة إلى رقابة ، لا أحد يحاسبه	٣٧	٢٫٣
مقصر	١٧	١٫٠
مظلوم ومغلوب على أمره	٢٠	١٫٢
صور سلبية أخرى	٣٩	١٫١
وصف محايد أو غير محدد	٣٤٣	٢١٫٢
مجموع الاستجابات	١٦٢١	١٠٠
عدد المستجيبين	١٦٢١	٤٥٫٥
لا رأى	٩٦٣	٢٧٫١
لا أعرف	٩٧٣	٢٧٫٣
غير مبين	٥	٠٫١
العينة الكلية	٣٥٦٢	١٠٠

١٠ - رجال الأعمال

تميزت إجابات المواطنين عن السؤال الخاص بوصف رجال الأعمال عن إجاباتهم بالنسبة للعديد من الأسئلة التى تتناول الفئات الأخرى ، فقد ارتفعت نسبة من اندرجت إجاباتهم تحت بند لا أعرف أو لا رأى بشكل لافت للنظر ، حيث بلغت ٢٧ر١٪ ، وفى الوقت ذاته فإن ٢١ر٣٪ ممن أعطوا وصفا لرجال الأعمال جاءت أوصافهم محايدة أو غير محددة أو مراوغة . وقد ارتفعت نسبة المواطنين الذين وصفوا رجال الأعمال بأوصاف سلبية إلى ٥٤ر٥٪ ، فى حين انخفضت نسبة من وصفوهم بأوصاف إيجابية إلى ٢٤ر٢٪ ، علما بأن بعض هذه الأوصاف الإيجابية لم تكن تؤكد جوانب إيجابية فى شخصيتهم أو سلوكهم بقدر ما تصف حالتهم المادية والمعنوية ، من ذلك وصف رجال الأعمال بأنهم يجمعون بين المال والسعادة (١ر٩٪) ، أو بأنهم أصحاب مشروعات (٨ر٤٪) . فى حين جاءت بعض الأوصاف الإيجابية مؤكدة أنهم يمثلون العمل والتقدم (٩ر٣٪) ، وأنهم رجال خير (٧ر١٪) ، فهم يحترمون الوطن وأنفسهم فى الوقت ذاته (٥ر١٪) ، ويشاركون الحكومة (٩ر١٪) ، وهم عصاميون (٨ر٪) ، وطموحون (٥ر٪) ، ومحترمون وهم صفوة البلد (٧ر٪) ، وما إلى ذلك من الصفات الإيجابية الأخرى ، ومنها التى تشير إلى مسئولياتهم التى يقومون بها إزاء المجتمع بالنسبة لتوفير فرص العمل ومساعدة الشباب ومساهمتهم فى علاج المرضى (٣ر٪) .

وفى مقابل الصفات الإيجابية المحدودة التى وصف بها رجال الأعمال ، جاء العديد من الاستجابات معبرا عن الملامح السلبية الطاغية على الصورة الذهنية لرجال الأعمال لدى المواطنين المصريين . فهم – فى نظر البعض – لصوص (٤ر١٦٪) ، يهتمون بالأرباح وبمصالحهم فقط (٥ر٩٪) ، هم يحتكرون البلد (٧ر٨٪) ، ويتصفون بالجشع وبالاستغلال (٣ر٨٪) ، وبالغش وبالفساد وبالرشوة (٣ر٢٪) ، ليس لهم دور ، أو أن دورهم محدود (٤ر٢٪) ، ولم نر منهم ما يفيد البلد (٧ر٥٪) ، بجانب هذه الاستجابات التى رسمت ملامح سلبية محددة للصورة الذهنية لرجال الأعمال لدى العديد من المواطنين الذين تم

استطلاع رأيهم ، وصفهم البعض أيضا بأنهم مغامرون ، وجهلة ، وظالمون ، وأنهم يسعون إلى السيطرة على الحكم ، وأن أموالهم بالخارج ، وهم المسئولون عن ارتفاع الأسعار ، وأن أغلبهم ليس لديه ضمير ، وما إلى ذلك من الأوصاف السلبية الأخرى (٨ر٪) .

وعموما ، فإنه يمكن القول إن الصورة الذهنية لرجال الأعمال لدى المواطنين المصريين – الذين استطاعوا أن يحددوا بعض ملامح هذه الصورة – صورة قاتمة وإن كانت لا تخلو من بعض الومضات المضيئة .

جدول (١٠)

صورة رجال الأعمال لدى المواطن المصرى

الوصف	ك	٪
إيجابى		
لديهم المال والسعادة	٢٣٧	٩ر١
أصحاب مشروعات	١٢٤	٤ر٨
يمثلون العمل والتقدم	٨٦	٣ر٣
رجال خير	٤٤	١ر٧
يخدمون الوطن وأنفسهم	٤٠	١ر٥
يشاركون الحكومة	٣٣	١ر٣
عصاميون	٢٠	٠ر٨
محترمون وصفوة البلد	١٧	٠ر٧
طموحون	١٣	٠ر٥
صور إيجابية أخرى	٧	٠ر٣
سلبى		
لصوص	٤٢٥	١٦ر٤
يهتمون بالأرباح وبمصالحهم فقط	٢٤٦	٩ر٥
محتكرون البلد	٢٢٥	٨ر٧
الجشع والاستغلال	٢١٤	٨ر٣
لم نر منهم مايفيد البلد	١٤٧	٥ر٧
دورهم محدود أو ليس لهم دور	٦٢	٢ر٤
غش وفساد ورشوة	٥٩	٢ر٣
صور سلبية أخرى	٢١	٠ر٨
صورمحايدة أو غير محددة	٥٤٦	٢١ر٣
مجموع الاستجابات	٢٥٦٦	١٠٠
عدد المستجيبين	٢٥٦٦	٧٢ر٠
لا رأى	٥٢٣	١٤ر٧
لا أعرف	٤٦٦	١٣ر١
غير مبين	٧	٠ر٢
العينة الكلية	٣٥٦٢	١٠٠

١١ - رجال الدين

ما هى الصورة الذهنية لرجال الدين لدى المواطن المصرى ؟ لاشك أنه سؤال يثير الكثير من الاهتمام ، ويحث على التمعن فى إجابات المواطنين الذين طلب منهم إعطاء وصف لرجال الدين . لعل أول ما يلفت نظرنا فى الإجابات التى قدمها المواطنون عن هذا السؤال هو ارتفاع نسبة الاستجابات التى لم تقدم وصفا محددا لرجال الدين ، حيث بلغت ٤٦٫٦٪ من جملة الاستجابات ، وإذا أضفنا إلى المواطنين الذين لم يقدموا وصفا محددا لرجال الدين هؤلاء الذين امتنعوا من إعطاء وصف لهم ، أو ذكروا أنهم لا يعرفون ، نجد أنهم يشكلون معا ما يقرب من نصف المواطنين الذين شملتهم عينة الاستطلاع (٤٨٫٣٪) ، وهى نسبة مرتفعة للغاية تطرح العديد من التفسيرات التى قد تعكس الخشية من إبداء رأى ربما قد يكون رأيا سلبيا ، ويعزز ذلك أن نسبة الذين رسموا بعض الملامح السلبية لصورة رجال الدين لم تتجاوز ٧٫١٪ ، فى حين ارتفعت نسبة الاستجابات التى حددت ملامح إيجابية لرجال الدين إلى ٤٦٫٣٪ من مجموع الاستجابات . وقد أكدت غالبية الاستجابات الإيجابية أداء رجال الدين لدورهم فى المجتمع ، فهم يقومون بعملهم كما ينبغى (٩٫٩٪) ، وينصحون الناس ويدلونهم على طريق الهداية (١١٫٢٪) ، وهم يحافظون على الدين (٨٫٪) ، وعليهم مسئولية كبيرة فى المجتمع (٢٫٪) . كما أكدت نسبة كبيرة من الإجابات السمات الشخصية لرجال الدين ، فهم : ناس بتعرف ربنا (٤٫١٪) ، طيبون (١٫٨٪) ، بهم كل الصفات الحميدة (٤٫٨٪) ، وهم يقدمون الأساس الدينى والرأى السليم (٤٫٩٪) . كذلك يرى البعض أن مكانتهم كبيرة فى المجتمع (١٫٪) ، وأنهم عظماء وقدوة (٥٫٨٪) . وقد اكتفى البعض بالتعبير عن موقفه الإيجابى تجاه رجال الدين بالدعاء لهم (٨٫٪) ، والبعض الآخر بوصفهم بأنهم "ناس بركة" (٤٫٪) .

هذا ، وقد شكلت الصفات السلبية نسبة محدودة للغاية من الاستجابات ،

كما سبق أن ذكرنا ، حيث أشار البعض إلى أنهم لا يؤدون دورهم كما ينبغى (٢ر٣٪) ، أو أنه ليس لدورهم صدى فى المجتمع (٣ر١٪) ، وهم مغلوبون على أمرهم (٩ر٪) ، حريصون على الدنيا أكثر من الآخرة (٧ر٪) ، وهم منافقون (٥ر٪) ، متزمتون (٢ر٪) ، يحرمون ويحللون وفقا لمزاجهم (١ر٪) .

جدول (١١)

صورة رجال الدين لدى المواطن المصرى

الوصـــف	ك	٪
إيجابـى		
ينصحون الناس ويدلونهم على طريق الهداية	٣٨٦	٢ر١١
يقومون بعملهم كما ينبغى	٣٤١	٩ر٩
عظماء وقدوة	١٩٩	٨ر٥
الأساس الدينى والرأى السليم	١٦٧	٩ر٤
بهم كل الصفات الحميدة	١٦٥	٨ر٤
ناس بتعرف ربنا	١٤١	١ر٤
طيبون	٦٣	٨ر١
مكانتهم كبيرة فى المجتمع	٣٩	١ر١
يحافظون على الدين	٢٩	٨ر٠
الدعاء لهم	٢٩	٨ر٠
ناس بركة	١٥	٤ر٠
عليهم مسئولية كبيرة	٧	٢ر٠
صور إيجابية أخـرى	١١	٣ر٠
سلبـى		
لا يؤدون دورهم كما ينبغى	١١٠	٢ر٣
غير مسموعين	٤٥	٣ر١
مغلوبون على أمرهم	٣٢	٩ر٠
حريصون على الدنيا أكثر من الآخرة	٢٤	٧ر٠
منافقون	١٦	٥ر٠
متزمتون	٨	٢ر٠
يحرمون ويحللون وفقا لمزاجهم	٥	١ر٠
صور سلبية أخرى	٥	١ر٠
إجابـات محايـدة أو غير محـددة	١٦٠٢	٦ر٤٦
مجموع الاستجابات	٣٤٣٩	١٠٠
عدد المستجيبـين	٣٤٣٩	٥ر٩٦
لا رأى	٩١	٦ر٢
لا أعـرف	٢٧	٨ر٠
غـير مبـين	٥	١ر٠
العينة الكلية	٣٥٦٢	١٠٠

تعقيب

يتبين لنا – من رؤية المواطن المصرى ونظرته لبعض الفئات الاجتماعية – أن هناك بعض الفئات التى نجحت فى أن تغلب صفاتها الإيجابية على صفاتها السلبية فى الصورة الذهنية عنها لدى المواطن المصرى ، فى الوقت ذاته طغت الصفات السلبية على الصفات الإيجابية بالنسبة لفئات اجتماعية أخرى . ولعل الجدول الآتى يقدم لنا رؤية إجمالية عن النسب المئوية للأوصاف الإيجابية والسلبية التى أضفاها المواطنون الذين تم استطلاع رأيهم على بعض الفئات الاجتماعية .

جدول (١٢)

إجمالى الصفات الإيجابية والسلبية لبعض الفئات الاجتماعية وفقا لرأى المواطن المصرى

الصفات / الفئة	إيجابية	سلبية	غير محددة	مجموع الاستجابات	لا رأى + لا أعرف (بالنسبة للعينة الكلية)
المواطن	٧٦ر٢	٢٢ر٩	٠ر٩	٣٧٩٥	١ر٠
المرأة	٨٠ر٤	١٢ر١	٧ر٥	٣٥٤٦	١ر١
المرأة العاملة	٧٣ر٧	١٩ر٧	٦ر٦	٣٥١٧	١ر٤
الشباب	٩ر٧	٨٣ر٩	٦ر٤	٣٤٨٠	١ر٧
العامل	٢٨ر١	٦٤ر١	٧ر٨	٣٥٠٠	١ر٦
العامل الحرفى	٣٣ر٦	٥٧ر٣	٩ر١	٣٤١٨	٣ر٨
الموظف الحكومى	١٧ر٤	٧٣ر٦	٩ر٠	٣٨٠٠	٢ر٨
المدرس	٢٨ر١	٤٩ر٠	٢٢ر٩	٣٣٧٥	٥ر٥
أستاذ الجامعة	٤٧ر٩	٣٠ر٩	٢١ر٢	١٦٢١	٥٤ر٠
رجال الأعمال	٢٤ر٢	٥٤ر٥	٢١ر٣	٢٥٦٦	٢٧ر٨
رجال الدين	٤٦ر٣	٧ر١	٤٦ر٦	٢٤٣٩	٤٨ر٣

إذا نظرنا نظرة كلية إلى النسبة المئوية لكل من الصفات الإيجابية والصفات السلبية – دون فحص لهذه الصفات أو التمعن فيما إذا كانت المسئولية بالنسبة للصفات السلبية تقع على المجتمع أم على الأفراد أنفسهم المنتمين لهذه الفئة – يلفت نظرنا أن المرأة المصرية حظيت بأعلى نسبة من الأوصاف الإيجابية

(٤ر٨٠٪) ، وهذا يعكس رؤية إيجابية تجاه المرأة ، ولا يختلف الوضع كثيرا عنه بالنسبة للمرأة العاملة (٧ر٧٣٪) ، حيث حققت الملامح الإيجابية للصورة التى رسمها المواطن لها تفوقا ملحوظا على الملامح السلبية لهذه الصورة ، ونفس هذا القول ينطبق على الصورة الذهنية للمواطن المصرى بعامة ، حيث حظيت ملامحها الإيجابية بما يزيد على ثلاثة أرباع الصفات التى حددت هذه الملامح (٢ر٧٦٪) ، وينطبق أيضا على أساتذة الجامعات ، حيث شكلت الصفات الإيجابية ما يقرب من نصف الصفات التى وصف بها الأستاذ الجامعى (٩ر٤٧٪) .

وفى مقابل تلك الصور الإيجابية للمرأة وللمواطن المصرى وللمرأة العاملة ولأستاذ الجامعة ، نجد بعض الفئات الاجتماعية الأخرى فشلت فى أن ترسم صورة إيجابية لها فى ذهن المواطنين المصريين ، بحيث طغت الجوانب السلبية تماما على الجوانب الإيجابية ، يأتى فى مقدمة هذه الفئات فئة الشباب التى بلغت فيها نسبة الصفات السلبية ٩ر٨٣٪ ، وانحصرت الصفات الإيجابية فى ٧ر٩٪ من الصفات التى وصفوا بها ، ولا يختلف الوضع كثيرا عنه فى حالة فئة موظفى الحكومة ، حيث طغت أيضا الصفات السلبية (٦ر٧٣٪) على الصفات الإيجابية (٦ر١٧٪) . يلى هاتين الفئتين من حيث غلبة الصفات السلبية فى الصورة الذهنية لدى المواطن المصرى على الصفات الإيجابية فئة العمال (١ر٦٤٪) ، فالعمال الحرفيين (٣ر٥٧٪) .

يلاحظ بالنسبة لكافة الفئات الاجتماعية التى أشرنا إليها أن نسبة الصفات غير المحددة أو المحايدة كانت نسبة محدودة للغاية تراوحت بين ٩ر٪ و١ر٩٪ ، وكذلك أيضا كانت النسبة المئوية للمواطنين الذين اندرجت إجاباتهم تحت بند لا رأى أو لا أعرف ، حيث تراوحت نسبتهم ما بين ٠ر١٪ و ٨ر٣٪ من العينة الكلية ، وهو الأمر الذى يعطى قيمة لإجابات المواطنين الخاصة بوصفهم لتلك الفئات الاجتماعية التى تدل - بجانب معرفتهم بهذه الفئات - على قدرتهم

على تكوين رأى بشأنها ، عبروا عنه بأوصاف محددة لها ، سواء أكانت أوصافا إيجابية أم سلبية .

وعلى العكس من الفئات الاجتماعية السابقة ، تلفت بيانات الجدول السابق نظرنا إلى أن هناك بعض الفئات الاجتماعية الأخرى - بصرف النظر عن غلبة الصفات الإيجابية أو السلبية عليها - ارتفعت بها نسبة الإجابات المحايدة أو غير المحددة أو المراوغة ، حيث تراوحت ما بين ٢ر٢١٪ و ٦ر٤٦٪ ، وقد صاحب ذلك ارتفاع نسبى أيضا فى نسبة أفراد العينة الذين أجابوا بلا أعرف أو بأنهم لم يكونوا رأيا بشأنها يساعدهم على وصف هذه الفئات ، حيث ارتفعت نسبتهم بالنسبة لبعض الفئات إلى ٥٤٪ و ٣ر٤٨٪ .

يمكن تفسير ارتفاع نسبة الإجابات غير المحددة والمراوغة والمحايدة إما إلى عدم المعرفة الكافية لبعض المواطنين بهذه الفئات بشكل يمكنهم من إعطاء وصف محدد لها ، وإما خشيتهم من إعطاء وصف سلبى لها ، ومن ثم لجئوا إلى هذا النمط من الإجابات المطاطة أو المراوغة . فإذا كانت هناك بعض الفئات الاجتماعية مثل فئة أساتذة الجامعات يحتمل أن نسبة كبيرة من العينة ليس لديها معلومات كافية عنها (يرجح ذلك أن نسبة المتعلمين تعليما عاليا ٨ر١٥٪ من أفراد العينة فقط) ، فإن الموقف يختلف بالنسبة لبعض الفئات الأخرى المتغلغلة فى قطاعات عريضة فى المجتمع ، مثل فئة رجال الدين ، حيث بلغت نسبة الإجابات غير المحددة بالنسبة لهذه الفئة ٦ر٤٦٪ ، ونسبة الذين أجابوا بلا رأى أو بلا أعرف ٣ر٤٨٪ من العينة الكلية ، فى حين ارتفعت نسبة الصفات الإيجابية لمن أعطوا وصفا غير محدد أو مراوغا لرجال الدين إلى ٣ر٤٦٪ ، وانخفضت نسبة الصفات السلبية إلى أدنى مستوى لها ١ر٧٪ .

كذلك ، فإن الصورة الذهنية لرجال الأعمال تحتاج إلى بعض التمعن ، فهى رغم الارتفاع النسبى لنسبة الإجابات غير المحددة (٣ر٢١٪) ، وأيضا لنسبة المواطنين الذين أجابوا بلا أعرف أو بلا رأى ٨ر٢٧٪ من العينة الكلية ، إلا أن

تفسير هذا قد يختلف عنه بالنسبة لفئة رجال الدين ، فقد يرجع ذلك إلى عدم المعرفة الكافية فعلا بهذه الفئة ، بحيث لم يتمكن المواطنون من إعطاء وصف لها ، لا إلى الخشية من إعطاء وصف سلبى لها ، ومن هنا فإن أعلى نسبة من أوصاف هذه الفئة كانت أوصافا سلبية (٥ر٥٤٪) ، فى حين لم تصل نسبة الأوصاف الإيجابية إلى ربع الأوصاف التى وصف بها المواطنون الذين استطلع رأيهم هذه الفئة (٢ر٢٤٪) ، سواء أكانت أوصافا محددة أم غير محددة ومراوغة .

إذا كان الجدول الإجمالى السابق يحدد النمط العام الكمى للأوصاف التى وصف بها المواطنون الذين شملتهم عينة الاستطلاع بعض الفئات الاجتماعية من حيث كونها أوصافا إيجابية أو سلبية أو غير محددة .. إلخ ، فلا شك أن مضمون هذه الأوصاف ، أو جانبها الكيفى ، يحدد الكثير من أبعاد ما وراء هذه الصورة ذات الطابع الكمى ، وهو ما حرصنا على إبرازه بالنسبة لكل فئة على حدة ، مكتفين هنا بتسليط الضوء على الصفات الإيجابية والسلبية التى استحوذت على أعلى نسبة من الاستجابات بالنسبة لكل فئة من الفئات الاجتماعية التى شملها استطلاع الرأى .

فوفقا للنتائج التى عرضنا لها ، جاءت الصفات التالية فى مقدمة الصفات الإيجابية : المواطن المصرى طيب (٣ر٢١٪) ، المرأة المصرية مكافحة (١ر١٧٪) ، المرأة العاملة مكافحة ومجتهدة (٧ر٤٤٪) ، الشباب مجتهد (٩ر٣٪) ، العامل مكافح ومجد وطموح (٩ر٢١٪) ، العامل الحرفى مكافح (٥ر١٢٪) ، الموظف مجتهد فى عمله (١ر٥٪) ، المدرس دخله مرتفع ويحصل على حقوقه (٥ر٩٪) ، أستاذ الجامعة محترم (٥ر١١٪) ، رجال الأعمال لديهم المال والسعادة (١ر٩٪) ، رجال الدين ينصحون الناس وهم طريق الهداية (٢ر١١٪) .

إذا كان الكفاح والاجتهاد والجدية فى العمل كانت هى أهم الملامح الإيجابية بالنسبة لبعض الفئات الاجتماعية ، فإن وصف الفئات الاجتماعية "بالغلب" كان هو أهم الملامح السلبية السائدة بالنسبة للعديد من الفئات

الاجتماعية ، فالمواطن المصرى "غلبان" (١٢٫٢٪) ، والمرأة المصرية "غلبانة وتعبانة" (٦٫٣٪) ، والمرأة العاملة "شقيانة ومطحونة" (٧٫٧٪) ، أما الشباب المصرى فهو "مظلوم ومغلوب على أمره" (٣٠٫٥٪) ، والعامل "غلبان ومسكين" (٤١٫٤٪) ، وكذلك أيضا العامل الحرفى (٣٣٫٥٪) ، أما موظف الحكومة فهو "فقير وعلى قد حاله" (٣٣٫١٪) . ويختلف الوضع بالنسبة لفئات اجتماعية أخرى ، حيث جاءت فى مقدمة الصفات السلبية صفة معاكسة تماما للصفة السابقة ، وهى صفة الاستغلال ، فالمدرس مستغِل (٣٢٫٥٪) ، وأستاذ الجامعة مادى وجشع (٩٫٧٪) ، أما رجال الأعمال فهم لصوص (١٦٫٤٪) . فى حين أن أعلى نسبة فى الصفات السلبية - رغم ضآلتها - التى وصف بها رجال الدين هى أنهم لا يؤدون دورهم كما ينبغى (٣٫٢٪) .

وعموما ، فإذا كان التمعن فى كافة أبعاد الصور الذهنية لدى المواطن المصرى - سواء عن المواطن المصرى بعامة ، أو عن بعض الفئات الاجتماعية من المصريين - يبرز فى مجمله ، فى جانبها الإيجابى ، قيمة الكفاح والاجتهاد بجانب العديد من السمات أو الصفات الأخلاقية ، فإن نفس هذه الصور الذهنية فى جانبها السلبى تسلط الضوء على مسئولية المجتمع عن العديد من جوانب حالة التردى فى أحوال غالبية هذه الفئات ، والتى أدت إلى وصف المواطن المصرى ، لقطاعات عريضة فى المجتمع ، ولفئات عديدة به ، "بالغُلب" ، فى الوقت الذى وصفت فئات أخرى "بالاستغلال" .

المراجع والهوامش

١ - Lippmann, Walter (1922). *Public Opinion.* San Diego: Harcourt Brace Jovanovich.

٢ - Maassen, Gerard H. and De Goede, P. M. (1993). Stereotype Measurement and Comparison between Categories of People. *International Journal of Public Opinion Research.* Vol. 5. No. 3. 278-284.

٣ – Pavlovskaya, A. V. (2007). Russia and America: Problems of Cross-Cultural Communication: Russia through the Eyes of Americans from 1850 to 1880.

h*ttp://66.102.9.104/search.*

Huddy, Leonie. (2005). Stereotypes, in Best, Sammuel J. and Radcliff, Benjamin (eds.) *Polling America: An Encyclopedia of Public Opinion*. Greenwood Press. Westport. Connecticut. Vol. 2. 789-796.

Paul, A. M. (1998)). Where Bias Begins: The Truth about Stereotypes.

http://:psychologytoday.com/articles/index.

٤ – يكفى أن نشير هنا إلى الدور الذى قام به علماء العلوم الاجتماعية فى الولايات المتحدة ، سواء فى سك مفهوم الصورة الذهنية النمطية ، وتحديد أبعاده ، أو فى كم البحوث المنهجية التى تناولت كيفية رصد الصورة الذهنية ، وتلك التى قامت بتحليل وفهم وتفسير هذه الصورة ، ونجاح هؤلاء فى أن تصبح الصورة الذهنية النمطية أحد المعالم الأساسية فى المسوح التى تجرى على مستوى عالمى ، ومنها – على سبيل المثال – المسح العام العالمى General Social Survey (GSS) .

Huddy, Leonie, op. cit.

Davis, James A. and Smith, Tom W. (1992) *The NORC General Social Survey: A User's Guide.* Newbury Park: Sage Publications.

٥ – صالح ، ناهد (٢٠٠٨) . *هموم واهتمامات المواطن المصرى* . المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية . القاهرة .

نعنى هنا بالصورة الذهنية ، ما عبر عنه وولتر ليبمان بقوله The Pictures in our Heads . ولم نستخدم مصطلح الصورة الذهنية النمطية ، أو الجامدة ، أو الثابتة ، حيث إن الوصول إلى الصورة الذهنية النمطية هذه يستلزم إجراء العديد من البحوث أو استطلاعات الرأى على عينات قومية ، وعلى فترات زمنية متتالية ، قبل الجزم بوجود صور ذهنية نمطية أو ثابتة لدى الجمهور المصرى عن فئات الشعب المصرى أو عن المواطنين المصريين بعامة .

Lippmann, Walter (1991). *Public Opinion.* New Brunswick New Jersey: Transaction Publishers. 1-32.

وقد وضع وولتر ليبمان للفصل الأول من كتابه هذا ، العنوان الآتى : The World Outside and the Pictures in our Heads .

٦ – فى مقابل الميزات التى يتيحها استخدام الأسئلة مفتوحة النهايات فى مسوح واستطلاعات الرأى ، وفى مقدمتها ثراء البيانات وعدم التأثير على المستجيب ، سواء نتيجة لتحديد فئات الإجابة سلفا ، أو حصرها فى إجابات محددة ، فإن طول الفترة الزمنية التى تستغرقها عملية تصنيف الاستجابات وترميزها ، فضلا عن المهارة والدقة العلمية المتطلبة فى القائمين بها يعدان من أهم عيوب استخدام هذا النمط من الأسئلة ؛ لهذا يترك للباحث المفاضلة بين استخدام الأسئلة المفتوحة النهايات والأسئلة المغلقة النهايات .

انظر :

Schuman, Howard, and Presser, Stanley (1996). *Questions and Answers in Attitude Surveys: Experiments on Questions Form, Wording, and Context:* Sage Publications. pp. 79-112.

Abstract

THE EGYPTIANS:

THEIR STEREOTYPES AS DEFINED BY EGYPTIAN CITIZENS

Nahed Saleh

This paper presents some results of an opinion poll on the Egyptian citizen's concerns. One of the main parts of its questionnaire asked the respondent to give description of some social categories in Egypt such as: youth, women, working women, workers, manual workers, school teachers, university professors... besides, the egyptian ordinary citizen. The results indicated that, on the average, the respondents held a more favourable images of the egyptian citizen, women, working women, and university professors, at the same time, they gave passive characteristics to workers, manual workers, youth, school teachers and businessmen.

قلق المستقبل لدى الشباب

مظاهره وتداعياته

رؤية نظرية

آمال هلال*

تسعى هذه الورقة لإلقاء الضوء على طبيعة قلق المستقبل لدى الشباب ومظاهره المختلفة ، والآثار السلبية التى تمكن أن تنشأ مع تزايد حدة قلق المستقبل وانعكاساتها على المجتمع . وتحاول الورقة طرح رؤية نظرية لتحويل طاقة الشباب السلبية إلى طاقة بناءة تعمل على دفع عجلة التنمية داخل المجتمع ، وتخفف من حدة القلق لديهم .

مقدمة

يعد القلق ظاهرة نفسية واجتماعية مصاحبة للإنسان منذ مولده ، فضغوط الحياة والتغيرات المحيطة بالفرد تشعره بالقلق بصفة مستمرة ، فالبشر جميعا يعيشون القلق ، وقد يكون لأسباب تتعلق بالماضى أو بالحاضر أو بالمستقبل ، حيث تغيراته المتلاحقة التى تفوق قدرة الفرد على التنبؤ بما سيحدث فى المستقبل ، ومن ثم الاستعداد له . فالقلق هنا – كما تشير Eysenck – تكامل بين قلق الماضى والحاضر والمستقبل ، وأن الأحداث المحبطة فى الحاضر تبعث على الشعور بالقلق والخوف من المستقبل(١) . وبناء عليه ، يمثل القلق آلية من آليات السلوك الإنسانى ، والقليل منه مفيد فى دفع الفرد نحو بذل الجهد لتحقيق

* خبير أول ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

المجلة الاجتماعية القومية ، المجلد الخامس والأربعون ، العدد الأول ، يناير ٢٠٠٨ .

الطموحات ، إلا أنه يصبح خطرا عندما تزداد درجته عن المعدل الطبيعى ، إذ تفقد الفرد قدرته على مواجهة الضغوط المحيطة به ، ويصبح فريسة لمخاوف غير واقعية تعصف بإمكاناته ومواهبه .

وقد أكدت معظم النظريات المفسرة للقلق أن للبيئة التى يعيش فيها الفرد دوراً هاماً فى حدوث القلق ، وبخاصة إذا ما كانت تحتوى على عوامل التهديد والإحباط والتناقضات ، وقلة الفرص لتحقيق الذات ، وكثرة الضغوط النفسية وانهيار العلاقات الاجتماعية والقيم ، حيث يعترى الفرد - خاصة الشباب - التوتر والتوجس والخيفة ، وتوقع الفشل حينما يسعى لتحقيق ذاته وطموحاته المستقبلية [٢] . فيشير بعض الدراسات إلى زيادة حدة القلق لدى طلاب الجامعة ، على اعتبار أن بداية مرحلة الدراسة الجامعية تعد مرحلة انتقالية بين المراهقة والرشد ، ونهايتها مرحلة الاحتكاك الفعلى مع المجتمع . ففى هذه المرحلة يتأثر الشباب بالتغيرات التى تحدث فى المجتمع ، والتى قد تقف حائلا بين تحقيق متطلباتهم وآمالهم فى الحياة [٣] . كما أنها تتسم بقدر من التوتر والقلق تجاه المستقبل ، تختلف درجته من فرد لآخر تبعا لعدد من المتغيرات ، ووفقا لاختلاف السمات الشخصية . ففى هذه المرحلة يمر الشباب بتغيرات جسمية ونفسية ، ويعيش ما يسمى بأزمة الهوية والبحث عن الذات ، وتبدأ مرحلة التفكير والتخطيط للمستقبل ، واتخاذ القرارات الهامة فى الحياة ، مثل : اختيار المهنة ، والزواج ، وتحمل المسئوليات ، وبالتالى يزداد القلق تدريجيا مع الزمن . وتؤكد إحدى الدراسات التى أجريت على المجتمع الأمريكى أن المرحلة العمرية من (٢٠- ٢٩ سنة) تكون أكثر المراحل عرضة للقلق بسبب مستوى النضوج والخبرات السابقة عن النجاح والفشل ومدى تحمل المسئولية [٤] . ويشير طلعت منصور فى دراسته إلى ما يثيره التفكير فى المستقبل من قلق لدى المراهقين والشباب . فالشاب عندما يشعر بعدم الوضوح أو عدم تحديد المستقبل المهنى فإنه يستشعر إحباطاً وقلقاً على ذاته وعلى مستقبله ووجوده [٥] . فهذا القلق

الذى يعانيه الشباب له تأثير سلبى على شخصيتهم ، فقد يصاب - مثلا - بالاكتئاب ، وهذا ما أكدته دراسة أجريت على ١٤٠ طالبا مراهقا من طلاب الجامعات ، حيث تبين وجود ارتباط دال بين القلق وأعراض الاكتئاب ، كما تبين أن الطلاب الذين يتميزون بمستوى عالٍ من القلق يتميز سلوكهم بالخضوع وتجنب المواقف الاجتماعية [٦] .

يؤكد ما سبق على أن البيئة التى يعيش فيها الشباب تسهم إسهاما إيجابيا فى نشأة القلق ، فحينما تكون البيئة مليئة بالإحباطات والحرمان والتناقض والتهديد تجعله يستشعر الإحساس بالقلق ، وتفرز مناخا لنمو فقدان الأمان وظهور الاضطرابات النفسية . ففى استطلاع أجراه المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية عن هموم واهتمامات المواطن على مستوى الجمهورية ، والذى كان ضمن أهدافه رصد المشكلات التى يعانيها المجتمع والأفراد على المستوى الشخصى ، أظهرت النتائج التى استخلصت من عينة الشباب المصرى أن المشكلات الاقتصادية تتربع على رأس قائمة المشكلات ، وأن مشكلة البطالة من أخطر المشكلات على المستوى الشخصى والمجتمعى . وأن استفحال هذه المشكلة سوف يؤثر عليهم سلبا ويصيبهم بالسأم والملل والاكتئاب ، وربما يؤثر على جميع مجالات حياتهم [٧] . ومن ثم تزداد حدة القلق تجاه المستقبل ، وتصبح رؤيتهم للمستقبل أكثر تشاؤمية . ويشير سويف إلى أن البطالة تسبب للفرد عدة أضرار ، منها : الإرهاق الناجم عن السأم والملل وتضاؤل قيمة الشخص فى نظر نفسه ، وزحف مزيد من مشاعر الاكتئاب ، وفقدان الأمل مع زيادة مدة البطالة تظهر مظاهر سوء الصحة النفسية بوجه عام [٨] .

فكل الدلائل تشير إلى أن واقع المجتمع المصرى يعانى مشكلات حادة بسبب التغيرات الاجتماعية والاقتصادية المتلاحقة ، والتى تركت آثارها على أفراد المجتمع ، وخاصة الشباب . فالأزمات المتوالية داخل المجتمع (اقتصادية ،

اجتماعية ، أخلاقية) تقف حائلا دون تحقيق احتياجات متطلبات الشباب ، مما أسهم فى استثارة مشاعر الخوف والتشاؤم تجاه المستقبل ، أصبح مدعاة لظهور القلق تجاه المستقبل وسلوكيات غير سوية لها انعكاساتها السلبية على المجتمع .

أهمية الموضوع والهدف منه

يعد المستقبل مكونا رئيسيا وأساسيا لسلوك الإنسان ، فالقدرة على بناء أهداف شخصية بعيدة المدى ، والعمل على تحقيقها هى صفة مهمة للكائنات البشرية ، كما أن عدم القدرة لدى البعض على إنجاز الخطط بعيدة المدى يرتبط بالافتقار إلى منظور زمن المستقبل [٩] . فالإنسان بما وهبه الله من قدرات وإمكانات عليه أن ينظر إلى المستقبل لتخطيط حياته وفقا لهذه الإمكانات والقدرات ، ويحاول تحسين أوضاعه للوصول لمستقبل أفضل ، ولكن إذا زادت درجة القلق والخوف من المستقبل فإن هذا يسهم فى إحداث العديد من الاضطرابات النفسية لدى الأفراد والسلوكيات غير السوية . فقد أوضحت دراسة زاليسكى أثر الاتجاه الإيجابى والسلبى نحو المستقبل على سلوك الأفراد ، إذ تبين أن الاتجاه الإيجابى نحو المستقبل يساعد الفرد فى التغلب على الصعوبات والعقبات التى تواجهه ، فى حين أن الاتجاه السلبى نحو المستقبل هو أساس سوء التكيف والاضطراب الوجدانى ، وكلا الاتجاهين – الإيجابى والسلبى – له تأثير على المستقبل [١٠] .

وقد أطلق توفلر Toffler مصطلح "صدمة المستقبل" على اعتبار أن العصر الحالى يخلق توتراً خطيرا بسبب المطالب المتعددة لاستيعاب تغيراته والسيطرة عليها ، واستنتج أن كثيرا من الأفراد يعانون صدمة المستقبل [١١] . ويمثل قلق المستقبل عبئا نفسيا ذا تأثيرات سلبية على مختلف الجوانب النفسية والسلوكية والاجتماعية ، كما أنه يعد من أقوى الضغوط المؤثرة على كثير من الشباب والمراهقين ، والتى تؤثر سلبا على المجتمع وتنميته [١٢] .

ويشكل الاهتمام بالمستقبل والتفكير فيه والتخطيط له إحدى الأولويات المهمة فى حياة الشباب ، فهناك العديد من التساؤلات تثار فى أذهانهم تتعلق بمستقبلهم الذى سيترتب عليه اتخاذ قرارات مصيرية فى حياتهم ، وهذا ما دفع العلماء إلى الاهتمام بعلم استشراف المستقبل Futurelogy ، الذى يعبر عن نظرة تقدمية إيجابية نحو ما هو قادم . ويؤكد أبو بكر مرسى أهمية البعد المستقبلى فى تحديد هوية الشباب ، وقدرتهم على الإنجاز والتخطيط لأهداف مستقبلية ، فالشباب الذين يعيشون فى ظل أزمة البحث عن الهوية يفتقرون إلى وجود ذلك البعد المستقبلى [١٣] . فى ضوء هذا تلعب النظرة المستقبلية - سواء كانت إيجابية أو سلبية - دورا مهما فى تحديد مدى القدرة على اجتياز أزمة الهوية لدى الشباب المراهق . وقد توصل عاشور دياب فى دراسته إلى مجموعة من الأسباب المسئولة عن الشعور بالقلق المستقبلى للشباب ، ومنها : عجز الفرد فى الحاضر يعطى مؤشراً لصعوبة حياته المستقبلية ، والطموحات الزائدة وعدم التناسب بين الإمكانات والطموحات ، والمواقف والمتغيرات المجتمعية ، وضغوط الحياة وصراعاتها، وغيرها [١٤] . ويتسق هذا مع ما تشير إليه دراسة فيلين Flynn من أن أحداث الحياة الضاغطة لها تأثيرها السلبى على التوجه المستقبلى للأفراد [١٥] .

يتضح مما سبق أن الحديث عن المستقبل يربطنا مباشرة بفئة الشباب ؛ ويرجع ذلك إلى أنهم يمثلون المستقبل ، فهم المرآة التى نتطلع من خلالها لما سيؤول إليه المجتمع . فالشباب يمثل قطاعا كبيرا فى البناء السكانى المصرى ، إذ تشكل الفئة العمرية التى تقع ما بين ١٥-٣٠ سنة حوالى ٣ر٣٤٪ من إجمالى عدد السكان [١٦] ، مما يشير إلى أن البنية السكانية تعد بنية شابة . ولا تقتصر أهمية هذا القطاع على الحجم فقط ، وإنما تنبع من أهمية الدور المنوط بهم القيام به فى المستقبل لتحقيق أهداف التنمية والنهوض بالمجتمع .

فالشباب هم الموارد البشرية لأى مجتمع ، ومن أهم العناصر الأساسية

لإحداث التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، فالفروق بين المجتمعات هى فى كيفية استغلال هذه الموارد البشرية . كما أنهم يمثلون العمود الفقرى للقوى البشرية فى أى مجتمع ، ولكنهم فى ذات الوقت الشريحة الأكثر حساسية وتأثراً بتغيرات المجتمع وأزماته ومشكلاته وتقلباته ، وأكثر عرضة للضغوط الحياتية فى السياق الاجتماعى الذى يعيشونه ، وبالتالى فهم الأكثر عرضة لأن تظهر عليهم ظواهر عديدة إيجابية أو سلبية ، سوية أو منحرفة ؛ نتيجة لفاعلية متغيرات صادرة عن الصعيد القومى أو الإقليمى أو العالمى . فالشباب يعيش الحاضر بأزماته ، وتتشكل شخصيته بمناخ العصر ومعطياته [١٧] . هذا بالإضافة إلى حساسية المرحلة العمرية التى تتسم بالتغيرات الفسيولوجية والنفسية التى تؤثر– بلا شك – فى تكوين الشخصية ، فهى مرحلة تتميز بسرعة التغير النوعى الذى لا يترك للبعض فرصة كافية لإعادة التنظيم والتكيف ومواجهة السلبيات ، وبالتالى فهى فترة تضطرب فيها الشخصية ، وترتفع فيها درجات القلق والتوتر. فهى مرحلة البحث عن الهوية وتأكيد الذات وترسيخ القيم [١٨] ، وأن ما يعترى الشباب من صراعات وإحباطات وليد التفاعل المتبادل بين التغيرات البيولوچية والنفسية والتغيرات المجتمعية التى يعايشها .

وقد أطلق البعض على عصرنا الحالى عصر القلق ؛ نظراً لما يعانيه الشباب من اضطرابات فى المنظومة الاجتماعية التى تشكل حياتهم ، فإن ما طرأ على المجتمع من تغيرات فى كافة نواحى الحياة أحدث اختلالات هيكلية فى القطاع الاقتصادى نشأ عنها مشكلات عديدة ، منها : ارتفاع تكاليف المعيشة ، وتنامى القطاع غير الإنتاجى ، وتقلص فرص العمل أمام الشباب وزيادة معدلات البطالة . وأصبح المجتمع عاجزاً عن إشباع احتياجات الشباب وحل مشكلاتهم ، فتكونت شخصيات رافضة للمجتمع متمردة عليه ، تفقد الإحساس بالانتماء لهذا المجتمع الذى لا يمنحهم حق الحياة . هذا بجانب اختلال المنظومة القيمية التى حدثت نتيجة التقدم فى تكنولوجيا الاتصالات وعصر السماوات المفتوحة

والفضائيات التى جعلت العالم قرية صغيرة ، تنتقل خلالها الأفكار والثقافات بين الدول ، فتداخلت الثقافات ، وتضاربت القيم ، واحتدم الصراع بين القديم بقيمه وعاداته والجديد بحرياته وانفتاحاته ، مما أدى إلى تصدع فى النسق القيمى ، وسيادة النظرة المادية وما تحمله من مبادئ وقيم نفعية . من هذا المنطلق يمكن القول إن الشباب يعيش فى عصرنا الحالى عدة مفارقات ، منها المفارقة بين الواقع المعاش والواقع المسموع أو المرئى ، فالشباب يشعر بأنه يعيش فى عالمين : العالم الذى يحيا فيه ، والعالم الذى يشاهده على الفضائيات . وهناك أيضا المفارقة بين التطلعات والأحلام ، وبين القدرات والإمكانات ، وبين الرغبة فى الإنجاز والعجز عن التنفيذ نظرا للمعوقات المجتمعية المحيطة به . الأمر الذى انعكس على فكره وأدى إلى اضطرابه وجدانيا ، وافتقاده الإحساس بالهوية ، وافتقاده الرؤية الصحيحة للحياة المستقبلية ، مما أثر فى قدرته على الاختيار والتخطيط السليم لمستقبله ، فبدأ يشعر بفقدان الأمن والتوتر والقلق على مستقبله . وكما يشير نعومى Naomi إلى أن قلق المستقبل يزداد تدريجيا بتزايد تقدم المجتمعات الحديثة ، وتعقد الحياة فيها ، وتزايد التغيرات وتلاحقها بصورة تفوق قدرتنا على التنبؤ ؛ لذا يجب التهيؤ والاستعداد لها لكى لا تفقد قدرتنا على التكيف معها ، ونحد من قدر قلقنا نحوها ، ونحوله إلى قلق بناء يدفعنا إلى الإنجاز بدلاً من أن يدفعنا لليأس والانسحاب الكلى من الحياة [١٩] .
ويؤكد على هذا ما توصلت إليه الدراسات التى أجريت على مجموعات من الشباب من الجنسين لمعرفة رؤيتهم نحو المستقبل ، إذ تبين أن الشباب يعيش حالة من القلق على حياته ومستقبله ، ونظرته متشائمة نحو المستقبل بسبب عدم قدرته على تحقيق أهدافه ، وكثرة العوائق التى تحول دون تحقيق طموحاتهم [٢٠] .
وقد أفادت الدراسات التى أجريت على التوجه المستقبلى – أو قلق المستقبل لدى الشباب – بتزايد النظرة المستقبلية التشاؤمية لدى الشباب ، وارتفاع مستوى القلق تجاه ما سيأتى به المستقبل من تغيرات على جميع المستويات ،

وأن هذا النوع من القلق المسمى بقلق المستقبل يرتبط بالخوف من المخاطر والمشكلات الاجتماعية المستقبلية والتوقعات السلبية لكل ما يحمله المستقبل من أحداث[٢١] .

وإذا كان قطاع الشباب يقع عليه عبء جهود تنمية المجتمع وعبء التغيرات والتحولات فى كافة مناحى المجتمع ، فلا بد وأن تتاح له الفرصة للقيام بهذا الدور من خلال إزالة العوائق التى تحول دون تحقيق إشباعاته وطموحاته المستقبلية ، واستثمار طاقاته بشكل واعٍ ومستنير ؛ حتى لا تصبح هذه الفئة قوة اجتماعية مليئة بمشاعر الإحباط والتوتر والقلق والاغتراب واليأس ، وهى بيئة خصبة للسلوكيات المنحرفة والمتمردة التى تنعكس على المجتمع سلبيا .

فى ضوء ما سبق ، تنهض مشكلة الدراسة على فرضية أن الشباب الذى يعانى التوتر والقلق تجاه المستقبل ، وذا نظرة تشاؤمية نحو ما يحمله المستقبل من أحداث ، ويشعر بعجز المجتمع عن حل مشكلاته وإزالة العوائق التى تحول دون تحقيق طموحاته وأحلامه ، يصبح طاقة سلبية كامنة مليئة بمشاعر اليأس والاغتراب والإحباط .

فالتغيرات والأحداث السريعة والمتلاحقة التى حدثت على المستويين العالمى والمحلى غيرت وجه العالم ، وأفرزت ما يمكن أن نطلق عليه مجتمع المخاطر الذى يتسم بالشك وانعدام الرؤية وصعوبة التنبؤ بتغيراته ، فأصبح الغد فى ظل هذا المجتمع غير مأمون ، وبدأ الأفراد يشعرون فى إطاره بالقلق تجاه مستقبلهم ، وخاصة الشباب الذين يمثلون هذا الغد ، فتشكلت ثقافة الخوف والقلق من كل ما يحيط بهم وما ينبئ به مستقبلهم[٢٢] . ويذهب بعض الآراء إلى أن الظروف التى يمر بها مجتمعنا وتزايد حدة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية من العوامل التى تدفع بالشباب إلى الجنوح والانحراف ، وأهم ما يميز هذا الانحراف أنه ينطوى على درجة من العنف والعدوان ، بعضه موجه ضد هذا المجتمع العاجز عن إتاحة فرص لهم للحياة ، وبعضه الآخر موجه نحو الذات ،

فتظهر أشكال من السلوك مرضية وغير سوية ، مثل : قتل النفس ، والانضمام لجماعات خارجة على النظام ، والتمرد على القيم والمثل ... إلخ [٢٣] . فقد أظهرت بعض الدراسات [٢٤] – التى أجريت على قلق المستقبل لدى الشباب – وجود علاقة بين المستقبل والهدف من الحياة ، فإذا كان الفرد ذا هدف فى حياته ويعيش ظروفاً بيئية ومجتمعية تمكنه من تحقيق هذا الهدف قل لديه الإحساس بالقلق تجاه المستقبل ، أما إذا كانت هذه البيئة تحتوى على كم من التناقضات والمشكلات التى تحول دون تحقيق أهدافه وأحلامه ؛ فإنها ستؤدى حتما إلى إفراز أنماط مختلفة من القلق ، تزيد حدتها مع زيادة الشعور بالعجز والفشل . فيشير نبيل راغب إلى أن كبت التطلعات والآمال والطموحات يؤدى إلى أنواع من الصراعات والاكتئاب ، تندرج تحت هذا النوع من القلق تجاه المستقبل ، فهو قلق ناتج عن التفكير الدائم بما يمكن أن يقع من أحداث غير متوقعة [٢٥] . كما أوضحت إحدى الدراسات أن الضغوط والآلام الانفعالية والشعور بالإحباط والتشاؤم تجاه الحياة المستقبلية ، تؤدى إلى ارتفاع الشعور بالاغتراب ، وعدم القدرة على ضبط الذات ، وعدم الاتزان الانفعالى ، والقلق تجاه المستقبل الغامض الملىء بالإحباطات[٢٦] .

بذلك يمكن القول إن القلق وليد التفاعل الدينامى بين الفرد والمجتمع ، فإذا شعر الإنسان بانتمائه للمجتمع الذى يمنحه إشباعاته تمكن من التغلب على الإحساس بالعجز والقلق .

بناء عليه ، نحدد هدف الورقة البحثية فى محاولة إلقاء الضوء على طبيعة قلق المستقبل لدى الشباب ومظاهره المختلفة ، والآثار السلبية التى يمكن أن تنشأ مع تزايد حدة قلق المستقبل وانعكاساتها على المجتمع ، مع طرح رؤية لتحويل هذه الطاقة السالبة لهؤلاء الشباب إلى طاقة بناءة تعمل على دفع عجلة التنمية داخل المجتمع .

مفهوم القلق

يعد القلق من العوامل الأساسية للصحة النفسية ، فهو يشكل المفهوم الأساسى فى علم الأمراض النفسية وفى أمراض عضوية كثيرة ، فوجوده يعنى نذيراً بالخطر الذى يهدد أمن الفرد وسلامته النفسية وتقديره لذاته وإحساسه بالسعادة والرضا . فالإنسان يتعرض فى مواقف الحياة المختلفة للقلق بدرجات متفاوتة من حيث الشدة، وتتذبذب من وقت لآخر تبعا لطبيعة المواقف التى يتعرض لها ، وهذه المواقف التى تشعر الإنسان بالتهديد تؤدى إلى ظهور اضطرابات جسمية ونفسية وسلوكية [٢٧] .

وقد ميز فرويد بين نوعين من القلق : أحدهما القلق الموضوعى Objective Anxiety ، والذى يقصد به رد فعل لخطر خارجى معروف فى مواقف تتسم بالتهديد ، والقلق هنا توقع لصدمة ، وهذا النوع من القلق أقرب إلى الخوف ؛ لأن مصدره يكون واضح المعالم لدى الفرد . والآخر القلق العصابى Neurotic Anxiety ، وهو عبارة عن خوف غامض غير مفهوم أسبابه ، يمثل رد فعل لخطر غريزى داخلى يعوق قدرة الفرد على العمل والابتكار ، وقد يترتب عليه ضياع مستقبله [٢٨] . ويرى فرويد أن الأنا هو دائما موطن القلق ، ولا يؤدى الكبت إلى القلق ، وإنما يعمل القلق على كبت العامل الذى أثاره ، وذلك باستخدام سائر الآليات الدفاعية [٢٩] .

فالقلق خبرة وجدانية غير سارة ، يمكن وصفها بأنها حالة من الخوف والتوتر ، وهو رد فعل الإنسان إزاء التهديد ، حيث إن القلق ينشأ – شأنه شأن سائر الانفعالات – عن منبه يكون بمثابة نذير بفقدان التوازن بين الفرد والبيئة ، ويؤدى إلى سلوك يهدف إلى إعادة هذا التوازن .

وإذا أشرنا إلى القلق على أنه حالة من الخوف ، فلابد وأن نفرق بين المفهومين وإن كان بينهما ترابط من الناحية الشعورية ، فالخوف هو تقدير الخطر ، أما القلق فهو الحالة الشعورية السيئة التى تحدث عندما يثار الخوف .

وعلى هذا ، يمكن القول إن الخوف تصور معين متوجه بمحتواه إلى المستقبل ، ويشير إلى احتمال الضرر الشخصى ، أما القلق فهو انفعال غير سار له مصاحبته الذاتية [٣٠] .

ويشير جولدنسن Goldenson إلى أن الخوف استجابة لخطر واضح موجود بالفعل ، أما القلق فهو يمثل استجابة لتهديد غير واضح وغير مفهوم ، وينبع من الإحساس بعدم الأمان والحيرة [٣١] . ويرى زاليسكى Zalisiki أن كلا الشعورين (القلق والخوف) يتشابهان أكثر مما يختلفان ، وبما أن القلق يمتد للمستقبل فإنه يفضل استخدام مصطلح قلق المستقبل Future Anxiety أكثر من مصطلح الخوف من المستقبل Fear of the Future . ويؤكد على وجود عدة أسباب تدفعنا للتعامل مع قلق المستقبل ، إذ إنه يتضمن الانزعاج والشك والخوف من تغيرات غير مرغوبة قد تحدث فى مستقبل الشخص ، ويعتبر هذا نوعاً من التهديد ، حيث إن شيئا ما غير حقيقى ومؤلم يمكن أن يحدث بالنسبة للشخص [٣٢] .

كما يفرق زاليسكى بين قلق المستقبل والقلق بصفة عامة ، إذ يعنى الأول حالة من الانشغال وعدم الراحة والخوف من المجهول للمستقبل الأكثر بعدا، والثانى هو شعور عام بالخوف والتهديد [٣٣]. وقد قسم كاتل Cattel عبر دراساته العاملية القلق إلى حالة وإلى سمة ، ويرى أن الاستعداد أو التهيؤ للقلق يظل كامنا كسمة ويستثار بمثيرات مهددة كحالة ، أى أن سمة القلق تتأثر بالمواقف وتنشط بواسطة الضغوط الخارجية التى تصاحبها مواقف خطرة [٣٤] . وقد اهتم الباحثون بهذه التفرقة التى قدمها كاتل وحاولوا تطوير هذا المفهوم ، وأكدو أن سمة القلق تتشكل بفعل الضغوط ، ويعنى هذا أن حالة القلق هى رد فعل انفعالى يستثار لدى الفرد الذى يفسر الموقف الضاغط على أنه مهدد له شخصيا. وهنا يمكن أن نفرق بين القلق السوى أو الصحى والقلق كاضطراب ، فالقلق السوى هو الذى يمثل جوهر طبيعة النفس الإنسانية ، فالإنسان يستشعر

القلق ويعانيه كخبرة يومية مستمرة ، وهو هنا بمثابة دوافع تحث الفرد على بذل مزيد من الجهد للوصول إلى غاياته وتحقيق طموحاته ، ولكن إذا ظهر ما يعوق تحقيق هذه الأهداف والطموحات تتزايد حدة القلق والتوتر خوفا من الفشل . وتتحول مشاعر القلق الصحى إلى نوع من الاضطراب الوجدانى ، فينشأ القلق كاضطراب يفقد الفرد قدرته على مواجهة ضغوط الحياة ، ويصبح فريسة لمخاوف غير واقعية تعصف بإمكانياته ، وتزيد الشعور بالإحباط وعدم الاتزان الانفعالى . ويتسق هذا مع ما قدمه جولدستين Goldstein تفسيراً للقلق ، فهو يرى أن كافة الدوافع تنبع من اتجاه الفرد لتحقيق ذاته ، ويحاول أن يجد تلاؤما ما بين إمكانياته الخاصة ومتطلبات العالم الخارجى ، وإذا لم تتحقق هذه المواءمة فإنه يصل إلى حالة من الاضطراب تسمى صدمة التهديد ، وعندها يكون الفرد غير قادر على تحقيق أهدافه ، ويصبح القلق نوعا من الاضطراب الذى يمثل خطرا على الفرد [٣٥] .

انطلاقا مما سبق ، يمكن القول إن القلق حالة انفعالية تعترى الفرد وتتسم بمشاعر ذاتية من التوتر والتوجس ، يدركها الفرد بوعى ويصاحبها نشاط فى الجهاز العصبى ، وهى تتغير فى شدتها وتتذبذب عبر الزمن ، وأن هذا القلق يرتكز على بعدين أساسيين : أحدهما الاستعداد الفطرى ، والآخر الأحداث غير السارة والمجهولة التى تستدعى القلق ، وطالما أنه مرتبط بالمجهول ؛ لذا يطلق عليه قلق المستقبل الذى يعد استجابة مفرطة لمواقف قد لا تعنى خطرا حقيقيا ، فهو نوع من أنواع القلق المرتبط بتوقع الفرد للأحداث المستقبلية خلال فترة زمنية أكبر .

مفهوم قلق المستقبل

تعددت النظريات التى تناولت مفهوم قلق المستقبل نظرا لتباين وجهات نظر علماء النفس ، فالمستقبل هو المجال الأساسى للتخطيط ووضع الأهداف والطموحات والسعى لتحقيقها . ويرتبط التفكير فى المستقبل لدى أغلب الأفراد – خاصة

الشباب – بالشعور بالقلق ، ويعد القلق الإيجابى أول رد فعل صحى تجاه الأخطار المستقبلية بعيدة المدى التى يتوقع الفرد حدوثها ، وتصبح وظيفته فى هذه الحالة تحفيزية مهيئة لاستقبال هذه الأخطار ، ومساعدة للفرد للتغلب عليها .

وقد ظهر هذ المفهوم فى منتصف القرن الماضى حين بدأت دراسات القلق تجاه المستقبل تحت مسميات عديدة ومختلفة ، فطرح تيلتش Tillich مفهومه الخاص بالخوف من القدر المحتوم لشئ لايمكن التنبؤ به سوف يحدث فى المستقبل يمكن أن يمنعنا من تحقق أكثر القيم والأهداف أهمية فى حياتنا ، وهو مفهوم محمل بمبدأ القدرية [٣٦] .

ثم أطلق توفلر Toffler مصطلح صدمة المستقبل ، واستنتج أن الكثير من الأفراد يعانون صدمة المستقبل [٣٧] . ثم ظهرت مسميات مختلفة تتضمن دراسة الخوف من المستقبل والتوقعات السلبية والتشاؤمية تجاهه ، وكانت دراسات زالسكى Zalisiki وما تلاها من أهم الدراسات الإمبيريقية التى رسخت مفهوم قلق المستقبل . وترجع أصول نشأة مفهوم قلق المستقبل إلى النزعة الشخصية المرتبطة برد الفعل المتمثل فى الخوف الناتج عن تراكم الخبرات الشخصية على مدى الحياة والتوجهات الحالية للفرد ، خاصة نحو الخبرات السلبية والأحداث السيئة المحتمل حدوثها ، والتى لا يمكن حصرها فى مجتمعنا اليوم ، ويصبح القلق عاملا ضاغطا على الفرد ، نظرا لشعوره بوجوب الحذر واليقظة الدائمة وبذل الجهود للمساعدة على مواجهة هذه الحالة الضاغطة . ويجب التأكيد على أن عدم وجود الضغوط لا يعنى ضرورة وجود المشاعر الإيجابية ، كما أن وجود الضغوط لا يعنى بالضرورة ظهور قلق المستقبل ، بل يجب أن ينشغل الفرد بالتفكير فى تلك الأمور المنذرة بالخطر لكى يظهر رد الفعل المتمثل فى القلق[٣٨] .

وينطلق البعض فى تفسيره لقلق المستقبل من منظور بيئى ، إذ ينظر

إلى الطبيعة الإنسانية على أنها قابلة للتغيير نحو الأفضل ، أى نحو التقدم والارتقاء ، وأن الثقافة البيئية المحيطة بالفرد من شأنها أن تخلق قدرا كبيرا من التوتر والقلق إذا احتوت على تعقيدات أو إحباطات أو تناقضات ، فيشعر الفرد بالتهديد والعجز وقلة الحيلة فى عالم ملىء بالإحباطات [٣٩] .

كما يفسر أدلر Adler القلق على أنه وليد التفاعل الدينامى بين الفرد والمجتمع ، ويرى أن الإنسان إذا حقق الانتماء للمجتمع الذى يعيش فيه فيؤدى إلى تقوية الروابط الاجتماعية التى تربط الفرد بالمحيطين به ، وبالتالى إمكانية تغلبه على الإحساس بالعجز والقلق [٤٠] .

بينما تذهب النظرية المعرفية إلى أن الوظيفة الأساسية لقلق المستقبل هى الإنذار باقتراب الخطر فى الأحداث المستقبلية التى تتضمن تهديداً متوقع الحدوث عندما يصبح مستقبل الشخص مجالا للتفكير والاختيار ، مثل : لحظات الاختيار المهنى ، أو التخصص الأكاديمى ، أو الزواج وتكوين أسرة ، وغيرها من المواقف التى تحدد مصير الفرد وحياته فى المستقبل[٤١] . ويشكل الجانب المعرفى المكون الأساسى لقلق المستقبل ، حيث يأتى الوعى أو الإدراك أولاً ثم يظهر القلق . ويعد الغموض وعدم الوضوح والتغيرات المتلاحقة والسريعة فى جميع نواحى الحياة – والتى لا يستطيع الفرد استيعابها أو التنبؤ بنتائجها – من أهم مثيرات قلق المستقبل . لذلك فالفرد الذى يعانى قلق المستقبل يكون دائما متشائما ، تنتابه الأفكار الوسواسية ، ويتصف بالسلبية والانطواء والشعور بعدم الاستقرار وانعدام الأمن [٤٢] .

وينطلق الاتجاه الوجودى فى تفسيره لقلق المستقبل من المضامين المعرفية لمعنى الحياة والوجود . فالتوجه المستقبلى للقلق ينبثق من خلال سعى الإنسان للعمل والحركة بتوجه وتطلع دائم نحو المستقبل لتحقيق الآمال والطموحات ؛ لذا يظهر القلق بسبب الخوف الدائم من عدم القدرة على تحقيق تلك الطموحات ، أو وجود المعوقات التى تحول دون بلوغه الأهداف [٤٣] .

وتؤكد إحدى الدراسات على أن الأفراد الذين يعانون عدم المقدرة على الثقة بالمستقبل أو يشعرون بأنه يحمل أحداثا غير سارة ، يجدون صعوبة فى تحقيق الأهداف والرغبات ، ويتملكهم شعور بأن الحياة لا معنى لها ، بينما الأفراد الذين يتمتعون بالثقة فى المستقبل يتصفون بشخصية سوية وصحة نفسية مرتفعة [٤٤] .

أما الاتجاه الإنسانى فيركز فى تفسيره لقلق المستقبل على خصوصية الإنسان وتفرده . ويذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى أن التحدى الرئيس للفرد هو أن يحقق ذاتيه ووجوده كفرد يتميز ويختلف عن بقية البشر ؛ لذا فإن كل ما يعوق محاولاته لتحقيق هذا الهدف يمكن أن يثير لديه القلق . ويشير هذا الاتجاه إلى أن عوامل القلق ومثيراته ترتبط بحاضر الفرد ومستقبله وبحثه عن مغزى لحياته وهدف لوجوده . فالفرد فى سعيه لتحقيق ذاته وإيجاد معنى لوجوده قد تعتريه مشاعر القلق الذى يمثل جزءا من الطبيعة الإنسانية ، أما الإحباط والفشل فى الوصول لهذا الهدف فيؤدى إلى الاضطراب النفسى [٤٥] .

يتضح مما سبق أن غالبية التعريفات التى تناولت مفهوم قلق المستقبل وصفته بأنه خبرة انفعالية غير سارة ، تتسم بالتوتر والخوف والانزعاج من الأحداث والتغيرات السيئة غير المرغوبة التى يمكن أن تحدث فى المستقبل ، والتى قد تصل إلى شعور الفرد بالتهديد بوقوع كارثة مستقبلية ، مع وجود شعور عام بعدم قدرته على مواجهتها أو التغلب عليها لتغيرها بإمكاناته وكفاءاته. وهذا النوع من القلق الزائد يقلل من فاعلية الفرد تجاه المواقف المختلفة ، ويحد من قدرته على التصرف فى المواقف بطريقة سليمة ، مما يترتب عليه عدم التوافق السوى مع البيئة المحيطة ، وفقدان الأمان والطمأنينة نحو المستقبل ، ومن ثم يؤدى إلى مشاكل نفسية واجتماعية متعددة .

فى ضوء ما سبق ، نعرف قلق المستقبل لدى الشباب بأنه "هو حالة من التوتر وعدم الاطمئنان والشعور بالخوف من المجهول وتوقع الفشل فى المستقبل ، والنظرة التشاؤمية للأحداث المستقبلية ، أو استجابة لخطر غير محدد نتيجة

ضغوط الحياة والتغيرات المجتمعية المليئة بعوامل مجهولة المصير ، تدفع الشباب إلى الشعور بالتهديد والتوجس والخيفة والقلق تجاه حياته المستقبلية (المهنية ، والأسرية ، والاجتماعية)" .

وتتجلى مظاهر قلق المستقبل لدى الشباب فى عدة أنماط ، أهمها :

١ - **القلق الذاتى** ، وهو يرتبط بالمعاناة والاضطراب الوجدانى للشباب بسبب التغيرات النفسية والجسمية لهذه المرحلة ، وهو يرتبط بما نطلق عليه أزمة الهوية . فالشباب فى هذه المرحلة دائم البحث عن ذاته ، عن الشئ أو الموضوع الذى يحيا من أجله ، وأين يتجه فى الحياة ، ويعيش فى صراع بين ما يفرضه عليه المجتمع من معايير وقيم ، وبين محاولة إثبات استقلاليته ووجوده ، وعدم إعطائه الفرصة من جانب المجتمع لكى يثبت هذه الاستقلالية ، بما يؤدى بالشباب إلى إحساس عميق بالخوف من اتخاذ القرارات ومن الفشل . وهنا يتخذ أحد المسارين : إما أن ينسحب وينعزل عن الوسط الذى يعيش فيه ، وإما أن يفقد ذاته وسط الآخرين . يعنى هذا أنه كلما استطاع الشاب فى هذه المرحلة تحقيق ذاته واستقلاليته وتحديد رؤيته لمكانته الاجتماعية والمهنية ، كان أكثر تماسكا وقدرة على مواجهة الصعوبات التى تعترض طريقه وتغلب عليها . أما إذا فشل فى ذلك ، فقد ثقته فى نفسه وقدرته على السيطرة على مجريات الأمور ، وشعر بالاغتراب عن المجتمع الذى يعيش فيه .

٢ - **القلق الأسرى** ، وهو يرتبط ببعدين : أولهما هو الحاضر الذى يعايشه وسط أسرته ، وينبع القلق هنا من الضغوط النفسية التى يمكن أن يقع فريسة لها نتيجة الخلافات بين الآباء أو الانفصال أو وفاة أحدهما ، أو نتيجة النزاع الدائم بين السلطة الأبوية التى تتمثل فى فرض المعايير والمثل الأخلاقية والدفاع عن استقلاليته وحريته . وثانيهما هو المستقبل ، وهو

يرتبط بشعور الشاب بالخوف من عدم قدرته على اختيار شريك حياة ، أو تكوين وتحمل مسئولية أسرة وأبناء ؛ وذلك يرجع لمجموعة من المعوقات منها : معوقات اقتصادية تتمثل فى عدم إمكانية الحصول على وظيفة تمكنه من تكوين ذاته ماديا واجتماعيا . ومعوقات اجتماعية تتعلق بالتغالى فى المظاهر المرتبطة بأمور الزواج ، بالإضافة لصعوبة الحصول على مسكن وتأثيثه . ومعوقات أخلاقية وهى ترتبط بالانفلات الأخلاقى السائد بين الشباب ، والذى يجعل البعض يتخوف من الارتباط بشريك متطرف فكريا أو بعيد عن المعايير الأخلاقية .

٣ – **القلق المهنى** ، وهو يتعلق بمخاوف الشباب نحو تصوراتهم لعدم إمكانية تحقيق طموحاتهم المهنية ، وشغل وظيفة تتناسب ومؤهلاتهم ، وتدر عائدا ماديا يتناسب ومتطلبات الحياة التى تتزايد يوماً بعد يوم . فنظرا لتقلص فرص العمل المتاحة أمام الشباب ، واتساع الفجوة بين نوعيات التعليم ومتطلبات سوق العمل ، والزيادة المستمرة فى معدلات البطالة ، تفجرت بداخلهم مشاعر الإحباط والقلق نحو ما يئول إليه مستقبلهم المهنى . هذا بجانب الشواهد الواقعية لحال الشباب من الخريجين الذين وضعتهم البطالة فى مقاعد المعاشات على المقاهى أو فى طابور العاطلين أو الاشتغال بأعمال هامشية لكسب قوتهم ، مما أدى إلى تكوين صورة ذات بعد تشاؤمى سلبى فى أذهان الشباب ، هذه الصورة القاتمة الملبدة بالصعوبات والمعوقات تبعث بداخلهم الإحساس بالعجز والفشل والقلق على مستقبلهم المهنى ، والذى تتحدد فى إطاره حياتهم العامة المستقبلية . والقلق هنا– كما يشير إيزنك Eysenck – تكامل بين قلق الماضى والحاضر والمستقبل ، فالأحداث المؤلمة فى الماضى تبعث على الشعور بالإحباط والتشاؤم ، أما الأحداث المحبطة فى الحاضر فتبعث على الشعور بالقلق والخوف من المستقبل [٤٦] ، بمعنى أن ما نعانيه من قلق تجاه المستقبل هو نتاج ما يحدث الآن وما حدث فيما مضى .

٤ – **القلق العام** ، وهو يرتبط بالخوف من المجهول ، أى الخوف من الأحداث المستقبلية على المستوى المحلى والعالمى والتى تهدد أمن البشرية ، وكذلك الخوف من الموت والمرض والشيخوخة وزيادة موجات العنف والدمار والتخريب . فنظرا للأحداث العالمية والحروب والصراعات تشكلت ما يمكن أن نطلق عليها ثقافة الخوف، وهى لها عناصرها المادية والمعنوية التى جعلت الغد غير مأمون ، ويتسم بعدم اليقين واتساع عمق الإحساس بالخطر .

وتجدر الإشارة إلى أهمية التأكيد على أن هذه الأشكال من قلق المستقبل لدى الشباب يختلف تواجدها ودرجة معدل حدتها من شاب لآخر ، وذلك وفقا لبنائه النفسى واتزانه الانفعالى ، وما إذا كان القلق سمة من سمات الشخصية ، ووفقا للظروف الاقتصادية والمكانة الاجتماعية للشاب وأسرته التى تشكل له نوعا من المساندة الاجتماعية ، فتمكنه من التغلب على المشكلات التى تواجهه وتسبب القلق تجاه مستقبله .

ما استعرضناه حول قلق المستقبل لدى الشباب يطرح علينا سؤالا محوريا، وهو "ماذا بعد" ؟ بمعنى ما الذى يترتب على نتاج هذه المشاعر الشابة المليئة بالتوتر والقلق ، وتتزايد حدتها مع استمرار عجز المجتمع عن إزالة العقبات والصعوبات التى تحول دون إشباع احتياجاتهم وتحقيق طموحاتهم ، مع تزايد التباين الاقتصادى والاجتماعى بين فئات المجتمع ؟ ، نجيب عن هذا السؤال من خلال طرح نماذج من السلوكيات غير السوية والسلبية التى يمكن أن تفرزها تلك المشاعر ، والتى يلجأ إليها الشباب كأساليب دفاعية للتخلص من مشاعر التوتر والقلق حول مستقبلهم ، وانعكاس هذه السلوكيات على المجتمع .

قلق المستقبل : الآثار والانعكاسات

يذهب توفلر إلى أن صدمة المستقبل ليست مرضا بدنيا، ولكنها صدمة تهاجم الجسم كله ، فكما يتصدع الجسم تحت ضغط زيادة المنبهات البيئية ، كذلك العقل وما يقوم به من عمليات تشتت عندما يحمل فوق طاقته ، وهكذا فإن

التغيرات المتلاحقة والمتضاربة تؤثر على قدرة الأفراد فى استيعابها ، وتؤدى إلى تصرفات غير سوية نتيجة العجز عن التكيف[٤٧] . فالشباب الذى يعيش فى عالم ملىء بالتناقضات والمشكلات أكثر عرضة لاختلال التوازن النفسى ، والذى قد يؤدى إلى ظهور الاضطرابات ، وفقدان القدرة على مواجهة الأزمات ، فيلجأ إلى إبداع طرق وحلول للخروج من أزمته ، فالبعض يلجأ لسلوكيات سوية تساعده على التخفيف من حدة مشاعر الإحباط والقلق ، والبعض الآخر يلجأ إلى سلوكيات غير سوية ومنحرفة تعبر عن تمرده ورفضه للضغوط الملقاة على عاتقه ، وعجزه عن مواجهتها . ونطرح بعضا من النماذج السلوكية غير السوية :

١- سلوكيات غير سوية

وهى تعبر عن رد فعل عنيف تجاه المعاناة التى يعيشها الشباب ، ووسيلة دفاعية يلجأ إليها للهروب من الإحساس بالفشل واليأس ، كما أنها – فى بعض الأحيان – وسيلة مشروعة (من وجهة نظره) للتغلب على المعوقات التى تحول دون تحقيق أحلامه . وهذه السلوكيات غير السوية يلجأ إليها فى الأغلب والأعم الشباب الذى يعانى هشاشة فى البناء النفسى ، والذى لا يقوى على مواجهة الأزمات ، فيلجأ للهروب باتخاذ أساليب تبعد عنه الإحساس بالألم والتوتر ، أو الشباب الذى يفتقد المساندة الاجتماعية من البيئة المحيطة به . **ويمكن أن نذكر بعض أنماط من هذه السلوكيات ، مثل :**

– **الزواج العرفى (السرى)** ، وهذا النمط من السلوك يعكس مظاهر سلوكية مغايرة لعادات وتقاليد المجتمع ، بدأت تنتشر بين الشباب لكثرة المعوقات التى تحد من قدراتهم وإمكاناتهم فى تحقيق أحلامهم بتكوين أسرة (وإن اتُخذت لدى البعض من الشباب كوسيلة لإشباع نزواتهم ورغباتهم الجنسية فقط). وقد أوضحت الدراسات الاجتماعية التى أجريت فى مجال انتشار مشكلة الزواج العرفى بين شباب الجامعات تأكيد غالبية أفراد العينة من الشباب على انتشار الزواج العرفى بين طلبة الجامعات ، باعتباره حلا لفقدانهم الأمل فى القدرة على

تكوين أسرة في المستقبل لصعوبة الحياة والمعوقات الاقتصادية والاجتماعية المحيطة بهم . كما تشير الدراسات القانونية إلى زيادة عدد القضايا التى تنظر أمام المحاكم ؛ إما لإثبات النسب ، أو التطليق من زواج عرفى غير موثق [٤٨] . فقد تبين من واقع بيانات وزارة العدل فى عام ٢٠٠٠ وجود مايقرب من ١٢ ألف دعوى إثبات نسب مقدمة من سيدات متروجات عرفيا ، ومعظمهن من طالبات الجامعات والمعاهد العليا [٤٩] ؛ الأمر الذى يشير إلى وجود مشكلة ، وإن كان من الصعوبة تحديد حجمها إحصائيا ؛ نظرا لطبيعتها التى تمس حياة الأسرة .

– **الانضمام للجماعات المتطرفة** ، وهى صيغة يعبر بها أنماط من الشباب عن سقوط معنى الحياة بالنسبة لهم ، حيث إن التماسك الداخلى للشخص يرتبط بهدف يسعى لإنجازه ، وعندما يدركون صعوبة تحقيق أهدافهم فى ظل الظروف المضطربة التى يعانى منها المجتمع ، والتخبط فى كافة المجالات ، وفى ظل انعدام الفرص لإثبات وجودهم داخل مجتمعهم ، فيلجئون لهذا السلوك غير السوى الذى يمثل تمرداً وعصياناً وخروجاً على معايير وضوابط المجتمع الذى لم يعترف بوجودهم وحقهم فى الحياة ، والذى حرمهم الأمل فى مستقبل مشرق ، فإن الاندماج مع هذه الجماعات يعد وسيلة للهروب إلى عالم التوهان واللاوعى لخفض مصدر الاستثارة التى تسبب القلق عن طريق الإزاحة ، أو منفذاً للتعبير عن الغضب والسخط ، أو وسيلة للكسب المادى وتحقيق الأهداف ، خاصة وأن هذه الجماعات فى الأغلب موجهة ، وتستقطب هؤلاء الشباب عن طريق إغرائهم بالمال ، أو تعبئتهم ضد مجتمعهم ؛ لتنفيذ أغراضهم فى تدمير المجتمع الذى لا ينهض إلا برأس ماله البشرى ، ألا وهو الشباب .

– **تعاطى وإدمان المخدرات** ، ويمثل هذا السلوك غير السوى وسيلة دفاعية يلجأ إليها الشاب لتغييب وعيه عن الواقع المؤلم المحبط ، فيظل فى عالم اللا وعى ؛ حتى لا تؤرقه مشاعر القلق والخوف من المستقبل . فالشاب يشعر بالضياع إذا فقد الطمأنينة والتوجيه ، فتشير الدراسات الوبائية [٥٠] التى أجريت

على عينات من شباب الجامعة إلى أن معدلات تعاطى المخدرات الطبيعية فى تزايد ، إذ بلغت نسبتها ٩ر١١٪ عام ٢٠٠٤ بين عينة الدراسة من شباب الجامعات ، بينما كانت فى عام ١٩٩٠ ٧٣ر١٠٪ .

– **السلوك الإجرامى** ، وهو نمط تتخذه بعض الفئات الشابة والمحبطة كتعبير عن السخط على المجتمع الذى اغتصب حقهم فى الحياة ، فالظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المعاكسة أغلقت أمامهم منافذ الحراك الاجتماعى ، وهمشت دورهم ؛ مما عمق لديهم الشعور بالإحباط وعدم الرضا، وتولدت لديهم ثقافة الرفض والتمرد . ونتيجة لتكثيف مستويات التمرد لجئوا إلى الجريمة والعنف والعدوان على المجتمع كوسيلة لاسترجاع حقهم المسلوب[٥١] . وهو الأمر الذى تؤكده بعض الدراسات من أن البطالة وانعدام الشعور بالانتماء والشعور بالضياع من الأسباب التى تؤدى إلى الانغماس فى سلوكيات منحرفة [٥٢].

ويؤكد زاليسكى Zalisiki فى دراسته التى أجريت على مجموعات من الشباب لتحديد مفهوم القلق ، أن الأفراد ذوى القلق المرتفع ليس لديهم القدرة على أن يطوروا من حياتهم ، بل لديهم عدم ثقة فى أن ما اكتسبوه من معارف سوف تعود عليهم بالمنفعة والفائدة فى تحسين حياتهم ، ويستخدمون القوة والعنف اعتقادا منهم أنها ستجعل حياتهم أفضل ، ويندمجون مع الجماعات أو الأشخاص الذين يتصورونهم أنهم مصدر حمايتهم وخلاصهم [٥٣].

ويشير توفلر إلى أن أغلب الأشكال اللاعقلانية الاجتماعية قد تكون انعكاسا لتدهور قدرة الفرد على اتخاذ القرارات والسلوكيات السوية تحت ظروف فرط التنبيه فى بيئته [٥٤].

٢- سلوكيات سلبية انسحابية

هناك أنماط سلوكية تسلكها فئة أخرى من الشباب لا يمكن تصنيفها على أنها منحرفة أو غير سوية ، ولكن تتسم بالسلبية والانسحابية ، وهى أيضا لها تأثيرها

السلبى على المجتمع ، فهى تعبير عن غضب ورفض يفصح عن نفسه فى صورة نزوع نحو السلبية والانفصال عن الواقع والانسحاب والهروب . فيتمثل النمط الأول من هذا السلوك الانسحابى فى :

– **العزوف عن المشاركة المجتمعية** بكافة أنواعها؛ لإحساسهم بأن الدولة تخلت عنهم وعن مسئولياتها تجاههم ، فضلا عن شعورهم بعدم فعالية دور الأحزاب السياسية والتنظيمات الشبابية بالمجتمع ، وأن الكبار هم صناع القرار، وبالتالى تمثلت صرختهم بالرفض فى الانسحاب والعزوف عن هذا المجتمع المحبط الذى أصبح ليس لديه القدرة على العطاء ، فأوجد تربة خصبة لنمو مشاعر عدم الانتماء والولاء للوطن .

ويتضح هذا فى النمط الثانى من السلوك السلبى الانسحابى **ألا وهو الهجرة** ، سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة . فهذا النمط من السلوك يلجأ إليه الشباب كحل للمشكلات والمعوقات التى تحول دون تحقيق طموحاتهم ، فهو نوع من الهروب من المشاعر المؤلمة والمحبطة والقلق تجاه المستقبل المظلم . فقد أثبتت الدراسات أن الشباب يلجأ للهجرة عندما يشعر باليأس والإحباط نتيجة الظروف الاقتصادية والسياسية المتغيرة والمحبطة ، وعندما يشعر بأنه عاجز عن تحقيق أى شىء فى حياته المستقبلية . أما الشكل الجديد من الهجرة **وهو الهجرة غير الشرعية** فهى وسيلة تلجأ إليها فئات من الشباب عاجزين عن السفر بشكل مشروع ، يعانون البطالة والإحباط . وقد أجمعت الآراء على أن المهاجرين بطريقة غير مشروعة أغلبهم من الذكور تتراوح أعمارهم بين ٢٠ – ٢٥سنة ، كثير منهم ذوو مستوى تعليمى مرتفع ، فشلوا فى الحصول على فرص عمل داخل مجتمعهم [٥٥].

أما النمط الثالث من السلوك السلبى فيظهر فى **صور اللامبالاة وعدم الاكتراث والتواكل** ، فهو أسلوب من أساليب المواجهة السلبية التى يتبعها بعض الشباب لتصريف الانفعالات والمشاعر الباعثة للقلق والتوتر ، فيعمل على تشتيت

تفكيره عن المشكلة المؤرقة ؛ وذلك بالاستغراق فى أحلام اليقظة أو النوم لفترات طويلة ، أو ممارسة أنشطة لا عائد منها للهروب من مواجهة الواقع المؤلم الذى لا يستطيع تغييره مهما بذل من جهد ؛ لأن النتائج متوقعة مسبقا .

هذه السلوكيات غير السوية والسلبية التى استعرضناها لا تعنى عدم وجود نماذج شابة إيجابية وجادة ، يدفعها القلق لمزيد من بذل الجهد وإبداع طرق إيجابية وفعالة لمواجهة أزماتهم وتحسين أوضاعهم وأحوالهم المستقبلية .

ونستخلص مما سبق أن ارتفاع حدة قلق المستقبل لدى الشباب ، وزيادة مشاعر الإحباط والتوتر وانعدام الأمان ، والخوف من الفشل فى تحقيق الطموحات ، وافتقاد المساندة الاجتماعية من البيئة المحيطة لمواجهة الأزمات ، والظروف الاجتماعية والاقتصادية المتغيرة والمحيطة ، كل ذلك يترتب عليه ظهور نماذج أو أنماط من الشباب يتسمون بالسلبية واللامبالاة والتطرف والتمرد والجنوح والسخط على المجتمع وقيمه ومعاييره ، مما يؤثر سلبا على تنمية المجتمع ونهضته . فهذه النماذج هى نتاج لعصر القلق والتخبط ، نتاج لمجتمع انعدمت فيه الرؤية والوضوح والقدرة على التخطيط للمستقبل ، نتاج لمجتمع انهارت فيه القيم والنظم والمعايير ، وأصبح عاجزاً عن إشباع احتياجات أبنائه ، وبالتالى فقدان القدرة على الاستفادة من طاقتهم والتى تمثل رأس ماله البشرى ، والذى يعتمد عليه فى تحقيق توازنه الاجتماعى والاقتصادى .

والتنمية الاجتماعية لأى مجتمع تعتمد على عدة مقومات ، منها "رأس المال الاقتصادى الذى يملكها زمام الأمور ويحميها من هيمنة الدول الأكثر قوة ، ورأس المال البشرى والذى يتمثل – فى المقام الأول – فى شباب هذا المجتمع وسواعده الذى تنهض به الأمة ، فالشباب هم الفاعلون الحقيقيون للتنمية ، والعمود الفقرى للمجتمع ، الذى إذا استقام استقام معه المجتمع ، أما إذا حدث شرخ أو انهيار لهذا الكيان ، انهار المجتمع وفقد القدرة على مواجهة التيارات المعادية التى تلقى بسهامها نحوه لإضعافه والسيطرة عليه" .

فإن عجزت الدولة عن تحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع، وعن تغير الصورة المستقبلية التشاؤمية لهؤلاء الشباب ، تكون بذلك قد سمحت بإيجاد تربة خصبة لانتشار الجرائم بكافة أنواعها ، وزيادة مشاعر العنف والعدوان الموجه لتدمير المجتمع ، وتفاقم مشاعر عدم الانتماء والولاء للوطن ، بحيث يصبح شبابه وقوداً للعمليات الإرهابية ، وتكوين نماذج شابة مضطربة ومشوشة وجدانيا وفكريا ، حائرة بين التناقضات المجتمعية ، طاقة معطلة محملة بأعباء نفسية ، عاجزة عن العطاء ، تعيش أزمة القلق على المستقبل الذى أدى إلى افتقادها القدرة على مواجهة الضغوط المحيطة بطرق سوية .

إلا أن هذه الصورة التشاؤمية لا تعنى فقدان وضياع شباب هذه الأمة ، فالفئات التى حادت عن الطريق القويم ولجأت لسلوكيات غير سوية أو سلبية للتعبير عن غضبها وسخطها وقلقها من المستقبل المظلم لا تمثل كافة شباب المجتمع ، كما أنها فئات عجزت عن تحمل الضغوط والقلق المتزايد تجاه الفشل فى تحقيق الطموحات والأحلام ، ولكنها – بكل تأكيد – تحمل بين جوانحها حباً دفيناً لوطنها ، ورغبة جادة فى العمل والبناء والعطاء ، وتبحث عن فرصة لإثبات وجودها وتحقيق طموحاتها ، وعمن ينير لها الطريق ويقودها ويزودها بأسلحة دفاعية للتغلب على مشاعر القلق والإحباط ، ويحميها من أن تستقطب للتيارات المعادية . فإن تحقيق العدالة الاجتماعية ، ومبدأ تكافؤ الفرص بين أفراد المجتمع ، وإعادة النظر فى الخطاب السياسى والدينى والإعلامى الموجه للشباب بحيث يقوم على الصدق والشفافية ، وإتاحة الفرصة لمشاركتهم والتحاور معهم ليعبروا عن أنفسهم واحتياجاتهم ، وتسليط الضوء على النماذج الشابة الناجحة فى المجالات المختلفة ، مع قيام الدولة بدور إيجابى تجاهم ، كل ذلك يعد محاولة لإعادة الثقة تجاه الدولة ، وإثبات رغبتها الحقيقية فى التغيير الجذرى للأوضاع المتدهورة اجتماعيا واقتصاديا لخدمة هؤلاء الشباب واستثمار طاقاتهم لتحقيق التنمية الاجتماعية للمجتمع . وهذا يعنى ضرورة وضع استراتيجية موحدة لكافة

المؤسسات المعنية بالشباب ؛ ويتم من خلالها تنسيق الجهود لاستثمار طاقات الشباب الاستثمار الأمثل الموجه لصالحهم أولا ، وبالتالى يعود بالفائدة على المجتمع . ويمكن أن نحدد بعض ملامح هذه الاستراتيجية فيما يلى :

١ – التعامل مع الشباب انطلاقاً من قاعدة المساواة ، وأن نثق فى قدراتهم أيا كانت انتماءاتهم ، مع الانتباه إلى نقطة هامة ، وهى "عدم اختلال ميزان العدالة" عند التعامل مع الشباب ، لاسيما فى مجال التوظيف ، فهذه المشكلة تفقد الشباب المصداقية فى التعامل مع المجتمع .

٢ – اهتمام المؤسسة الإعلامية بالخطاب التنويرى الموجه للشباب ، وذلك بزيادة مساحة التوعية المباشرة بالأحاديث والندوات ، أو غير المباشرة من خلال الأفلام والمسلسلات التى تُعلى من القيم الدينية والاجتماعية ، وتهتم بتقوية قيم الانتماء وقيم التسامح وقبول الآخر ، وتطلع الشباب على الثقافات والإبداعات التى تنمى العقول وتنشط الفكر ، وتعظم من دور العلم وقيمة التفكير العلمى لدى الشباب ؛ حتى يتمكن من مواجهة تحديات المستقبل ، هذا من شأنه تغيير أفكار واتجاهات الشباب ، ومنع تسرب أفكار سلبية تساعد على ظهور مشكلات يصعب السيطرة عليها لاحقا .

٣ – تسليط الضوء على النماذج الشابة المتميزة التى استطاعت تحقيق طموحاتها بجهودها الذاتية ، ولديهم روح المبادرة الفردية ، ونجحوا فى إقامة مشروعات تخدم المجتمع وتعود عليهم بالنفع ، أو من لديهم روح الإبداع والابتكار ، وعدم الاقتصار على النماذج الناجحة فى مجال الفن والرياضة فقط .

٤ – اهتمام المؤسسات المنوطة برعاية الشباب بتوسيع مجالات الأنشطة الطلابية والاتحادات ، حتى يتاح للجميع المشاركة بفاعلية ، والتنوع فى الأنشطة التى تلبى اهتماماتهم دون قصرها على الجانب الرياضى ، والانتقال إلى الشباب فى أماكنهم المختلفة لإقامة الحوار ، وإتاحة الفرصة ليعبروا عن مختلف

أرائهم ومشكلاتهم كوسيلة للتنفيس عن رغباتهم ومعرفة احتياجاتهم الحقيقية ، والمساعدة في حلها، مما يؤدى إلى خفض مستوى القلق تجاه مستقبلهم .

٥ - تكاتف المؤسسة الإعلامية ومؤسسات رعاية الشباب فى محاولة تغيير ثقافة العمل لدى الشباب ، وتدعيم ثقافة العمل الحر ؛ للخروج من الاعتمادية على الدولة وتقليل معدلات البطالة . ولكن بجانب هذا لابد وأن تسهم الدولة بدور إيجابى فى دعم هذه الثقافة من خلال دعم مشروعات الشباب دعما حقيقيا ، ومساعدتهم على إزالة المعوقات التى تحول دون استمرار تلك المشروعات ، مثل : الحصول على المواد الخام ، وتوفير منافذ لتسويق وتوزيع المنتجات ، وحمايتهم من عمالقة السوق .

٦ - الاهتمام ببرامج تنمية وتطوير قدرات ومهارات الشباب ، من خلال إمدادهم بالمعارف والمعلومات المستحدثة ، وتدريبهم على استخدام أحدث الوسائل التكنولوجية كنوع من رفع المهارات والاستعداد لمتطلبات سوق العمل فى المستقبل . وهنا يبرز دور المجتمع المدنى ورجال الأعمال والمستثمرين فى استقطاب الفئات الشابة ؛ للمشاركة فى أنشطة اجتماعية ، أو برامج تدريبية لرفع مهاراتهم والاستفادة من طاقاتهم فى أنشطة إنتاجية ، وإتاحة فرص عمل تحقق لهم طموحاتهم ، وتمنحهم الأمل فى غدٍ تختفى فيه مشاعر القلق والتوتر تجاه الأحداث المستقبلية ،

هذا الطرح - ربما - من شأنه تحويل فئات الشباب المحبط الذى يعانى قلقا تجاه المستقبل من طاقة سلبية خاملة إلى طاقة إيجابية بناءة ، ولكن لابد من التحرك السريع وإيجاد الحلول الفعالة للقضاء على مخاوف الشباب والتهديدات التى يخشونها من الأحداث المستقبلية غير المأمونة . فالحل المنشود لابد وأن يكون غير عادى وغير تقليدى ، بل يكون مبتكراً لإزاحة الستار القاتم عن المستقبل وإعطائهم الأمل فى غد أكثر أمنا واستقرارا، حلا يسعى لاستيعاب

هؤلاء الشباب ودمجهم فى قضايا المجتمع والعمل على تنمية ولاءاتهم تجاه هويتهم الوطنية . مما يجعل القلق تجاه المستقبل دافعاً وتحفيزاً لمزيد من الجهد لتحقيق الطموحات وتغير مجرى الحياة نحو الأفضل .

المراجع

١ – Eysenck, M., Payne, S., Santos, R.,: Anxiety and Depression : Past, Present and Future Events, *Journal of Cognition and Emotion, Vol. 20, No. 2, Feb. 2006,* pp. 274-294.

٢ – عشرى ، محمود محى الدين : قلق المستقبل وعلاقته ببعض المتغيرات الثقافية – دراسة حضارية مقارنة بين طلاب بعض كليات التربية بمصر وسلطنة عمان ، القاهرة ، *المؤتمر السنوى الحادى عشر للإرشاد النفسى "الشباب من أجل مستقبل أفضل"* (مج ١) مركز الإرشاد النفسى – جامعة عين شمس ٢٥– ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٤ ، ص ١٤٠ .

٣ – رشاد ، محمد عاطف : دراسة عبر ثقافية لمشكلات طلاب الجامعة ، القاهرة ، *مجلة علم النفس* ، ع ٥٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ ، ص ص ٩٦–١٢١ .

٤ – الطيب ، محمد عبد الظاهر : قلق المستقبل ، القاهرة ، الجمعية المصرية للدراسات النفسية ، ع ٦٧ ، مارس ٢٠٠٧ ، ص ١٩ .

٥ – منصور ، طلعت : *أسس علم النفس* ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٥ ، ص ٤١٠ .

٦ – Irons, C. & Gillbert, P: Evolved Mechanisms in Adolescent : Anxiety and Depression on Symptoms. The Role of the Attachmemt and Social Rank Systems, *Journal of Adolescence, Vol. 28, No. 3, 2005*, pp. 324-339 .

٧ – جمعة ، مايسة : استطلاع رأى عينة من الشباب بشأن مشكلات المجتمع المصرى ، القاهرة ، *المؤتمر السنوى الثامن "قضايا الشباب فى مطلع القرن الحادى والعشرين"* ٢٣ – ٢٥ مايو ٢٠٠٦ ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ٢٠٠٦ . قيد النشر .

٨ – سويف ، مصطفى : *نحن والمستقبل ، القاهرة* ، دار الهلال ، ١٩٩٤ ، ص ص ٢٠١ –٢٠٢ .

٩ – الطيب ، مرجع سابق ، ص ص ١٩–٢٢ .

١٠ – Zaliski, Z, : *Personal Future In Hope and Anxiety Perceptive Psychology of Future Orientation.*, Scientific Society of the Catholic University of Dublin, No. 32, 1994, pp. 173-180 .

١١ – توفلر ، ألفين : *صدمة المستقبل : المتغيرات فى عالم الغد* ، ترجمة محمد على ناصف ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٠ ، ص ص ٣٧٨–٣٨٤ .

١٢ – عشرى ، مرجع سابق ، ص ١٤٦ .

١٣– مرسى ، أبو بكر : أزمة الهوية والاكتئاب النفسى لدى الشباب الجامعى ، القاهرة ، *مجلة دراسات نفسية* ، دار الكتب ، مج ٧ ، ع ٣ ، ١٩٧٧ ، ص ص ٣٣٥–٣٣٩ .

١٤ – دياب ، عاشور محمد : فعالية الإرشاد النفسى الدينى فى تخفيف قلق المستقبل لدى عينة من طلاب الجامعة ، القاهرة ، *مجلة البحث فى التربية وعلم النفس* ، مج ١٥ ، ع ١ ، ٢٠٠١ ، ص ص ٤٣٦–٤٦١ .

١٥ – عشرى ، مرجع سابق ، ص ص ١٤٠–١٧٠.

١٦ – الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء ، الكتاب الإحصائى السنوى ٢٠٠٤ ، القاهرة ، يونيو ٢٠٠٥ .

١٧– ليلة ، على : *رصد لأوضاع الشباب* ، ورقة مقدمة ضمن أعمال المرصد الاجتماعى ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، غير منشورة ، ٢٠٠٥ .

١٨ – كاشف ، إيمان فؤاد : النسق القيمى لدى طالبات الجامعة وعلاقته بأساليبهن فى مواجهة أزمة الهوية ، القاهرة ، *مجلة دراسات نفسية* ، ع ٣ ، مج ١١ ، *يوليو* ٢٠٠١ ، ص ص ٤٦٥–٥١٣ .

١٩ – Naomi, M. & Mark, H., Anxiety Disorders: Current Conceptualizations and Future Directions, *Journal of Psychiatric Annals, Vol. 30, No. 11, 2000*, pp. 220-225 .

٢٠ – أبو زيد ، نبيلة : النظرة المستقبلية لدى شباب الجامعة من الجنسين – دراسة استطلاعية ، القاهرة ، *مجلة علم النفس* ،ع ٢٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢ ، ص ص ٤٨–٦١.

٢١ – شند ، سمير محمد : دراسة لقلق المستقبل وقلق الموت لدى طلاب الجامعة من منظور متغيرى الجنس والتخصص ، القاهرة ، *مجلة كلية التربية*، مج ٨ ، ع ٣ ، جامعة عين شمس ، ٢٠٠٢ ، ص ص ١١٣–١٨١ .

٢٢ – الحسينى ، رباب : التكلفة الاجتماعية للارهاب ، القاهرة ، *المجلة الجنائية القومية* ، مج ٥٠ ، ع ١ ، *مارس* ٢٠٠٥ ، ص ص ٧٧–٩٧ .

٢٣ – إبراهيم ، اسماعيل : *الشباب بين التطرف والانحراف* ، القاهرة ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٨ ، ص ٩١.

٢٤ – انظر :

Rappaport, H., et al., Future Time, Death, Anxiety and Life Purpose Among Older Adults, *Journal of Death Studies, Vol. 17, 1993*, pp. 369

عشرى ، مرجع سابق .

منده ، محمود محمد : قلق المستقبل وعلاقته ببعض مظاهر التوافق الدراسى لدى طلاب الجامعة ، القاهرة ، *المجلة المصرية للدراسات النفسية* ، مج ١٦ ، ع ٥٢ ، أكتوبر ٢٠٠٦ ، ص ص ٢٢٠–٢٦١ .

٢٥ – راغب ، نبيل : *أخطر مشكلات الشباب* ، القاهرة ، دار غريب ، ٢٠٠٣ ، ص ص ١٤–١٦ .

٢٦ – مندوه ، مرجع سابق .

٢٧ – Rappaport, op. cit.

٢٨ – فرويد ، سيجموند : *القلق* ، ترجمة عثمان نجاتي ، القاهرة ، دار الشروق ،١٩٨٣ ، ص ١٤ .

٢٩ – المرجع السابق .

٣٠ – الطيب ، مرجع سابق ، ص ١٣ .

٣١ – Goldenson, R.,: *Longman Dictionary of Psychology and Psychiatry*, U.S.A., New York, 1984, p. 53 .

٣٢ – Zaliski, Z; Future Anxiety: Concept, Measurment, and Preliminary Research, *Journal of Personality and Individual Differences, Vol. 21, No. 2, 1996*, pp. 165-170.

٣٣– Ibid., p. 185.

٣٤– عبد الخالق ، أحمد ؛ حافظ ، خيرى : حالة القلق وسمة القلق لدى عينات من المملكة العربية السعودية ، الكويت ، *مجلة العلوم الاجتماعية* ، مج ١٦ ، ع ٣ ، جامعة الكويت ، ١٩٨٨ ، ص ١٨٢ .

٣٥ – Brown & Goldstien, J. & Wallace, P. *An Introduction to Psychology*. U.S.A., Benchmark Publishers, 1994, p. 358.

٣٦– أبو الحسن ، سميرة : فاعلية برنامج إرشادى فى خفض قلق المستقبل لدى المراهقين المعاقين بصريا ، القاهرة ، المؤتمر السنوى الثانى عشر (مج ٢) مركز الإرشاد النفسى – جامعة عين شمس ، *المجلة المصرية للدراسات النفسية* ، مج ١٦ ، ع ٥٣ ، أكتوبر ٢٠٠٦ ، ص ١١٥٩ .

٣٧ – توفلر ، مرجع سابق ، ص ص ٣٨٠–٣٨٤ .

٣٨ – أبو الحسن ، مرجع سابق ، ص ١١٦١ .

٣٩ – عثمان ، فاروق السيد : *القلق وإدارة الضغوط النفسية* ، سلسلة المراجع فى التربية وعلم النفس ، الكتاب (١٦) ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ٢٠٠١ ، ص ص ٢٢–٢٤ .

٤٠ – المرجع السابق .

٤١ – Norten, P.,: Future Directions in Anxiety Disorders, Profiles and Perspective of Leading Contributions., *Journal of Anxiety Disorders, Vol. 14, No. 1, 2003*, pp. 69-90 .

٤٢ – معوض ، محمد عبد التواب : *أثر كل من العلاج المعرفى والعلاج النفسى الدينى فى تخفيف قلق المستقبل لدى عينة من طلبة الجامعة* ، رسالة دكتوراه ، كلية التربية ،جامعة المنيا ، ١٩٩٦، ص ٦٧ .

٤٣ – شند ، مرجع سابق ، ص ص ١١٣–١٨١ .

٤٤ – منصور ، طلعت : دراسة الآثار النفسية والاجتماعية للغزو العراقى لدولة الكويت ، الكويت ، *عالم المعرفة* عدد (١٩٥) ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٩٥ ص ٦٢ .

٤٥– كفافى ، علاء الدين : *الصحة النفسية (ط ٤)* ، القاهرة ، هجر للطباعة والنشر ، ١٩٩٧ ، ص ٣٥ .

٤٦ – Eysenck, op. cit.

٤٧– توفلر ، مرجع سابق ، ص ٣٦٢ .

٤٨– عبد الجواد ، ليلى ؛ الكردى ، مها : التغير الاجتماعى والزواج العرفى ، *المؤتمر السنوى الخامس "التغير الاجتماعى فى المجتمع المصرى خلال خمسين عاماً" ٢٠ – ٢٣ أبريل ٢٠٠٣ ، القاهرة* ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ٢٠٠٣ ، ص ص ٦٨٩–٧٥٧ .

٤٩ – الكردى ، مها : رؤى طلبة الجامعة للزواج العرفى (السرى) – معرفة وآثاراً ، دراسة استطلاعية ، القاهرة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، *المؤتمر السنوى الثامن "قضايا الشباب فى مطلع القرن الحادى والعشرين" ٢٣ – ٢٥ مايو ٢٠٠٦* ، ص ص ١٦١–١٩٨ .

٥٠ – سويف ، مصطفى : تعاطى المخدرات بين شباب الجامعات : تغير معدلات الانتشار عبر العشرين سنة الأخيرة ، *المجلة القومية للتعاطى والإدمان* ، مج ٤ ، ع ١ ، يناير ٢٠٠٧ ، ص ص ٤٧–٥٨ .

٥١ – الحسينى ، مرجع سابق ، ص ٨٤ .

٥٢ – انظر :

صالح ، سامية : *البطالة بين الشباب حديثى التخرج : العوامل ، الآثار ، العلاج وعلاقتها بالزيادة السكانية* ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ، د . ت ، ص ص ٩٣–٩٤ .

أبو شهبة ، فادية : الشباب وجرائم العنف ، *المؤتمر السنوى الثامن ، "قضايا الشباب فى مطلع القرن الحادى والعشرين" ٢٣–٢٥ مايو ٢٠٠٦* ، القاهرة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ٢٠٠٧ .

٥٣ – Zalcski, Z., op. cit., pp. 167-171.

٥٤ – توفلر : مرجع سابق .

٥٥– وهدان ، أحمد ؛ شريف ، إيمان : الشباب المصرى والهجرة غير الشرعية ، حلقة نقاشية ، *المجلة الجنائية القومية ، مج ٤٨ ، ع ١ ، مارس ٢٠٠٥* ، ص ص ٨٧–١٠٥ .

Abstract

FUTURE ANXIETY OF THE YOUTH

ITS MANIFESTATIONS AND REPERCUSSIONS:

A Theoretical Vision

Amal Hellal

This paper tries to shed light on the nature of future anxiety of the youth; besides, its various manifestations, as well as its repercussions on society caused by the increase of this feeling.

Meanwhile the paper seeks to present a theoretical vision in order to transform the negative energy of youth into a constructive one; an energy that enhances the development of the society and reduces youth anxiety.

التفكير البدوى وعلاقته بالتنمية فى المجتمع الصحراوى *

كامل عبد المالك **

تسعى هذه الورقة إلى إلقاء الضوء على المعوقات الثقافية المرتبطة ببعض مفاهيم التفكير البدوى لعملية التنمية الشاملة (الاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية ... إلخ) فى المجتمع الصحراوى . ويوضح هذا الهدف طبيعة وخصائص الثقافة السائدة فى هذه المجتمعات ، ويساعد على رصد جهود التنمية وأهم المعوقات الثقافية التى تواجهها . وتتضمن هذه الورقة خمسة محاور تحقق ذلك ، وهى : الحلال والحرام ، والقدرية ، والتفاؤل والتشاؤم ، والرزق والبركة ، والتبرعات وطرق الإنفاق .

مقدمة

تحتل الدراسات الأنثروبولوجية فى المجتمعات البدوية الصحراوية - وبخاصة فى البلاد العربية - أهمية خاصة ، حيث من المعروف أن نسبة كبيرة من المساحة الكلية فى هذه البلاد عبارة عن أرض صحراوية (٩٠٪) ، وتتجاوز هذه النسبة بكثير النسبة العالمية [1] . وإذا كانت مساحة مصر - مثلا - تزيد قليلا على مليون كيلو متر مربع ، فإن مساحة وادى النيل ودلتاه - والتى لا

* اعتمدت هذه الورقة على مادة ميدانية جمعت فى إطار بحث : المعوقات الثقافية للتنمية بالمجتمعات الصحراوية فى مصر "دراسة فى محافظة مطروح" بمنطقتى القصر والنجيلة ، واعتمد البحث على الأسلوب الأنثروبولوجى فى جمع وتحليل هذه المادة . وضمت هيئته : الأستاذ الدكتور محمد أحمد غنيم مشرفا ، وعضوية كل من الدكتور فوزى عبد الرحمن ، والدكتور كامل عبد المالك عمر ، والدكتور كامل كمال ، والدكتورة أمل محمود ، والدكتورة إحسان سعيد ، والأستاذ أحمد عبد الموجود ، والأستاذ عبد السلام محمد .

** خبير ، قسم بحوث المجتمعات الريفية والصحراوية ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

تتجاوز ٤٪ من المساحة الكلية لمصر - كانت تشغل لفترة طويلة معظم سكان مصر ، حيث كان يعيش بها حوالى ٩٧٪ من جملة السكان ، بينما كانت الصحراء تمثل ٩٦٪ من مساحة البلاد ، ولا تتعدى نسبة قاطنيها ٣٪ من المجموع الكلى للسكان [٢] .

وعلى الرغم من سعى الدولة إلى زيادة المساحة المأهولة بالسكان ، وذلك بالاتجاه للمناطق الصحراوية ، وخاصة فى النصف الأخير من القرن العشرين ، من خلال إنشاء العديد من المجتمعات العمرانية الجديدة خارج الوادى والدلتا ، والتوسع فى المشروعات القومية الكبرى فى سيناء وجنوب الوادى على وجه الخصوص ؛ لخلخلة التكدس السكانى بالمناطق القديمة ، ومواجهة الزيادة المطردة لمعدلات النمو فيه . فإن الصحراء مازالت تشكل أكبر من ٩٠٪ من جملة المساحة الكلية للبلاد فى الوقت الحالى ، وذلك يمثل أكبر التحديات لعملية التنمية .

هذا ، وقد ظهرت للتنمية فى الآونة الأخيرة رؤية ذات عمق إنسانى ، تضع حاجات الناس وتطلعاتهم أساسا لها ، وتستوعب كل اختياراتهم والفرص التى يتطلعون إليها ، وهى فى ذلك تستوعب كل الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية فى حياة الإنسان ، ومن ثم فهى تتمحور حول الإنسان ، فهى تنمية للإنسان وبالإنسان ومن أجل الإنسان [٣] .

وتبرز الحاجة إلى مثل هذه الرؤية ، حينما ننظر إلى أحوال التنمية فى مجتمعاتنا المحلية ، وبصفة خاصة تلك المجتمعات الصحراوية ، والتى عانت كثيرا من الإهمال والتدنى فى مستوى الخدمات والمشروعات التنموية المقدمة إليها على مدار سنوات طويلة . وإن كان الاهتمام قد تنامى بهذه المجتمعات خلال العقدين الأخيرين من القرن الماضى ، إلا أن جهود التنمية فى تلك المجتمعات مازالت تواجه حتى الآن الكثير من الصعوبات والمعوقات الناتجة - فى بعض الأحيان - عن عدم الفهم ، أو عدم محاولة فهم طبيعة ثقافة المجتمع الذى

تقام فيه التنمية ، والاعتقاد بأن نجاحها يتوقف أولا وأخيرا على دراسة المتطلبات المادية ، وتوفير الظروف الطبيعية والإمكانات الفنية فحسب بدون حاجة إلى تفهم النظم والقيم والتقاليد الاجتماعية التى تحكم أعمال الناس وتوجه سلوكهم وتصرفاتهم ، والتى قد تساعد على نجاح التنمية أو فشلها[٤] .

وقد أشار فوستر إلى أن معظم مشروعات التنمية التى فشلت كان فشلها راجع إلى عاملين أساسيين هما :

أ - ضعف إدراك المخططين والمشتغلين بالتنمية ، للثقافة السائدة فى المجتمع الذى تطبق فيه تلك المشروعات .

ب - الصعوبات التى يضعها أفراد المجتمع أنفسهم أمام المشروعات نتيجة لتمسكهم بثقافاتهم [٥] .

فليس ثمة شك أن الناس يفضلون دائما أساليب معيشتهم وأنماط سلوكهم المألوفة ؛ ولذا فإن عملية التنمية تجد كثيرا من المقاومة ، خاصة من ناحية الجوانب المعنوية (التى تتصل بالأفكار والعادات والتقاليد وقواعد العرف) عنها من الجوانب المادية [٦] .

غير أنه يجدر بنا الإشارة إلى أن الجانبين المادى والمعنوى يتفاعلان بشكل وثيق فى الممارسات الاجتماعية ، وحينما نبذل جهدا لتنمية الأساس المادى فينبغى أن يوازى ذلك جهد مصاحب لتشكيل الوعى الثقافى وترقيته ، فذلك مطلب ضرورى من أجل التنمية ، بل هو أحد مكونات عملية إعادة بناء المجتمعات النامية [٧] .

ولقد أثبتت التجارب العديدة فى مجال التغير التكنولوچى وتنمية المجتمعات المحلية فى العديد من المناطق النامية من العالم أن العوامل الثقافية - كالعادات والمعتقدات والاتجاهات والممارسات الاجتماعية ... إلخ - لها دور كبير وذات فاعلية ، وأكثر أهمية من حيث قبولها أو رفضها للبرامج الخاصة بعملية التنمية . فقبول أى برنامج للتنمية أو جزء منه لابد أن يكون مصمما بشكل يتفق مع

العوامل الثقافية السائدة فى أى مجتمع من المجتمعات [٨]؛ لأن أسباب تعثر التنمية بها - يرجع - فى كثير من الأحيان - إلى الرغبة فى التمسك بالقيم والموروث الثقافى ، ولعل ذلك قد يرجع للاعتبارات الآتية :

أ - عقيدة راسخة أن القديم سهل ومتقبل ، بينما الجديد يحتاج إلى جهد للاقتناع به وإدراك فائدته والإحساس بأهميته ، وتتمثل هذه النزعة غالبا عند كبار السن .

ب - الجهل والتخلف الثقافى من شأنهما عدم التمكن من متابعة أى جديد ، وذلك يزيد التعصب للقديم والتحيز له .

جـ - وجود رواسب باقية فى بعض أنماط التفكير والتقاليد والعادات والمعتقدات ، والتى تمثل نوعا من الركود الثقافى الذى يصعب الخروج منه [٩] .

هذا ، وقد أشار نيسر Neizzer إلى الفرق بين التفكير الواعى "المتعقل" ، والتفكير اللاواعى "غير المتعقل" ، حيث قال : "إن وجه الفصل الأساسى هو بين نوع التفكير المنطقى النابع من الواقع فى مقابل شذرات التفكير الخداع ، التى تظهر ثم تختفى ، ثم تعاود الظهور بصورة تبدو وكأنها لا تعرف مصدرها غير متبعة فى ذلك قوانين المنطق ، لكنها تتبع أهواء التداعى الحر" [١٠] .

وهذا ما ينبغى الإشارة إليه هنا ، حيث تعتبر المعوقات الثقافية للتنمية فى التفكير البدوى بالمجتمعات الصحراوية ، صورة من صور التفكير اللاواعى unconscious thinking . فقد ظلت العديد من الأفكار والآراء والأنماط السلوكية باقية حتى الآن عن طريق ما يسمى بغرس الأفكار [١١] ، وفى هذه المرحلة التكوينية ، تتوحد بمنتهى الدقة ، وتتماسك كل من الجوانب الفسيولوچية والعقلية للعادات ، أو طرق التصرف ، وطرق التفكير . فمثلا قد يقاوم الطفل تعاليم الكبار الذين يحيطون به ، ولكنه يعجز عن مقاومة النظام الذى تنبعث منه هذه التعاليم ، فهو لا يعرف نظاما آخر يقارنه به . إن نظامه يملأ كل أفق تفكيره ،

وهو ينتقل إليه عن طريق اللغة التى يتعلمها ويسمعها. إذن فهو لا يستطيع أن يتكلم أو يفكر إلا فى حدود ما يقبله مجتمعه أو يرفضه [١٢] .

وترتبط عملية التعود أيضا ارتباطا وثيقا بعملية غرس الأفكار ، بل أيضا فوق ذلك تؤيدها . فبينما نرى أن العملية الثانية تفرض الآراء والمعتقدات بطريقة الاتصال المباشر والتعليم ، نجد أن التعود عملية اطرادية يكيف الناس بها – بطريقة لا شعورية – أساليب تفكيرهم . إن الناس يلبسون لباس بيئتهم دون أن يفطنوا لما يفعلون[١٣] . ولهذا تعتبر الأفكار المعوقة ملزمة وجبرية ، حيث ينشأ الأفراد منذ ولادتهم عليها ، ويتمثلونها كأساليب وطرق وأنماط محببة لديهم ، ومقبولة عندهم ، ولذلك فلا يكادون يحسون ضغطها أو إلزامها لأنهم تعودوه . فهم يظلون فى حالة كمون ماداموا يسيرون فى سلوكهم وفقا لمقتضياتها، أما إذا حدثتهم أنفسهم بالخروج عليها ومخالفتها ، فإن الإلزام يخرج إلى الفعل ، ويثبت وجوده [١٤] .

ويرتبط بالتفكير السائد فى المجتمع الصحراوى العديد من المفاهيم المعوقة لعملية التنمية ، وغالبية هذه المفاهيم عبارة عن موروثات ثقافية ، وتصورات لا منطقية قننت قديما لأغراض محددة ، وتحت ضغوط وظروف اجتماعية وبيئية ملحة ، واستمرت حتى اعتبرت محرمات Taboos لا يمكن الخروج عليها ، واكتست بكساء الدين – وقد لا تكون منه فى شيء – لتجد القبول الاجتماعى لدى الغالبية . وبرغم قبول الأوضاع والظروف فإنها مازالت تلعب دورا سلبيا على عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية ... إلخ . وذلك من خلال مقاومة الأفراد للتغير بما يؤثر على الأخذ بالآراء والنظم والتقنيات الجديدة ، وتقلل من فرص الاتصال والتعاون والتفاعل داخل المجتمع الصحراوى ومع غيره من المجتمعات الخارجية على المستويين القومي والإقليمى ، مما ينعكس على كافة برامج ومشروعات التنمية .

هذا ، وستتناول هذه الدراسة مفاهيم التفكير الآتية فى المجتمع البدوى :

الحلال والحرام ، والقدرية ، والتفاؤل والتشاؤم ، والرزق والبركة ، والتبرعات وطرق الإنفاق .

أولا : الحلال والحرام

يعنى الحلال والحرام – فى نطاق العقيدة الدينية – ماحلله الله وما حرمه . أما التحريم – من وجهة النظر الاعتقادية المتوارثة – فإنه يعنى شيئا آخر . فالتابو "Taboo" هو التحريم الذى لو انتهك فإنه يقود بصورة آلية لإنزال العقاب عن طريق الدين أو السحر . ولقد اكتشف الرحالة جيمس كوك James Cook أن المصطلح بولينيزى الأصل ، وذلك خلال رحلته الثالثة حول العالم ١٧٧٧ . وفى الدراسات الدينية المبكرة ، فإن مصطلح Taboo كان يستخدم كعلامات أساسية للدلالة ، أو للتحذير ، أو للدفاع ضد الأخطار الأساسية .

وفسر فريزر التابو كنتيجة لاختراق المعتقدات الزائفة بصورة طارئة لبعض الممارسات المنطقية فى المجتمع المحافظ ، فى حين أوله رادكليف براون من خلال ربطه بين استمرار الطقوس الموجبة والسالبة ، وقيم المجتمع المحافظ [١٥] . وأشارت مارى دوجلاس Mary Douglas إلى أن خرق قانون التابو قد يجلب العقوبة أو الانتقام من الله والأشباح أو الأرواح الأخرى ، والتى قد تنتج أوتوماتيكيا كالأحداث المفزعة ، وفشل المحصول ، وتفشى الأمراض ، وكثرة حوادث الصيد ، والمجاعات ، وانتشار الجفاف ، والأوبئة [١٦] .

وفى كثير من المجتمعات يفرض نطاق التحريم حول بعض الآدميين ، الذين يظن أنهم مزودون بصفات خارقة أو خاصة ، فكان يحرم الاتصال بهم أو الدخول معهم فى علاقات ، أو لمسهم أو حتى لمس الأشياء التى يلمسها هؤلاء ، وانتشرت هذه الظاهرة فى المجتمعات التى كانت تقدس شيوخها ورؤساءها ، أو تلحق اللعنة ببعض الأفراد الذين يظن أنهم يمسكون الأرواح الشريرة والرجس ، كالأفراد ذوى اللون الأشهب ، أو ناقصى التركيب ، أو مشوهى الخلقة ، وكذلك البنات فور ولادتهن فى المجتمعات التى انتشرت فيها ظواهر وأد البنات ، فكان

يحرم الاقتراب منهن ، ويقذف بهن فى حفر عميقة ، ويهال عليهن التراب حتى لا يلوث الدور ومحال الإقامة بما فى رقابهن من رجس ودنس (١٧) .

وتجدر الإشارة إلى أن أفراد مجتمعى الدراسة يخلطون فى نظرتهم لمفهوم الحلال والحرام (على الرغم من وجود اختلافات إيكولوجية بين القصر والنجيلة) كما حددته الشريعة الإسلامية وما هو مأخوذ من عاداتهم وتقاليدهم وقيمهم المتوارثة ، والتى يرون أنها تتفق فى أوجه عديدة مع ما أتى به القرآن الكريم والسنة النبوية .

وهذا ما أكده أحد الأشخاص : "أهل البادية ناس بسطاء جدا وكثيرا ما يخلطون بين الدين والعادات والتقاليد" .

وأشارت غالبية حالات الدراسة إلى أن نظرة أفراد المجتمع للتحريمات النابعة من ثقافتهم التقليدية قد طرأ عليها الكثير من التغير ؛ نتيجة الاحتكاك إما بثقافات خارجية ، أو لتأثير التعليم ووسائل الإعلام المحلية والإقليمية والعالمية بأشكالها المختلفة (خاصة التحريمات المرتبطة بالشعائر والطقوس الجنائزية وزيارة الأضرحة ...). ومع ذلك استمر جانب كبير من التحريمات الثقافية تتناقل بين الأجيال حتى الوقت الحاضر ، واكتست بكساء الدين لتجد القبول وتتواءم مع الواقع المتغير . ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك :

أ - **السلوكيات الخاصة بالمأكل** : على الرغم مما طرأ على أفراد مجتمع الدراسة فى هذا الخصوص من تطور فى أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية ، إلا أنهم يفضلون تناول طعامهم بأيديهم ؛ على اعتبار أن ذلك من سنن الرسول ﷺ ولا يأكلون طعامهم باستخدام الأدوات الحديثة (الشوكة والسكين) ؛ على اعتبار أنها بدعة لم يألفها المجتمع من قبل .

وهناك قائمة من الأطعمة التى يأنفون منها ولا يأكلونها : الجمبرى ، والاستاكوزا ، وأم الخلول . وتدعى لديهم "بأبو بظيو أو أبو ظوية" ، وإذا قاموا باصطيادها (من ساحل البحر بمطروح) فإنهم يذهبون بها إلى الإسكندرية

لبيعها هناك ، كذلك يعتبر سمك القرموط من الأطعمة غير المألوفة التى لا يأكلونها ، وكذلك كافة أنواع الأسماك المثلجة . أما الطيور البرية فإن غالبية الأفراد لا يقبلون على صيدها، ويستثنى من ذلك طائر السمان (الذى تم تحريم صيده فى الفترة الأخيرة (بعد تفشى مرض انفلونزا الطيور). ويرون – مثلا – أن طائر "الهدهد" محرم صيده لدلالة دينية ، حيث ذكر فى القرآن الكريم حينما خاطب نبى الله سليمان عليه السلام وكان رسوله إلى بلقيس ملكة سبأ ، ويرون أن لفظ الجلالة "الله" كتب على جناحيه . كذلك لا يأكلون العصافير البلدية (يسمونها بالعصافير الوطنية) ، والطيور البرية ، مثل : البومة ، والغراب ، والحداية ، والنسر ، وأبو قردان ، وإن كانوا يسعون للتخلص منها لارتباط أغلبها بالتشاؤم (على نحو ماستوضحه نقطة قادمة من هذه الورقة) ، حيث لا يدركون أنها تؤدى رسالة كبرى فى التوازن البيئى لدورها فى القضاء على الهوام (كالقوارض والفئران ... إلخ) ، والتى قد تهلك زراعتهم . ومع ذلك فهناك البعض منهم من يأكل أبو قردان ، والجربوع الجبلى (حيوان صحراوى صغير شبيه بالفأر) ، إلا أنهم يرون أن هناك فرقا بين الجربوع الذى يأكلونه والبيوض الذى يقولون إنه ينتمى لنفس العائلة التى أتت منها الفئران على خلاف الجربوع الشبيه بالأرنب (على حد رؤيتهم) .

وأشار العديد من أبناء قرية "القصر" إلى أنهم كانوا معتادين على صيد الغزال البرى لأكل لحومه ، إلا أنهم قد توقفوا عن ذلك السلوك فى الوقت الحاضر ، ويعتبر صيد وأكل لحم الغزال محرما ؛ وهذا راجع لرؤى عديدة ، من أهمها : "أن الغزال كان محلل صيده وذبحه قديما ولكن فى الوقت الحاضر عرفنا أنه محرم ، لأننا عندما نصطاد الغزلان نجد لديها لبن فنعرف بأن لديها صغارا ، فنترك كى تربى صغارها ، وأن من يخالف ذلك ويقوم بصيدها يتوفى (يموت) بعد عملية الصيد بمدة تتراوح من خمسة إلى سبعة أيام ، وهذا ما حدث هنا لأحد أبناء المجتمع" .

والجدير بالذكر أن اتجاه أفراد المجتمع إلى ذلك السلوك قد يرجع إلى الجهد الكبير والواضح الذى قام به جهاز شئون البيئة من حملات لتوعية البدو بكيفية التعامل مع الحيوانات والنباتات البرية ؛ وذلك لأجل حمايتها من الانقراض . وفى هذا الإطار أنشئت العديد من المحميات الطبيعية ، والتى أنيط لها القيام بهذا الدور الرائد من أجل حماية الكائنات البيئية عن طريق ترسيخ الثقافة البيئية لدى المقيمين فى تلك المناطق الصحراوية .

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن الغالبية من الأفراد فى مجتمعى الدراسة وكافة البدو بالصحراء الغربية لا يقبلون على تناول اللحوم المعلبة ، ويعتبرونها تدخل ضمن نطاق الشبهات ، مما قد يعدها محرمة دينيا ؛ وذلك لعدم إدراك مصدرها التى أتت منه ، وطبيعتها ، وطرق إعدادها ... إلخ .

والحقيقة أن هناك محرمات عديدة فى الأطعمة البدوية ، ومع ذلك فقد يستخدمونها ، ويبررون ذلك بدافع الاضطرار لأغراض العلاج والتداوى . فمثلا ، قد يوصف لحم الثعلب البرى لمرضى الحمى ، وبول الإبل المخلوط بلبنها لعلاج الكحة المزمنة (الشحارة) أو لعلاج اختلالات صمام القلب .

ويتضح مما سبق أن تلك التحريمات المتعلقة بأنواع معينة من الأطعمة دون غيرها لا تنبع من أسس دينية أقرتها الشريعة الإسلامية ، وإنما تعود إلى المقررات الثقافية التى أوجدتها ثقافتهم التقليدية ؛ على اعتبار أنها ميراث الآباء والأجداد ، الذى استمر بالتوارث بينهم من جيل لآخر .

وتجدر الإشارة إلى أن مثل هذه الأفكار أو الرؤى لا تتواءم مع مبادئ التنمية الصحية والاقتصادية (مع التسليم بمبدأ النسبية الثقافية فيما يتعلق برؤية أفراد المجتمع فى ذلك) . حيث لا تدرك الفائدة الصحية لهذه الأطعمة فى ضوء تكامل العناصر الغذائية فى إطار شروط الوجبة الكاملة أو السليمة ، هذا بالإضافة لكونها عناصر غذائية متوافرة فى بيئتهم ويمكن الحصول عليها

بسهولة ، أو قد تعد ذات جدوى اقتصادية مرتفعة ، تساعد فى تحقيق التنمية بأبعادها المختلفة داخل أى مجتمع من المجتمعات إذا أمكن الاستفادة بها .

ب - **الموقف من المرأة** : بينت الدراسة - فى ذات الإطار - أن غالبية التحريمات الثقافية فى مجتمعى الدراسة كانت من نصيب المرأة البدوية ، حيث تدور حولها وتتعلق بها العديد من التحريمات التى أوجدتها الثقافة التقليدية لترسم - بحذر - كافة المناشط الخاصة بها وبمناحى حياتها ، وتحدد - فى ذات الوقت - طبيعة علاقاتها وأدوارها ، سواء على مستوى أسرتها ، أو حتى على مستوى المجتمع الصحراوى الذى تعيش فيه .

فيفرض على المرأة نطاق من التحريمات تمنع الاتصال بها أو اتصالها هى بغيرها ، وتحدد تحركاتها خارج منزلها ، ويفرض عليها ملبس محدد إذا سمح لها بالخروج ، ويكون توقيت خروجها فى الغالب نهارا ، حيث تمنع من ذلك ليلا تحت كل الظروف ، باستثناء حالات المرض أو وفاة أحد من الأقارب ، وأن يكون ذلك برفقة زوجها أو أى من أهل بيته . وهذا ما أوضحته الدراسة الميدانية فى المثال التالى الذى يبين قوة التحريمات حول المرأة ، كما يشير إلى طبيعة المعوقات الثقافية للتنمية الاجتماعية والاقتصادية داخل المجتمع . حيث رفضت أربعة تجمعات (العمده ، شتيوى ، جرجوب ، المنعة) بمركز النجيلة إعطاء أية معلومات للقائمين على جمع بيانات التعداد السكانى (٢٠٠٦) ؛ وذلك بزعم أن هذه البيانات تتعلق بأسماء الأسر وأبنائها ، وهذا يتصل بأسماء الزوجات والإناث ، وهى أمور لا يجب أن يطلع عليها أحد (لارتباطها بالشرف) ، ولا يتم تداولها إلا فى نطاق قرابى محدد .

هذا ، وعلى الرغم من أن القائمين على جمع هذه البيانات كانوا ينتمون إلى المجتمع البدوى ، غير أنهم لم يستطيعوا إقناع بنى عمومتهم بأهمية هذه البيانات فى مجالات عديدة ، سواء للمجتمع البدوى ، أو للمجتمع القومى الكبير ، واكتفوا برفع الأمر إلى الهيئة العامة للتعداد، حيث قامت الأخيرة بدورها

برفع طلب إلى المجلس الشعبى المحلى بالنجيلة لحث أبناء تلك المناطق على الاستجابة وإعطاء البيانات المطلوبة .

والحقيقة أن التحريمات الخاصة بالمرأة البدوية تتعدد ، حيث لا يسمح لها بالخروج للتعليم . فعلى الرغم من التغيرات التى طرأت على هذا الجانب فى الوقت الحاضر ، فإن غالبية من أكملن تعليمهن على مستوى إجمالى السكان بمحافظة مطروح كانت لا تتجاوز نسبتهن ٦ ٪ (طبقا للتعداد العام للسكان لسنة ١٩٩٦) ، وتقع غالبية هذه النسبة فى مدينة مطروح ، فى حين تقل النسبة وتسوء الأوضاع التعليمية بشكل عام وللمرأة بشكل خاص كلما اتجهنا إلى داخل الصحراء فى النجوع والتجمعات القبلية ، حيث عدم الاهتمام بتعليم الإناث ؛ نتيجة لرسوخ الثقافة التقليدية ، وانتشار الجهل والأمية ، وتراجع معدلات التنمية ، وندرة المدارس بمراحلها المختلفة مع تشتت التجمعات السكنية ، مما فرض عليهن شبه عزلة جغرافية أوجدتها المبادئ القبلية (القائمة على التقسيم القبلى والتوزع الإقليمى) ، وبالتالى تكريس الغالبية العظمى للملتحقين بالتعليم فى الذكور على حساب الإناث .

هذا ، وتنحصر غالبية المتعلمات فيمن حصلن على الشهادتين الابتدائية والإعدادية . حيث لا تسمح غالبية أولى الأمر بتجاوز بناتهم تلك المرحلتين ؛ وذلك مرده إلى العديد من الأفكار والبواعث القيمية التى تنم عن فهم خاطىء غير واع . فقد يتصورون أن تعليم الإناث سيجعلهن عرضة للخروج على عادات وتقاليد وقيم المجتمع ، وأن التعليم غير مجد لهن طالما مآلهن الزواج وعدم خروجهن للعمل . فالمغالاة بدافع الخوف على التقاليد والعادات الموروثة تجعلهم يتصورون أن خروج الإناث للتعليم يعنى أنهن سيصبحن أقل التزاما من الناحية الخلقية ؛ وذلك لرؤيتهم أن الإناث سيختلطن بالغرباء ، وذلك يتصل بالشرف وبسمعة القبيلة ، وهى من الأمور التى لا تقبل النقاش أو الجدل ، ولا يختلف عليها أحد فى المجتمع البدوى كله . غير أن مثل هذه النظرة كفيلة بإجهاض أى رؤية تنموية ،

خاصة إذا كانت المرأة تمثل نصف المجتمع ، وتقوم بدور محورى فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية .

وقد تكون أسباب تلك النظرة للمرأة راجعة للفهم الخاطئ للتعاليم الدينية وتحريفها بصورة غير صحيحة . فقد ينظرون إليها - المرأة - باعتبارها عورة ويجب ألا تخرج من بيتها ، وأن تغطى جسدها كله ووجهها بملابس قاتمة ، ولا تختلط بأحد . وكذلك يرون أنه من الضرورى ألا تظهر أمام أحد ، وألا تعمل بأى عمل خارج بيتها [١٨] . فغالبية أفراد مجتمعى الدراسة (القصر ، النجيلة) لا يسمحون لزوجاتهم أو بناتهم بالخروج للعمل ، سواء بالقطاع الحكومى أو الأهلى ، ويعتبرون الأمور التى تتعلق بالاختلاط تتصل بالعيب أو العار الذى قد تجلبه المرأة على زوجها وأسرتها إذا خرجت للعمل .

هذا ، وقد أكدت دراسات عديدة على وجود مثل هذه الرؤية فى العديد من المجتمعات التقليدية بالمجتمع المصرى ، نذكر منها الدراسة التى أجراها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بعنوان : المجتمعات الصحراوية فى مصر دراسة إثنوجرافية للنظم والأنساق الاجتماعية بشمال سيناء (١٩٩١) ، ودراسة هوبكنز Hopkins فى ريف ست محافظات مصرية (ثلاث منها فى الوجه القبلى وثلاث محافظات أخرى فى الوجه البحرى) ، حيث تضمنت نتائج دراسته : "أن كثيرا من النساء فى تلك المناطق يمنعن من الخروج للعمل على اعتبار أنه يمثل عيبا أو عارا "Shameful" للأسر التى تخرج منها هذه النساء [١٩] .

والحقيقة الجديرة بالذكر أن موقف أفراد المجتمع من خروج المرأة إلى التعليم والعمل ليس هما الجانبين الذى حددتهما الثقافة التقليدية لتقييد حركة المرأة داخل المجتمع ، بل إن هناك العديد من التحريمات الثقافية التى تكبل حركة المرأة ، بداية من طفولتها وخلال مرحلة التنشئة والتى ترسخ العديد من هذه التحريمات وتحيطها بها حتى تصل لسن الزواج ، وفى هذه المرحلة لا يسمح لها بالاختيار أو رؤية من فرض عليها حينما يتقدم لخطبتها ، حيث يتم إنابة من يقوم

عنه (أحد أقربائه من النساء الذى يثق فيهن وغالبا ما تكون أمه أو أخته) ، وقد لا يتمكن من رؤيتها إلا بعد زفافها إلى بيته .

وهذا ما أكده أحد الأشخاص بقوله :

"الخاطب غير مسموح له برؤية خطيبته إلا ليلة الدخلة ، وأنا حدث معى ذلك ، برغم أنى شاب متعلم وخطيبتى كذلك وكانت تسكن بالحضر (مدينة مرسى مطروح) ، ونحن كشباب مظلومين فى هذه النقطة" .

فى حين أشار شخص آخر إلى ذلك بقوله :

"هذه عاداتنا وتقاليدنا لن تتغير أبدا ، ولا نريد أن نغيرها ، فنحن نحب أن نتبع منهج الله وسنة رسوله ﷺ .

كذلك يعتبر أفراد مجتمعى الدراسة أن مشاهدة النساء للبرامج العادية فى التليفزيون مع الرجال داخل إطار الأسرة الواحدة من الأمور المحرمة اجتماعيا ، وتؤثر على مكانة الأسرة داخل المجتمع ؛ وذلك على اعتبار أنها لا تتواءم مع المقررات الثقافية والاجتماعية المتوارثة منذ قديم الأزل ، وقد يستثنى من ذلك البرامج الإخبارية والدينية ، بعد الاستئذان فى حالة عدم وجود الغرباء .

وتعد مثل هذه الأفكار من أبرز العقبات التى واجهت التنمية فى المناطق الصحراوية فى الكثير من دول العالم ، حيث إن أصحاب الثقافات السائدة فى تلك المناطق لا يعتبرون الماضى مجرد تاريخ قد انتهى ، ولكنهم ينظرون إليه باحترام وتقدير . وبعبارة أخرى ، إن قيم وتقاليد وعادات وأفكار الأجيال السابقة تمثل رواسب فى نفوس أبناء هذه الثقافات، وتظل تحظى بنفس التقدير والاحترام وقوة الاعتقاد والالتزام بها واتباعها ، وهذا يمثل أكبر معوقا للتنمية والتقدم [١٩] .

هذا ، ويعتبر أفراد المجتمع أن عرض زوجاتهم أو بناتهم البالغات على أطباء ذكور (عند مرضهن) من الأمور غير المقبولة ، والتى يجب أن تتم فى إطار من الرقابة التامة والشديدة (لا يختلف فى ذلك قرية القصر القريبة من مدينة

مطروح عن مركز النجيلة البعيدة عنها) ؛ لأن ذلك يعد فى رؤية أفراد المجتمع من الأمور التى تتنافى مع ثقافتهم ودينهم (الخلوة مع الغريب) ، ولهذا يقوم الزوج بمرافقة زوجته حتى داخل حجرة الطبيب .

وينظر أفراد المجتمع لمن تذهب من النساء إلى الطبيب بمفردها دون رفقة زوجها على أنها امرأة تحكم زوجها ، ويقولون عنها :
"هذه عصمتها بيدها" ، أى أن السيادة تؤول إليها داخل أسرتها. ويصل الأمر – فى بعض الأحيان – على حد قول أحد الأشخاص : "إن الزوج قد يترك زوجته تموت أثناء الولادة إذا كانت متعثرة ، ويعتبرها شهيدة بدلا من أن يذهب بها للطبيب . وحتى إذا اضطر لذلك أجرى الولادة لها قيصرية حتى لا تنكشف زوجته على ذلك الطبيب (الرجل الغريب)" .

جـ – **الموقف من تنظيم الأسرة** : تبدو معوقات التنمية فى المجتمع البدوى الصحراوى فى أوضح صورها أيضا فى معارضة فكرة تنظيم الأسرة ؛ لتعارضها مع المحرمات الدينية والقيم البدوية ، على الرغم من اتجاه أفراد المجتمع فى الوقت الحاضر إلى تبنى الفكرة ، ولكن بصورة ضعيفة أو محدودة لا تعبر عن التوائم معها بصورة طبيعية وصحيحة .

فقد بينت الدراسة الميدانية أن متوسط إنجاب الزوجة الواحدة داخل الأسرة فى الماضى كان يتراوح فيما بين ١٥-١٩ فردا ، تراجع فى الوقت الحاضر ليصل إلى ٥ -٦ أفراد (لوحظ أن المجتمع ترتفع به نسبة تعدد الزوجات) .

ويرجع اتجاه بعض أفراد المجتمع نحو فكرة التنظيم – ولو بشكل نسبى – إلى ضعف الدخل وسوء الحالة الصحية (للأمهات) خاصة ، وتدهور الأوضاع الاقتصادية فى المجتمع الصحراوى عامة .

أما الغالبية منهم فمازالت تنظر إلى تنظيم الأسرة على أنه يتنافى مع قيمهم وعاداتهم ، وأن الأولاد يعدون "عزوة وسند فى الحياة" ، ويرون أن إتجاههم

المطلق فى تحديد أطفالهم يعد مخالفة للتعاليم الدينية التى نادت بها الشريعة الإسلامية .

ويتفق ذلك مع ما أشارت إليه العديد من الدراسات التى أجريت على جماعات قبلية ، حيث أكدت أن تلك الجماعات ترى أن كثرة الأولاد قوة داخل العشيرة وخارجها ، ترفع الآباء إلى مراتب الرئاسة ، وقوة خارج العشيرة يهابها الأعداء ويتحاشون غزوها ، ويخشون بأسها . وكان أكثر ما يفخر به الرجل ويملؤه زهوا واعتدادا أن يسير وخلفه أبناؤه وأحفاده بعدد كبير[٢٠] . والحقيقة أن مثل هذه الأفكار تتنافى مع ماتنادى به مبادئ التنمية ، سواء أكانت الصحية أم الثقافية أم الاقتصادية أم الاجتماعية فى أى مجتمع من المجتمعات .

د - **الموقف من المعاملات الاقتصادية الحديثة** : ترى الغالبية العظمى من أفراد المجتمع أن شهادات الاستثمار والقروض البنكية وما يرتبط بها من مشروعات مختلفة من الأمور التى لا تتواءم بأى حال من الأحوال مع معتقداتهم وقيمهم الثقافية والدينية ؛ ولذلك تعد حراما لكونها "ربا" . ويربط أفراد المجتمع بين ما آلت إليه أوضاعهم فى الوقت الحالى من تدهور وركود وامتناع المطر عن السقوط ، وبالتالى انتشار الجفاف وموت قطعان ماشية الرعى وتناقص أعدادها بشكل كبير ، وذلك كله بسبب إقبال البعض على القروض البنكية لعمل مشروعات خاصة (تكسير الأحجار الجيرية أو شراء سيارات نقل أو محاجر) . فيقول أحد الأفراد : "عائلات كبيرة هنا أخذو فلوس من البنك وعملوا كسارات واشترو عربيات ، وبالرغم من تحقيقهم لبعض الربح فى بداية الأمر إلا أنهم خسروا كل أموالهم وباعوا أرضهم ، وعشان كده مافيش حد بيروح ناحية البنك" . ويشير آخرون إلى أن طبيعة الشخص البدوى لا تؤهله للاستثمار فى البنوك ؛ لأن معيشته فترة طويلة فى بيئة صحراوية قاسية ، ومحدودية خبرته وفهمه لطبيعة الحياة فى ظل عادات وتقاليد

تطبع فى أغلبها بالجوانب الدينية وتكبله فى إطار هذا العالم التقليدى ، مما جعله أسيرا لتلك التعاليم ، وبالتالى كانت رؤيته تتجه لما ألفه وخبره وجربه ، فكانت استثماراته إما فى ماشية الرعى (الأغنام) ، أو فى التجارة بها أيضا فى الأسواق الموجودة فى المجتمع ، أو لشراء الأرض الساحلية ، أو داخل مدينة مطروح كاستثمار سياحى (بناء العقارات) .

وتجدر الإشارة إلى أن أفراد مجتمعى الدراسة (القصير ، النجيلة) قد رفضوا العديد من القروض المقدمة من جهات عديدة ، كالصندوق الاجتماعى ، وتنمية القرية ، والحكومة المصرية ممثلة فى المحافظة (مطروح) .

ويرى الكثير من أفراد المجتمع أنهم يمكنهم قبول القروض بشرط ألا تحدد الجهة المانحة قيمة الفائدة المطلوبة ، ولكن يمكن إضافة الثمن إلى الفائدة دون إخطار البدو بذلك ، ويتم تقسيم المبلغ المقدم على أقساط . وفى حالة الآلات الزراعية أو وسائل النقل ، يرون أنه يجب ذكر الثمن الإجمالى أيضا دون إخطار البدو بالقيمة الحقيقية والفائدة كل على حدة . وترجع هذه الرؤية المتغيرة لدى البعض نتيجة تردى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، خاصة فى السنوات الخمس الأخيرة ، هذا بالإضافة إلى الآثار الإيجابية لمشروع البنك الدولى (تنمية موارد مطروح حاليا) ، ومن قبله المشروع الألمانى الذى استمر فى المنطقة لمدة تقترب من العشر سنوات ، حيث شيدت العديد من الآبار ، وزرعت آلاف من شتلات التين والزيتون ، وعبدت الطرق ، وأقيمت المشروعات الصغيرة للمرأة (غزل الصوف ، وتربية الطيور ... إلخ) .

ولا ينكر الكثير من البدو الفوائد التى عادت عليهم من تلك المشروعات ، ويؤكدون أنها صنعت حياة ، وساعدت على الاستقرار. ومع ذلك يرفضون الاقتراض بكل صوره لإقامة المشروعات إذا ارتبط ذلك بفائدة .

والحقيقة التى أكدها الكثير من الأراء أن موقف الغالبية العظمى من أبناء

المجتمع من القروض ورفضهم لها يرجع إلى السلطات الرسمية للدولة والجهات المانحة ، فالدولة قدمت لهم العديد من المنح والمساعدات بدون فائدة ، بل لفتت أنظار الجهات الدولية المانحة كالبنك الدولى وغيره من الجهات الأخرى إلى أن أوضاع من يقطنون تلك المناطق متردية اجتماعيا واقتصاديا فقدمت لهم تلك الإعانات فى صورة منح لا ترد أيضا . وحينما سعت الدولة لتقديم القروض بفائدة بسيطة رفضها البدو بزعم التحريم "الربا" ، وأن الثقافة التقليدية تتناقض مع ذلك ، مما أدى إلى انتشار السلبية والتواكلية وقتل روح المبادأة فيهم ، وجعلهم متقاعسين يؤلون الكثير من أمور حياتهم بصورة لا تتفق مع مبادئ الدين الإسلامى وتعاليمه التى يقضى بها ، واحتياجاتهم وما تتطلبه التنمية فى مجتمعهم على نحو ما توضحه النقطة التالية .

ثانيا : القدرية Fatalism

يرتبط الاتجاه الخاص بالإيمان بالقدرية ببعض القوى التقليدية وممارساتها التى تعوق التوسع المطرد والتنمية بكافة صورها . وقد اختبر الناس فى المجتمعات الصناعية رغباتهم وميولهم بدرجة عالية من الكفاءة وبشروط اجتماعية ممكنة ، فأى مطلب اجتماعى مرغوب فيه ليس إلا مجرد حاجز يمكن التغلب عليه ببراعة ، بل إن الاعتقاد السائد لديهم أن أى شىء يمكن إنجازه ، أو يحاولون فعل ذلك فى ضوء خطة سليمة وكفاءة عالية . وعلى العكس من ذلك نجد المجتمعات غير الصناعية ، حيث درجة التسلط على الطبيعة أو على الظروف الاجتماعية تكون عادة منخفضة جدا" [(٢١)] .

فالبدوى فى المجتمع القبلى التقليدى يشعر دائما أنه مسير ولا مجال أمامه للاختيار ، وهو يؤمن إيمانا عميقا بالقضاء والقدر ، وبأن الله ينظم الكون ويقسم الرزق ، وذلك راجع إلى قوة تأثير الدين فى سائر الشئون العامة لحياته (إلا أنه لا يدرك البعد الحقيقى المتضمن فى هذا الإيمان أى الجد فى العمل والأخذ

بالأسباب) ، فالبدوى يعد الأرض ، ويحرثها ويبذر الحب ثم يقول "تحت الله يازرع الله" ، فإذا لم يسقط المطر فعليهم أن يستعدوا للرحيل ، وإذا سقط المطر فقد يخشى الرياح الموسمية العنيفة التى قد تطمس الآبار ، وتودى بصغار الماشية ، ومن ثم فإن البدوى لديه هذا الإيمان السلبى العميق بالقضاء والقدر ، حيث يرى أن لا قدرة له على الاختيار [٢٢] .

ولقد اتضح أن أفراد مجتمعى الدراسة يؤمنون إيمانا عميقا بذلك الاتجاه ، وذلك يبين سلبيتهم وتواكلهم ، وأنهم لا يمتلكون أية قدرة لتغيير أو تعديل أو رؤية لحل مشكلاتهم الاجتماعية والاقتصادية فى بيئتهم التى يعيشون فيها، فتلف الزراعات ، أو موت القطعان ، أو إصابتهم بأية أمراض معدية يردونها لغضب الله وحده ، وليس لهم أى دخل فى حدوث ذلك . ويتصورون أن أسباب الغضب الإلهى ترجع إلى تصرفات البشر التى تعد خروجا على التعاليم الدينية الصحيحة .

فيقول أحد الأشخاص :

"البدوى لا يستطيع تغيير أى شىء من قدر الله ، لأنه لا يملك أمام ذلك شىء ، وأى شىء يحدث فى الطبيعة ملك لله وليس للبشر قدرة على تغييره ، ولما بيحصل إحنا بنسكت لأننا مانقدرش نعمل أى حاجة" .

ويقول آخر :

"أنا قليل الحيلة ، مانقدرش نعمل حاجة ، ما فى يدى شىء ، ما نتحرك خالص ، تلاقينا دائما نشكو وبس عايزين كل حاجة تتعمل لنا بدون مانخسر ، مشروعات آبار ، زراعة ، وإن حصل عكس كده نبقوا عاجزين مش قادرين نعمل شىء ونضرب كف على كف". وتلك الرؤية تماثل ما يحدث لدى المجتمعات النامية والمنعزلة فى الكثير من دول العالم ، فقد يخضع الإنسان لهذه الظروف دون أى محاولة لتحسينها ، ويرجعون كل ما يحدث لأمر الله ، وقد يكون ذلك أفضل السبل للتكيف مع الظروف التى قد ييأس منها الإنسان ، غير أنها تعد رؤية سلبية معوقة للتنمية والتغير [٢٣] .

ويتضح إيمان أفراد المجتمع بذلك الاتجاه فيما يتعلق بنظرتهم للأمراض التى قد تصيبهم ، ويرون أنهم لا يمكنهم ردها أو دفع أذاها عن أبنائهم ؛ ولذلك يتسمون بالسلبية فى مجابهتها . ومن أهم الأقوال التى ترددت فى ذلك مايلى :

يقول أحد الأشخاص :

"الأمراض الموجودة قضاء وقدر ، مالناش دخل فيها إيش نعمل (ماذا نفعل؟)" .

ويقول آخر :

"الطفل الجميل حيموت ما يعيش أبدا لأنه ممكن يعمل فتنة فى الأرض . فلما يبقى الطفل تعبان نقعد ونسكت وساعات نمشى به للدكتور لما الحالة تصل إلى الذروة" .

ويتبين مما سبق أن تلك التأويلات التى تخلط بين الحقيقة والزيف تنم عن قصور فى الإدراك ، أولا بروح أو جوهر العقيدة الدينية الصحيحة ، وثانيا بالثقافة الصحية السليمة وتلك التواكلية من أفراد المجتمع لا تستند إلى منطق علمي صحيح ، بل إلى بعض موروثات الآباء والأجداد التى قد تعتبر من أكبر معوقات التنمية الاقتصادية والصحية والاجتماعية ...

ولقد وجدت مثل هذه النظرة التى تنم عن اللامبالاة الشديدة فى الكثير من المناطق الريفية بقارة أمريكا اللاتينية ، وأشارت إليها الأنثروبولوجية الكولومبية فرجينا جيترز دى بندا Virgina Gutierrez Depinda خلال دراستها للعوامل الثقافية الخاصة بارتفاع معدل موت الأطفال ، فقالت : حينما يموت طفل يقول الوالدان "قضاء وقدر لايمكن إبعاده" . وفى مقاطعة Santander يقول الغالبية عند موت الطفل الجميل "هذا الطفل ليس لهذا العالم" ؛ ولذلك فإن الوالدين يكونون مهيئين أنفسهم بنسبة ٥٠٪ لموت الطفل ، أما إذا استرد عافيته فإنهم يقولون "انظر لقد استرد عافيته بدون العناية الطبية ، فالله لا يريد أن يميته". ووجدت Depinda خضوعا فيزيقيا فى الأوقات الصعبة يستحوذ على ثقة الناس ، فعندما كانت تلح على والدى الطفل المريض لأخذه لأحد الأطباء ليراه فإن

غالبيتهم كانوا يهزون أكتافهم فى لامبالاة ، ويجيبون "الغنى يموت أيضا على الرغم من امتلاكه المال للعناية الطبية" [٢٤] .

ومثل هذا الاعتقادات التى تسود الكثير من المجتمعات التقليدية تؤدى إلى إعاقة التنمية الصحية ، حيث يعانى الأطباء صعوبة فى عملهم للحصول على ثقة الأهالى للعمل معهم ولهم [٢٥] .

وتجدر الإشارة إلى أن اتجاه القدرية يمتد ليشمل كل مناحى الحياة الاجتماعية والاقتصادية لأفراد المجتمع البدوى ، ويهيمن على أسلوب حياتهم وطرق تفكيرهم ، وقد يكون ذلك راجعا – كما أسلفنا فى نقطة سابقة من هذه الدراسة – للظروف البيئية أو الأوضاع الاقتصادية ، إلى جانب ثقافتهم التقليدية التى حافظوا عليها لا لشىء إلا لكونها ميراث الأجداد ، مما أدى إلى نبذ أى محاولة لتبنى أفكار أو آراء أو نظم جديدة ، وذلك ساعد على انتشار الجهل والتخلف ، وبالتالى عدم إدراك الدور البشرى الإيجابى الذى أكدت عليه العقيدة الدينية الإسلامية من خلال العمل بالأسباب "التوكل" ، وترك الثمار المتوقعة لله إن شاء منح ، أو أعطى أو إن شاء قضى بغير ذلك ، وليس "التواكل" والذى يعنى التهرب من المسئولية والتقاعس أو التكاسل ، وذلك أقل ما يقال عنه أنه يفتك بالتنمية .

ثالثا : التفاؤل والتشاؤم

وثمة اعتقاد زائف آخر يرتكز على المبدأ العام الذى يرتكز عليه السحر (أى تداعى الأفكار والرمزية القائمة على التشابه) ، ويتمثل فى أبسط صوره فيما يشعر به الإنسان من تفاؤل أو تشاؤم لرؤيته حيوانا أو طائرا معينا ، أو حتى إنسانا آخر له صفات معينة قد تؤذى الآخرين ، ويوجد حوله اتفاق جمعى من أفراد المجتمع على وجود هذه الصفات غير المحببة به والتى قد تلحق الضرر بغيره . ولقد ورد التشاؤم فى القرآن الكريم بمعنى الطيرة . إذ كان الناس يتطيرون أو يتشاءمون بأنبيائهم أو الذين اتبعوهم . فاليهود مثلا كانوا إذا حدث

لهم مكروه يتطيرون بموسى ومن معه ، "وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه" * وقد تطير أهل أنطاكية بحوارى المسيح عندما جاءوهم ليبلغوهم الرسالة "قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم ، قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون" ** . والآيات الدالة على ذلك كثيرة ، ولقد ذم الله ذلك الاعتقاد ، ونهى عنه الرسول ﷺ ، حينما قال :"لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر" ، وقال :"إذا تطيرتم فامضوا ، وعلى الله فتوكلوا" وقال أيضا : "من عرض له من هذه الطيرة شيء فليقل :"اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك[٢٦] . وهذا يعنى أن الرسول ﷺ كان أعلم بنفوس البشر ، وأنه من الصعب إقتلاع المعتقدات الموروثة بينهم من قديم الزمن ، ومن أجل هذا أراد أن يفض عنهم الشعور بالتشاؤم ، فأمرهم بالالتجاء إلى الله والابتهال إليه ، حتى لا يكون ما عرض لهم من ظاهر الشؤم أى آثار على نفسياتهم ، وبحيث لا تعوقهم أو تحول بينهم وبين عملهم الذى عقدوا العزم على القيام به أو إنجازه[٢٧].

وقد أوضحت الدراسة الميدانية أن أفراد مجتمعى الدراسة (فى القصر ، النجيلة) مازالوا يؤمنون بذلك الاعتقاد ، وإن كان قد طرأ تغير طفيف لدى البعض فى منطقة القصر فى تحللهم من الإيمان بذلك الاعتقاد بشكل مطلق ؛ وذلك راجع إلى تنامى المؤثرات الحضارية المختلفة لاقترابهم من مدينة مطروح ، وارتفاع نسبة التعليم بين الأفراد ، وخاصة ممن هم فى سن الشباب .

فيتشاءمون من بعض الأشياء العارضة ، وبعض المخلوقات والطيور ، ويرون فى الأوانى الفارغة أو المحطمة والملقاة بشكل عارض صورة شبيهة لأعمالهم التى لم تنجز بعد ، وأنها ستنعكس عليهم لا محالة . وقد يتشاءمون من بعض الأشخاص الذى يتصفون بخصائص خارقة ويعرفون بطالعهم السيء إذا

* سورة الأعراف ، من الآية رقم ١٣١ .
** سورة يس ، الآيتان ١٨ ، ١٩ .

تصادف وتقابلوا معهم عند إنجازهم لأعمالهم . ويرون أنهم بصفاتهم الشريرة سيوصدون أبواب الخير ، أو قد يفسدون أعمالا أو مشروعات يجرى إعدادها ؛ ولهذا يحرصون على تجنبهم وعدم الاختلاط بهم اتقاء لشرورهم . ولايدرك أفراد المجتمع كيف يوقع هؤلاء الأفراد الضرر بغيرهم ، وقد آلت إليهم تلك الاعتقادات بالتواتر عبر الأجيال ، ولا تستند إلى المنطق ، مما يمثل نوعا من الركود الثقافى الذى يصعب الخروج منه .

أما المخلوقات التى يتشاءمون منها ، فهى البومة والغراب . فالبومة كما يرونها وجها وعينين مهيبتين وغير مألوفة ؛ لذا فإنهم يرون فى صورتها نذير شؤم . بينما يعتقدون أن الغراب لا يرى إلا بعين واحدة ، ويرون فى لونه (اللون الأسود) صورة ستنعكس على أعمالهم وحياتهم ، وهو لون يرتبط بالموت والحداد ، وهو ما يعتبر جلبا للخراب والدمار ؛ ولهذا فقد ينعتون شخصا سيىء الطالع بقولهم "وجهه كيه الغراب أو كيه البومة" (أى مثلهما) ، أى ليس فيه إلا النحس والخراب . كذلك يتشاءمون من بعض الحيوانات ، كالكلاب وصوت الحمير ، وخاصة عواء الكلاب بطريقة أشبه بالنواح والبكاء ، ويتصورون أنها قد ترى ما لا يراه الإنسان (ملك الموت ، أو الشيطان) .

وفى واقع الأمر ، إننا لا ندرى سببا لتلك التهم التى ألصقت بهذه الطيور أو تلك الحيوانات المسكينة ، فملايين الناس تموت وتسافر دون صيحة غراب ، أو نعيق بوم ، أو عواء كلب ... إلخ . وقد يرى أفراد مجتمعى الدراسة فى هذه الاعتقادات تفسيرا لمجهول تخطى إدراكاتهم ، فلم يجدوا متنفسا إلا فى تلك الكائنات ، وهذه المخلوقات والأشياء التى تحيط بهم فى بيئتهم الصحراوية التى يعيشون فيها ؛ نظرا لمحدودية قدراتهم المعرفية وضآلة خبراتهم ومهاراتهم الفنية ، وذلك يتعارض مع أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وهذا ماخلص إليه حمود العودى فى دراسته عن "التراث الشعبى وعلاقته بالتنمية فى البلاد النامية – دراسة تطبيقية عن المجتمع اليمنى" بأن مجرد

السكوت على مثل هذه المعتقدات واستمرارها فى حياة الناس يعتبر عائقا فى حد ذاته وخطرا مهددا باستمرار لبرامج التنمية والتحديث ... إلى الحد الذى يستحيل معه التوفيق بينها وبين أى شكل من أشكال التنمية والتحديث [٢٨] .

وهناك شكل آخر من التشاؤم يتعلق بأوقات أو أيام أو شهور أو حتى ساعات معينة يمتنعون عن العمل فيها ؛ لاعتبارها تدخل فى ساعات النحس التى ستنعكس عليهم بصورة سيئة ، مثل أيام الجمعة ، والسبت ، وشهور (صفر) فلا يزرعون أو يحصدون ولا يبيعون ولا يشترون ولا يقيمون احتفالاتهم وأفراحهم فيها . فقد ارتبطت بأوقات العبادة (يوم الجمعة) ، أو التاريخ الإسلامى (إحدى الغزوات فى شهر صفر) ، إلا أن رسول الله ﷺ قد نهى فى الحديث الشريف (سبق الإشارة إليه) عن ذلك التشاؤم فيما يتعلق بهذا الشهر .

أما الساعات أو الأوقات المحددة التى يتجنبون بعضهم فيها ، هى أوقات الولادة والزواج ، حيث يتجنبون التعاملات والاتصالات الطبيعية ، ويتم ذلك من خلال طقوس محددة ؛ تجنبا لما يسمى بخطر "المشاهرة" أو "الكبسة" . وتعد مثل هذه الأفكار أخطر معوقات التنمية فى المجتمعات الصحراوية ؛ لأنها تجعل المجتمع يدور فى حلقة مفرغة من الأوهام والخيالات الواهية التى لا تساعد على التفكير العلمى المنظم .

رابعا : الرزق والبركة

البركة هى القوة التى تمكن الإنسان من توافر سيطرة .. لا يمكن تفسيرها ولا يمكن إثباتها بأسانيد .. ولكنها تؤثر فى أعمال الفرد اليومية ، ومن ثم ارتبطت ببعض الاعتقادات التى أعطتها جانبا من القداسة ، وصارت لها طقوس يجب أن تصحبها[٢٩] .

بينما نعنى بالرزق الكسب الذى يؤول لأى فرد عن طريق الكد والعمل والاجتهاد ، وليس بمفهومه الدينى المحدد بنطاق الانتفاع الشخصى .

وغالبا ما يخلط أفراد المجتمع بين الكسب أو الرزق بمعناه الدينى . ويعتقد كثير منهم أن العمل ليس له علاقة بزيادة الرزق (الكسب) ، ولكنه بركة يمنحها الله لبعض الأشخاص ، ويخصهم بها دون غيرهم ، ويتصورون أن الرزق سيأتى صاحبه ، سواء كان نائما أو قائما أو لم يخرج حتى من بيته ، فهو (الرزق) هبة من الله لا يأتى بالقوة ، فإذا فشلت زراعتهم أو ماتت قطعانهم فإنهم يرون أن البركة مقطوعة منها .

فيقول أحد الأشخاص "الله يرزق من يعمل ومن لا يعمل ، مافيش حد بينام جعان ، يقولك يرزق الهاجع والناجع" .

ويقول شخص آخر : "الرزق وهايب ما هو نهايب إن بذر شعير وما طلعش لا يبذره مرة أخرى ويتشاءم منه ويحرث الأرض وإن اشتغل أحد أفراد الأسرة والآخر نام الرزق يقسم بينهم بالتساوى " .

والحقيقة أن أفراد المجتمع يرون أنه ليس هناك علاقة بين الرزق وحجم الجهد والعمل المبذول ، وذلك يبين أثر التواكلية والسلبية على أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بشكل سلبى ، حيث إنهم قد تعودوا على القناعة بالقليل ، حتى عند وجود إمكانية لزيادة أموالهم أو استثمارها . وتجدر الإشارة إلى أن البعض من أفراد منطقة القصر قد طرأ على أفكارهم بشأن النظرة إلى الرزق الكثير من التغير ، حيث أشاروا إلى ضرورة بذل الجهد والسعى الجاد والعمل بالأسباب لتحقيق الحياة الطيبة لكل أفراد الأسرة . فى حين مازال البعض الآخر بنفس المنطقة (القصر) . والغالبية بمنطقة النجيلة ينظرون إلى الرزق على أنه أمر لا يمكن السيطرة عليه ، ويربطونه بالمقدس بصورة تنم عن عدم وعى بالثقافة الدينية الصحيحة ؛ وذلك يدفعهم للرضوخ للسلبية والرضا بالمألوف ، مما يؤثر على الادخار والإنتاج وكل ما يتصل بجوانب التنمية الاقتصادية .

ويرى أفراد المجتمع أن اللجوء للوسائل التقليدية (الأحجبة ، والتعاويذ)

لزيادة الرزق قد تراجع بشكل كبير ؛ نتيجة زيادة الوعى الدينى الذى قامت به الجماعات الدينية (السلفية) ، وأن مثل هذه الممارسات تتناقض مع التعاليم الإسلامية الصحيحة . أضف إلى ذلك انتشار التعليم خاصة بين الشباب الذين أدركوا أن تلك الممارسات لا تستند إلى منطق سليم ، حيث تكتب الأحجبة بلغة غير مفهومه ، وتتطلب اتباع السرية ؛ لأنها لا تقبل التأويل ولا تتواءم مع المنطق العلمى ؛ ولذلك اتجهوا للتخلص منها (بحرقها أمام الناس) ، ولا تتعدى نسبة من يلجئون إليها حتى الآن ١٠٪ (حسب رؤى بعض الأشخاص) . وغالبية هذه النسبة تقع فى منطقة النجيلة ، وخاصة فى النجوع الداخلية منها ، فى حين تكاد تنعدم بمنطقة القصر ؛ لارتفاع نسبة التعليم وزيادة الوعى الدينى كما أشرنا من قبل .

ويشير الأفراد إلى أن التكنولوچيا الحديثة قد أثرت بالسلب على الإنتاج ، ويرون أن الآلات التقليدية المستخدمة فى الزراعة كانت تساعد على وفرة الإنتاج ، وهذا دفع الكثير منهم إلى عدم الإقبال على ما هو حديث واتباع ما ألفوه من آبائهم وأجدادهم . يقول أحد الأشخاص : "الجرارات الزراعية وخرت (أخرت) الإنتاج بتاع الصحراء ، زمان كانت المساحات المزروعة قليلة وإنتاجها وفير . الآن مزارع كثيرة ومافيش إنتاج بالكل ، فالجرارات جلدت الأرض ، وهذا أدى إلى عدم وصول المياه إلا لطبقة صغيرة جدا بسبب ثقل وزنها" .

والحقيقة أن ممارسات البدو فى عملية الزراعة ، وعدم إدراكهم لكافة جوانبها هى المسئولة عن انحسار أو وفرة الإنتاج . فالبدوى بطبيعته متردد لا يتسم بروح المبادأة فى تفاعله مع البيئة وتغيراتها الإيكولوچية التى لا يأمن مكرها ، حيث لا تقدم غالبية البدو على حرث الأرض وبذر الحبوب (الشعير ، القمح) إلا إذا تأكد لهم من خلال ملازمتهم ومراقبتهم للطبيعة والمناخ على قرب نزول المطر (حيث تعتمد الزراعة على مياه الأمطار بشكل كامل) ، فإن اطمأنوا من اقتراب نزول المطر ، كان التنافس فيها بين البدو وبعضهم البعض فى جلب

الآلات الزراعية (المحدودة العدد بالمنطقة) كبيرا ؛ ولذلك يكون البعض منهم قد تأخر فى الزراعة ، وحينما تتاح لهم (الآلات) تكون الأرض قد غمرتها مياه الأمطار ، وتصبح غير مهيأة للإستزراع ، ويكون الأثر السلبى للآلات الزراعية واضحا على الطبقة المزروعة ، وبالتالى على وفرة الإنتاج ، نتيجة لزيادة وزن هذه الآلات فى عملية الحرث فى الأرض الطينية . ومع ذلك ، فإن الكثير من أبناء المجتمع البدوى يؤكدون أن الآلات الحديثة اتلفت الزراعة بكافة صورها، وأن "الجوابد" أى الإبل هى أفضل السبل التى ألفوها منذ قديم الزمان فى جر المحراث التقليدى فى عملية الزراعة . وتعتبر هذه النظرة الخاصة بحب الماضى والتمسك بأهدابه من أكبر معوقات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والصحية .

خامسا : التبرعات وطرق الإنفاق

تتجه غالبية أفراد مجتمعى الدراسة إلى المشروعات الخدمية الصغيرة ، مثل التبرع بقطعة أرض لبناء وحدة صحية ، أو مدرسة ، أو بئر مياه . وتظهر التبرعات فى شكل تكافلى بين الأقارب العاصبين فى حالات الوفاة ، والاحتياج ، وفى المواسم الدينية ، والأعياد كنوع من التضامن بين الوحدات الصغيرة داخل كل قبيلة (العشائر) ، حيث انحسر التضامن فى المجتمع البدوى بتركيبته العرقية ذات التفرعات القبلية المتعددة (وإن كانوا ينتمون جمعيا إلى قبائل أولاد على التى تنحدر من أصل واحد "بنى سليم") ، حيث وصل فى الوقت الحالى (وقت إجراء الدراسة) إلى العشيرة التى تعد إحدى الوحدات أو البطون الصغرى المكونة للقبيلة . وقد يكون ذلك راجعا لزيادة حجم القبيلة مع تنامى الضغوط الاقتصادية والعامل المادى .

وتذهب غالبية التبرعات للمساجد ؛ حيث ينظر أفراد المجتمع إليها على أنها بيوت الله فى الأرض ، وأن تنمية المجتمع تبدأ من تشييد المساجد وتعميرها ، حيث تقدم منها التعاليم الدينية وكل ما يتصل بمناحى الحياة .

وتجدر الإشارة إلى أن أفراد المجتمع البدوى لا يوجهون تبرعاتهم إلى المشروعات العامة التى تديرها الدولة ، ويرون أنها تتبع أهدافا تتناقض مع الفكر البدوى ، فيتصورون أن المشروعات العامة بشمولها كل أبناء المجتمع القبلى لا تراعى الخصوصية القبلية والتمايز والتدرج فى المكانة بين القبائل المختلفة ، ولا تحقق غاية وهدف كل قبيلة على حده ، وتنم تلك التصورات عن عدم إدراك لمبادئ التنمية ، مع المغالاة فى التمركز حول الذات العرقية Ethnocentrism . ويصاحب ذلك حالات من الخوف من كل ما هو غريب أو أجنبى ، وتعرف بالـ Xenophobia ، مع التمييز أو التعصب فى المعاملة ، والانفصال الفيزيقى عن الجماعات الأخرى ، وكل ذلك يعبر عن رؤية عاطفية سلبية ومتطرفة [٣٠] .

أما الإنفاق فغالبيته يوجه فى الوقت الحاضر بمجتمعى الدراسة إلى تشييد المساكن وتجهيزها بالأثاث الحديث الذى لم يكن مألوفا للمجتمع البدوى . وهناك الإنفاق فى العملية الانتخابية (خاصة الانتخابات البرلمانية) ، ويحتل المرتبة الأولى فى حجم الإنفاق ؛ لما تتطلبه تلك العملية من إظهار القدرة المادية للمرشح أمام منافسيه ، وقدرته على احتواء جميع احتياجات المجتمع المادية . ويأتى الإنفاق على الأفراح أو زواج الأبناء فى المرحلة التالية ، وهو يدخل فى إطار الإنفاق البذخى أو التفاخرى أيضا لتأكيد المكانة الاجتماعية لجماعة ما ، من خلال إبراز القدرة المادية كنوع من التعويض فى مجتمع متغير تنامت فيه النزعة المادية ، مع تحلل الكثير من الأسس التقليدية التى كانت تنظم المكانة والتدرج الاجتماعى من قبل .

يقول أحد الأشخاص : "فيه إنفاق تفاخرى واضح بيبقى فى الأفراح والانتخابات ، لأن كل واحد عايز يبين مقدرته المادية ، فالغلبان أصبح يغير نمط الفرح بتاعه ويعمله يوم العيد الكبير (عيد الأضحى) عشان كل الناس بتبقى دابحة ، فلا تأكل كثير ، والفرح يبقى موش مكلف ، أما الأغنياء فرحهم بيتكلف عشرات الذبائح والأطعمة المتعددة والتكلفة تتجاوز أكثر من ٥٠٫٠٠٠ خمسين

ألف جنيه" .

والحقيقة أن جزءا من الإنفاق الاستهلاكى فى الكثير من الدول النامية لا يكون بهدف الحصول على منفعة حقيقية ، وإنما يكون فقط بدافع حب التفاخر والتظاهر ، كما يتضح فى الإنفاق على المناسبات الاجتماعية ، كأعياد الميلاد ، أو الزواج ، أو الوفاة ، أو المناسبات الدينية ... إلخ (٣١) .

والغالبية من أفراد مجتمعى الدراسة – سواء فى القصر والنجيلة – مازالت توجه مدخراتها لتربية الأغنام والإبل ، فى حين يتجه البعض الآخر إلى توجيه مدخراتهم إلى تجارة المواد الغذائية أو التجارة فى الأسواق الخاصة بماشية الرعى ، والبعض منهم اتجه لشراء سيارات نقل البضائع والركاب . وبالرغم من وقوع مجتمعى الدراسة (القصر ، والنجيلة) على ساحل البحر ، فإن الأفراد بهما لم يتجهوا للاستثمار فى الفنادق أو القرى السياحية على نحو ما ذهب إليه بنو عمومتهم بمدينة مطروح .

ويشير على لطفى إلى أن العوامل الثقافية التى تسود الدول النامية تساعد على توجيه المدخرات المتاحة إلى استثمارات غير منتجة ، مثل : المضاربة التجارية وشراء الأرض الزراعية ، واكتناز الذهب ، واقتناء الحلى ، وتشييد المساكن الفاخرة ، وشراء المجوهرات ، اعتقاداً بأن ذلك يسبغ مركزاً اجتماعيا مرموقا على صاحبها (٣٢).

والملاحظة التى تؤكدها هذه الورقة أن أفراد المجتمع ينفرون من الاستثمار فى الأعمال الشاقة ، أو التى تتطلب جهدا كبيرا ، وبالتالى اتجهت مدخراتهم إما إلى نواح استهلاكية تفاخرية غير منتجة ، أو فى اقتصاد تقليدى غير متنوع (الرعى) ، والذى يكون قد فقد الكثير من أهميته مع التغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التى طرأت على المجتمع .

وتخلص هذه الورقة إلى أن أهم خصائص التفكير البدوى السائد فى مجتمعى الدراسة (والتى تتضح فى أنماط سلوك الأفراد ومعاملاتهم وعلاقاتهم)

تتحد فيما يلى :

١ - تشكل الثقافة التقليدية الموروثة الرافد الأكبر والمنبع الرئيسى الذى يستقى منه الأفراد توجهاتهم ورؤيتهم فى النظر للأشياء ، ويساعدهم فى تحديد وإصدار أحكامهم المعيارية على كل ما يحيط بهم ، فيما هو مرغوب أو غير مقبول . هذا على الرغم من التغيرات العديدة فى الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والتى أحدثها الاحتكاك المباشر وغير المباشر ، وخاصة لدى الأجيال الشابة التى نالت قدرا من التعليم ، مع تحلل قوة الإلزام فى نظم الضبط التقليدية فى فترات تزايد التأثيرات الحضارية من الثقافة القومية ، أو من بعض الثقافات الخارجية التى ارتبطت ببعض الأحداث فى المنطقة.

٢ - إن الكثير من مفاهيم تفكير البدوى ترجع إلى البيئة الصحراوية التى ارتبط بها وتفاعل معها عن قرب وبشكل وثيق ، ونظم الكثير من آرائه وأفكاره ومعارفه وفقا لطبيعتها (التى كانت تقسو عليه تارة وتحنو عليه تارة أخرى) فتشكل جانبا كبيرا من شخصيته وفقا لها ليتكيف لها ومعها ، وانتقل ذلك بصورة لا واعية من جيل لآخر حتى وقتنا الحاضر .

٣ - يمثل الإيمان بالغيبيات أحد أهم روافد التفكير البدوى عامة وفى مجتمع الدراسة خاصة ، على نحو يتسق مع الثقافة التقليدية والبيئة الصحراوية ، حيث اختلط المقدس بما هو متوارث ، وتم تأويله بصورة تتواءم وطبيعة البيئة بصورة غير واعية .

٤ - إن دور المؤثرات الحضارية فى تشكيل مفاهيم التفكير البدوى مازالت طفيفة للغاية ، وخاصة على كبار السن الذين يعدون من حملة لواء المقاومة على كل ما هو جديد ، وانصبت غالبية هذه المؤثرات على نسبة من الأجيال الشابة التى كانت عرضة لهذه المؤثرات من خلال عملية الاحتكاك المباشر وغير المباشر .

المراجع والهوامش

١ – أبو زيد ، أحمد ، المجتمعات الصحراوية فى مصر "دراسة إثنوجرافية للنظم والأنساق الاجتماعية" ، البحث الأول "شمال سيناء" ، القاهرة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٩١ ، ص ٤ .

٢ – حمدان ، جمال ، شخصية مصر "دراسة فى عبقرية المكان" ، الجزء الثامن ، القاهرة ، عالم الكتاب ، ١٩٨١ ، ص ١٦٦ .

٣ – غنيم ، محمد أحمد ، المدينة "دراسة فى الأنثروبولوجيا الحضرية" ، المنصورة ، عامر للطباعة والنشر ، ٢٠٠٣ ، ص ص ٢٨٨–٢٨٩ .

٤ – Abou-Zeid A. M., The Sedentarization of Nomads in The Western Desert of Egypt, UNESCO, *International Social Science Journal*, publishing quarterly, Vol. XI, 1959, p. 557.

٥ – حسين ، علية حسن ، التنمية نظريا وتطبيقيا ، الإسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ ، ص ٣٣٦ .

٦ – أبو زيد ، أحمد ، البناء الاجتماعى "المفهومات" ، الجزء الأول ، الإسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ ، ص ٢٩٤ .

٧ – جلبى ، على عبد الرازق ، دراسات فى المجتمع والثقافة والشخصية ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٩ ، ص ٣٣٦ .

٨ – Dube, S. C., India´s Changing Villages "Human Factory in Community Development", London, Routledge & Kegan Paul, Ltd., 1969, p. 132.

٩ – العبد ، صلاح ، وآخرون ، علم الاجتماع "دراسات نظرية وتطبيقية فى تنمية وتحديث المجتمعات النامية" ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، غير مبين سنة النشر، ص ص ٥٧–٥٨ .

١٠ – جرين ، جوديث ، التفكير واللغة ، ترجمة عبد الرحيم جبر ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢ ، ص ١٩ .

١١ – المقصود بغرس الأفكار تكرار أساليب التفكير وأنماط المعتقدات ، والإشارة إليها من وقت لآخر ، وتعتبر هذه العملية فى جميع الظروف والأحوال أخطر عملية لنقل التأثيرات التنظيمية (انظر : ماكيفر ، بيدج ، المجتمع ، الجزء الأول ، ترجمة على أحمد عيسى ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٤ ، ص ص ٢٨٥–٢٨٦ .

١٢ – المرجع السابق ، ص ص ٢٨٥–٢٨٦ .

١٣ – نفس المرجع السابق ، ص ص ٢٢٨ .

١٤ – دياب ، فوزية ، القيم والعادات الاجتماعية ، القاهرة ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ١٢١ .

١٥ - Winick, Charles, Dictionary of Anthropology, N. Y., Philosophical Library, 1956, pp. 522-523.

١٦ - Lehmann, Arthur C. and Myers, James E., Magic, Witcheraft, and Religion, "An Anthropological Study of the Supernatural", Third Edition, CA: Mayfield, Mountan View, 1993, p. 66.

١٧ - نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين ، معجم العلوم الاجتماعية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ ، ص ١٢٢ .

١٨ - Hopkins, Nichoclas S., Cultural Values and Women´s Work in Rural Egypt, Symposium on Culture and Agriculture (21-24 May), Cairo, The Egyptian National Commission Founesco, 1995, p. 3.

١٩ - Spilde, Kate, The Economic Development/ Journey Library/ News letters/ April/ 2001.

٢٠ - الترمانتى ، عبد السلام ، الزواج عند العرب فى الجاهلية والإسلام (دراسة مقارنة) ، عالم المعرفة ، الكويت ، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٨٤ ، ص ٢٤٥ .

٢١ - Foster, George M., Traditional Societies and Technological Change, New York, Row Publishers, 1973, p. 85.

٢٢ - إسماعيل ، فاروق مصطفى ، الجماعات العرقية "دراسة فى التكيف والتمثيل الثقافى" ، الإسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ ، ص ٢٢٣ .

٢٣ - حسين ، علية حسن ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٣٨ .

٢٤ - Foster, George M., Ibid., p. 85.

٢٥ - حسين ، علية حسن ، مرجع سابق ، ص ٣٣٨ .

٢٦ - العسقلانى شهاب الدين أبى الفضل ، فتح البارى بشرح البخارى ، الجزء الثانى عشر ، القاهرة ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، ١٩٥٩ ، ص ص٣٢٤-٣٢٦ .

٢٧ - صالح ، عبد المحسن ، بعض الأنماط السلوكية والخرافات المرتبطة بالبيئة ، مرجع فى التعليم البيئى ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للشئون البيئية ، جامعة الدول العربية ، ١٩٧٦ ، ص ص ٣٤٥-٣٤٦ .

٢٨ - العودى ، حمود ، التراث الشعبى وعلاقته بالتنمية فى البلاد النامية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، عالم الكتاب ، ١٩٨١ ، ص ١١٢ .

٢٩ - Westermark, Edward, Ritual and Belief in Morocco, Vol. 1, London, Mac Millan and Co., 1926, p. 39

٣٠ - Levinson, David, Ethnocentrism, Encyclopedia of Cultural Anthropology, Vol. 2 , N. Y., Henry Holt and Co., 1996, p. 104.

٣١ – لطفى ، على ، دراسات فى تنمية المجتمع ، القاهرة ، مكتبة عين شمس ، ١٩٨٠ ، ص ١٢٤ .

٣٢ – المرجع السابق .

Abstract

BEDOUIN THINKING AND ITS RELATION TO DEVELOPMENT IN THE DESERT COMMUNITY

Kamel Abd El Malek

The main purpose of this paper is to tackle the cultural obstacles related to some conceptions of bedouin thinking. Especially, those conceptions related to comprehensive development (social, economic and cultural, etc.) in the desert community.

The paper explores essentially the nature and features of the dominant culture in these communities; it also helps to trace the exerted efforts for development and the main obstacles it faces.

Furthermore, the paper encompasses five axes: forbidden and unforbidden, optimism and pessimism, blessing and fortune, besides luck as well as donations and expenditure patterns.

الجماعات الافتراضية
بناؤها ومضامين تفاعلاتها الاجتماعية *

وليد رشاد **

أولا : مقدمة فى مشكلة الدراسة

يهتم علم الاجتماع – منذ بداياته الأولى – بدراسة التجمعات الإنسانية ، وما يحدث داخلها من علاقات ، وما تموج به من مشكلات ، وما يطرأ عليها من ظواهر ، ويتم دراسة هذه التجمعات من خلال أساليب متباينة ، إلا أن المستحدثات التكنولوچية – ومنها الشبكة الدولية للمعلومات – شكلت جماعات جديدة قد تجد تحديا – إلى حد ما – فى دراسة تفاعلاتها ومشكلاتها وما يحدث داخلها من ظواهر . وشكل دراسة تلك الجماعات تحديا أيضا أمام إخضاعها للدراسة العلمية ، إلا أن دراساتها تفيد على المستويات النظرية والتطبيقية .

لقد ساهمت الثورة الاتصالية الحديثة فى تشكل فضاء جديد ، هو الفضاء الرمزى الذى يعد إطارا جديدا لعلاقات عابرة للقوميات والأماكن . فالمتعارف عليه أن الجماعة الاجتماعية مجموعة من الأفراد يجمع بينهم قيم مشتركة وشعور بالانتماء ، ويعيشون فى بيئة جغرافية مكانية واحدة ، وتحكمهم قيم وأعراف

* ملخص رسالة ماجستير ، قسم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس .

** باحث (مدرس مساعد) ، قسم بحوث الاتصال الجماهيرى والثقافة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

يجتمعون عليها ويتفقون فيما بينهم على وسائل الردع وقواعد الضبط الاجتماعى التى تحكم ما يحدث بينهم من علاقات . ولكن الثورة الاتصالية ساهمت فى تشكل الفضاء الرمزى ، وهو فضاء جديد تقطنه الجماعات تمارس فيه الصفقات وتقام فيه المؤسسات والمتاحف والمعارض ومنافذ البيع ، تعقد فيه التحالفات وتحاك فيه المؤتمرات ، تنتقل فيه المعلومات بسرعة فائقة . ورغم محاكاته للواقع ، فإنه يختلف فى طبوغرافيته وطبيعته وقوانينه وأعرافه عن الواقع ، فليس هناك سلطة مركزية تحكمه ، أو جهة رقابية تراجعه ، بل ساهم هذا الفضاء الجديد فى تشكل علاقات تتجاوز الإطار الفيزيقى المكانى وتفاعل الوجه بالوجه ، وتشكل مستخدميه فى مجتمع يطلق عليه المجتمع الافتراضى Virtual Community ، وهو شكل جديد من أشكال التفاعل الإنسانى ، ويمكن توصيفه بأنه تجمعات اجتماعية تشكلت فى أماكن متفرقة من أنحاء العالم ، يتقاربون ويتواصلون فيما بينهم عبر شاشات الكمبيوتر والبريد الإلكترونى ، يتبادلون المعارف فيما بينهم ، ويكونون صداقات ، ويجمع بينهم اهتمام مشترك ، ويحدث بينهم ما يحدث فى عالم الواقع ، ولكن ليس عن قرب .

لقد تجمعت وتكاتفت عدة عوامل فى تشكل المجتمعات الافتراضية ، منها التقدم فى وسائل الاتصالات التى أحدثت تقارباً بين أرجاء العالم لتشكل قرية كونية يدنو أقصاها أدناها . ساهمت هذه الوسائل الاتصالية فى تقلص جنبات العالم وفى بزوغ العولمة على مختلف تشكلاتها . ولعل هذا التقارب العالمى حمل داخله تفاعلات على مستوى جديد ، وهو المستوى الكوكبى ، ولقد أحدث هذا التقارب العالمى بدوره وحدات جديدة للاندماج بين ما هو محلى وما هو كوكبى ، تبلورت فى حدوث تقاطعات بين الجماعات التقليدية التى تتجه تفاعلاتها فى إطار ما هو محلى ، والتى تخضع لقواعد الضبط المعمول به فى إطار ما هو تقليدى ، وبين جماعات جديدة آخذه فى التشكل لتخرج من إطار ما هو محلى إلى ما هو يجمع بين الكوكبية والمحلية . تمثل هذا النموذج الجديد الواقع على الخط الفاصل

بين المحلية والعالمية فى المجتمعات الافتراضية .

لقد ساهمت الشبكة الدولية للمعلومات فى تشكيل وعى الفئات الاجتماعية التى تتفاعل بداخلها ، وتلعب أيضا دورا حيويا فى تكامل منظومة الثقافة . والأهم – فى هذا الصدد – هو أن البنية المعلوماتية الجديدة توفر تفاعلا بين منظومة الثقافات المختلفة . فالثقافة التى تجمع بين الأفراد الذين يتفاعلون عبر شبكة المعلومات الدولية International net أطلق عليها الثقافة الرمزية Cyber culture ، وهى مجموعة متكاملة من النقلات النوعية على الصعيد الثقافى . ولقد احتلت ثقافة الإنترنت مكانا بارزا لها عند دراسة التجمعات الافتراضية . يشكل هذا النمط الثقافى الجديد إطارا ثقافيا خاصا يجمع بين المنخرطين فى التفاعلات الافتراضية .

ثانيا : أهداف الدراسة

لقد جاءت هذه الدراسة محاولة لتحقيق هدف رئيسى مؤداه التعرف على طبيعة وموضوعات التفاعلات الاجتماعية الافتراضية المتشكلة فى الفضاء الرمزى ، ويتم تحقيق هذا الهدف من خلال الأهداف الفرعية ، والتى تسعى للتعرف على :

١ – الأسباب والظروف الاجتماعية التى تدفع بعض الأفراد إلى تكوين علاقات اجتماعية فى الفضاء الرمزى .

٢ – الخصائص الاجتماعية (السن ، النوع ، المستوى التعليمى ، المستوى الاجتماعى ، المستوى الاقتصادى) للأفراد المنخرطين فى تكوين علاقات اجتماعية عبر الشبكة الدولية للمعلومات .

٣ – طبيعة العلاقات الاجتماعية التقليدية ، كعلاقة الفرد بأسرته أو أصدقائه ، فى ظل تكوين علاقات اجتماعية جديدة عابرة للواقع الأرضى .

٤ – أنماط التفاعلات الاجتماعية بين الأفراد المتفاعلين عبر الشبكة الدولية للمعلومات داخل التجمعات الافتراضية .

٥ – المعايير والقواعد التى تحكم التفاعلات الاجتماعية فى الفضاء الرمزى .

٦ – المزايا الاجتماعية والمشكلات التى تعود على الأفراد المشتركين فى علاقات اجتماعية عالمية عبر الفضاء الرمزى .

ثالثا: الإجراءات المنهجية للدراسة

من خلال استعراض ومسح بعض التراث فى هذا المجال من الدراسات والأدبيات ، تبين ندرة الدراسات العربية ؛ لذلك فإن هذا البحث ينتمى إلى قائمة البحوث الاستكشافية أو الاستطلاعية . ونظرا للمرونة التفسيرية التى تتمتع بها هذه الدراسات ، ينطلق البحث الحالى بالاستناد إلى منهج المسح الاجتماعى . اعتمدت الدراسة فى أدواتها على استمارة استبيان ، تراعى الهدف الرئيسى للبحث والتساؤلات الفرعية . أما عن عينة الدراسة ، فإن تحديد عينة من مستخدمى الإنترنت – كما طرح ريجريو Ruggiero – أهم المشكلات التى تواجه الباحثين فى هذا المجال . وأوضح أن هناك استحالة عملية فى تحديد عينة عشوائية على الإنترنت . فمجتمع الإنترنت هو مجتمع عالمى ، والجماعات الافتراضية جماعات لا تنتمى إلى هوية معينة ؛ لذلك تتأتى صعوبة تحديد مجال جغرافى للبحث فى الإنترنت كأحد أساليب الاتصال ، وجماعاته المتشكلة فى الفضاء الرمزى . فى هذا الصدد ، اعتمد الباحث على عينة عمدية قوامها ٢٠٢ مفردة من الذين يتجهون صوب تكوين علاقات افتراضية عبر الفضاء الرمزى من خلال مقاهى الإنترنت ، بالقاهرة والجيزة والسويس ، على أن تمثل هذه المقاهى مستويات اقتصادية واجتماعية متباينة . ولقد تم الاستناد إلى مجموعة من المؤشرات لتقسيم الإطار الجغرافى للبحث ، تمثلت فى مؤشر المنطقة الجغرافية ، ومؤشر حالة المقهى .

رابعا: تقسيم فصول الدراسة

قد تقسمت هذه الدراسة إلى تسعة فصول : جاء الفصل الأول بعنوان مشكلة البحث والمفاهيم ، واستعرض هذا الفصل المتغيرات الأساسية التى لعبت دورها

فى تشكل الجماعات الافتراضية ، والتى تمثلت فى العولمة وتشكل القرية الكونية ، وانتشار شبكة الإنترنت على المستوى العالمى والعربى والمحلى ، والتفكك الحادث فى بنية العلاقات التقليدية . كما استعرض هذا الفصل المفاهيم الأساسية المرتبطة بالدراسة ، وهى : مفهوم المجتمع الافتراضى ، والواقع الافتراضى ، والثقافة الرمزية ، والفضاء الرمزى ، والإنترنت ، ونشطاء الإنترنت . وجاء الفصل الثانى بعنوان الدراسات السابقة "عرض نقدى" ، واستعرض هذا الفصل محورين للدراسات السابقة : جاء المحور الأول بعنوان بحوث الجماعات الافتراضية ، واستعرض بعض الدراسات المحيطة بالتجمعات الافتراضية ، وتضمنت مجموعة من الدراسات التى تمت على تنويعة مختلفة من الجماعات الافتراضية . وجاء المحور الثانى بعنوان التأثيرات الاجتماعية للإنترنت ، واستعرض بعض الدراسات التى تناولت الشبكة الدولية للمعلومات وتأثيراتها الاجتماعية . واستعرض الفصل الثالث الإطار النظرى المقترح للجماعات الافتراضية ، وتشكل هذا الإطار من عدة مقولات : جاءت المقولة الأولى بعنوان مجتمع قديم يتمزق ومجتمع جديد يتشكل ، تناول فيها الباحث مشكلات التفتت التى تحدث على المستوى الاجتماعى ، وموجة المشكلات التى يعانى منها الإنسان المعاصر ، وتفتت بنية العلاقات الاجتماعية ، فى الوقت ذاته تبدو حركات جديدة للتشكل على المستوى العالمى من خلال الفضاء الرمزى الذى يجمع بين الأفراد المنخرطين فى التجمعات الافتراضية . وجاءت المقولة الثانية بعنوان العولمة وتقلص الزمان وانكماش المسافة ، حيث تشكل العولمة اللحظة التاريخية التى بدت فيها التفاعلات الافتراضية ، ولعبت متغيرا رئيسيا فى تكوين الفضاء الرمزى . وجاءت المقولة الثالثة بعنوان الفردية محور العلاقات الافتراضية من منطلق ترسيخ المجتمعات الافتراضية لمبدأ الفردية . فالشخص المنخرط فى هذه التفاعلات يدخل بوصفه فردا بذاته ، يتعامل مع لوحة مفاتيح وشاشة وتعزله عن سياقه الاجتماعى ليهيم فى سياق افتراضى آخر . وجاءت المقولة الرابعة بعنوان

إعادة تشكيل الهوية على نحو افتراضى ، استعرض فيها الباحث الهوية الافتراضية وموضعها على متصل الهويات الأخرى ، كالهوية الفردية والهوية القومية . أما الفصل الرابع فقد تناول فيه الباحث الإجراءات المنهجية للدراسة .

وجاء الفصل الخامس بعنوان موضوعات ومعدل التردد على التجمعات الافتراضية ، استعرض هذا الفصل معدل تردد عينة الدراسة على التجمعات الافتراضية ، وموضوعات التفاعل الاجتماعى فى الجماعات الافتراضية ، وجاء الفصل السادس بعنوان الثقافة الرمزية الملامح والخصائص ، وتناول هذا الفصل بعض ملامح الثقافة الرمزية ، واللغة المستخدمة فى التفاعلات ، وفكرة الهوية الافتراضية ، وثقافة الزواج عبر الفضاء الرمزى . وجاء الفصل السابع بعنوان التفاعل الاجتماعى فى الفضاء الرمزى ، وتصدى هذا الفصل للأسباب التى تدفع الأفراد من عينة الدراسة إلى تكوين علاقات اجتماعية فى الفضاء الرمزى ، كما استعرض تأثيرات الجماعات الافتراضية على الفرد وعلى الأسرة والأصدقاء ؛ للوقوف على التأثيرات الاجتماعية المحتملة على الأفراد المنخرطين فى تفاعلات افتراضية . واستعرض الفصل الثامن أنماط التفاعلات الافتراضية ، وقسمها الباحث إلى : تفاعلات فردية تتم فى إطار فردى بين فردين فقط ، وتفاعلات تتم فى إطار منتديات جماعية . ويحاول الفصل أيضا الوقوف على قواعد الضبط الاجتماعى الذى يشكل ضغطا على الأفراد المتفاعلين فى السياق الافتراضى . وتفاعلات عبر الكاميرا الذى يحدث فى إطار كاميرا الويب ، ويسمح هذا النمط من التفاعل بين أفراد أو جماعات بشكل مرئى ، وتفاعلات أجنبية تتم فى غرف المحادثات الأجنبية ؛ للوقوف على أبعاد الفروق بين التفاعلات الافتراضية التى تتم فى سياق عربى ، والتفاعلات التى تبدو فى سياقات أجنبية .

وجاء الفصل التاسع بعنوان تأرجح التفاعل بين الجماعات الحقيقية والافتراضية ، ويقف هذا الفصل على إيجابيات وسلبيات التفاعلات الافتراضية ، وأبرز المشكلات التى تشوب غرف المحادثات ، ويقف الفصل على مدى إدراك

المبحوثين على الإحساس بفكرة المجتمع أثناء الخوض فى الأحاديث الافتراضية ، ويبين الفصل الفروق بين التجمعات الافتراضية والتجمعات الاجتماعية التقليدية ، ويختتم الفصل بعنوان السيبرنطيقا تعيد تعريف ما هو اجتماعى يقف هذا العنوان على مفهوم السيبرنطيقا كعلم عند فينر ، والوقوف على التغيرات التى طرأت على مشروع فينر العلمى عن السيبرنطيقا ، ويطرح هذا الجزء السيبرنطيقا فى علم الاجتماع .

خامسا: أبرز نتائج الدراسة

أولا : أشارت النتائج إلى إبراز أهم موضوعات التفاعلات التى تتم فى الفضاء الرمزى ، وتبين من خلال العينة الآتى :

١ – احتلت الموضوعات الاجتماعية المرتبة الأولى لدى عينة الدراسة ، إذ اتضح أن ما يقرب من نصف عينة الدراسة يدخلون فى التفاعلات ذات المضمون الاجتماعى ، وتشتمل على الحوارات التى تتم داخل غرف المحادثات مع الأصدقاء الرمزيين ، وكل ما يدور من أحاديث بين فردين أو أكثر فى إطار اجتماعى ، كما تشمل أيضا هذه الموضوعات بعض القضايا أو المشكلات الاجتماعية ، فهناك بعض المنتديات على الشبكة تطرح قضية أو مشكلة اجتماعية محل للنقاش .

٢ – اتضح من نتائج البحث أن ربع عينة الدراسة يتجهون نحو الحديث فى الموضوعات الرياضية ، واتضح أن هناك منتديات على الشبكة لتعليم الرياضيات المختلفة ، وهناك نوع من التديب يطلق عليه التدريب الافتراضى Virtual Training ، يتم فى إطاره تدريب الأفراد على بعض الألعاب الرياضية الذهنية .

٣ – جاءت الموضوعات التفاعلية الدينية فى المرتبة الثالثة ، فقد اتجهت إليها نسبة ٢٢٫٨٪ من عينة الدراسة ، ويدور الحوار فى إطار هذه التفاعلات حول حوار الأديان ، والحديث مع الآخر ، ويأخذ بعضها شكل الحوار

المتأدب ، وبعضها يغلب عليه التطرف .

٤ – الموضوعات السياسية : احتلت الموضوعات السياسية نسبة ٣ر١٧٪ لدى عينة البحث ، فقد فتح الإنترنت المجال أمام الأفراد لممارسة السياسة والنقد وتأسيس الحركات السياسية فى الفضاء الرمزى ، فهناك مواقع سياسية يدور فيها الحوار الديموقراطى ، ومناهضة السياسات التسلطية فى دول عديدة من العالم .

٥ – الموضوعات الجنسية : يدور الحديث فى المجتمعات الافتراضية حول الموضوعات الجنسية بنسبة ٩ر١١٪ من عينة البحث ، وتأتى هذه القلة فى الموضوعات الجنسية إلى طبيعة الإطار الذى سحبت منه العينة وهى مقاهى الإنترنت ، فهناك قدر من الرقابة – إلى حد ما – على هذه المقاهى من القائمين عليها .

ثانيا : اتضح من خلال النتائج أن من أبرز ملامح اللغة فى التجمعات الافتراضية الركون إلى استخدام ألفاظ مختزلة ، فاختصار الكلمات هو السمة السائدة ، وهذا يتناسب مع طبيعة هذه التفاعلات . فقد نجح المتفاعلون عبر شبكة المعلومات فى خلق لغة مشتركة تقوم على بعض الحروف أو الرموز أحيانا ، تعد بمثابة حلقة وصل بين المتفاعلين .

ثالثا : تبين أن نصف أفراد العينة يدخلون التفاعلات الافتراضية بنفس هويتهم وأسمائهم الأصلية ، فى حين يدخل النصف الآخر بهويات مزيفة . والحقيقة كما طرح فى الإطار النظرى أن الهوية الافتراضية Virtual Identity تشكل تحديا رئيسيا فى دراسة هذه المجتمعات ، فالقاعدة فى المجتمع الافتراضى من لا يعرف يتحدث إلى من ؟ .

رابعا : تبين من منعطف النتائج أن نسبة ٤ر٦٢٪ أشاروا إلى إمكانية قيام صداقة من داخل التفاعلات الافتراضية ، وكان من أبرز الأسباب الدافعة نحو تكوين صداقات افتراضية ، هو تمضية الوقت ، ثم

استمرارية علاقات الإنترنت ، ثم مشاركة نفس الاهتمامات . وعلى الرغم من ذلك ، فإن نسبة ٩٦٪ من المبحوثين يفضلون الصداقات الواقعية الحقيقية ، ولقد فتحت التفاعلات الافتراضية فرص تكوين صداقات بين الجنسين قد تجد محاذير لها فى الواقع .

خامسا : تبين أن نسبة ٧٢٫٨٪ من عينة الدراسة يتجهون إلى أن علاقات الإنترنت لا تؤثر على علاقة الفرد بأسرته ، فى حين أعرب ما يزيد على ربع عينة الدراسة عن حدوث مشكلات أسرية بسبب الدخول فى المجتمعات الافتراضية ، وأبرز مظاهر التأثير على العلاقات الأسرية تمثل فى التأثير على ميزانية الأسرة والتقليل من مساحة الحوار داخلها .

سادسا: اتضح من خلال النتائج أن هناك معايير للضبط الاجتماعى داخل المجتمعات الافتراضية متعارف ومنصوص عليها . فقد أكدت نسبة ٧٨٫٨٪ أن هناك قواعد تحكم التفاعلات داخل التنظيمات الجماعية الافتراضية ، ومن أبرز هذه القواعد : عدم الخوض غير المتأدب فى الحديث عن المعتقدات الدينية ، والالتزام التام بآداب الحوار واختيار الألفاظ المناسبة ، وعدم نشر الإشاعات وتحرى الدقة فى الموضوعات المطروحة ، ومنع نشر روابط إعلانية فى غير الأقسام المخصصة لها ، ومنع التشهير بأحد أعضاء المنتدى ، ومنع وضع أرقام الهواتف المحمولة ، ومنع التحرش ، أو التهديد ، ويحق للإدارة إيقاف العضو المخالف لقوانين المنتدى وتقدير مدة الإيقاف جزئيا ، أو كليا . يجب الحفاظ على الحقوق الفكرية للأعضاء ، سواء من شروحات ، أو إجابات . وعن وسائل الردع فى المجتمع الافتراضى ، تمثلت فى شطب عضوية المخالفين من المنتدى ، أو تحذيرهم فى غرف المحادثات مباشرة ، أو إرسال رسالة تحذير على البريد الإلكترونى

للفرد . ويتضح من ذلك أن هناك وسائل للردع داخل التجمعات الافتراضية ، فقد طورت هذه الجماعات قواعد لها ووسائل عقاب ضد المخالفين .

سابعا : تبين أن هناك إيجابيات تعود على الفرد من جراء التفاعلات الافتراضية ، فقد أشار ٦٨٫٣٪ من عينة الدراسة أن أفضل مزايا التفاعلات الافتراضية أنها تساعد الفرد على التعرف على أفراد جدد وتكوين صداقات . ومن خلال التأملات الرقمية اتضح أن ٣٨٫١٪ من عينة الدراسة يرون أنها تسهم فى كسر الملل . وأشار ما يقرب من ربع العينة إلى أن التجمعات الافتراضية تنطوى على ميزة ، وهى تناولها لمضامين مختلفة تمس جميع الاهتمامات . فالفرد ينضم إلى هذه التجمعات طواعية وليس مقهورا . وتبين أن نسبة ١٤٫٩٪ يتجهون نحو التجمعات الافتراضية من أجل البحث عن الحرية التى تعد مفقودة فى الواقع إلى حد كبير ، فهذه الجماعات فتحت المجال للحرية التى قد يفرض عليها القيود فى الواقع المعاش .

ثامنا : المجتمع الافتراضى ليس كله خير ، فهناك عدة سلبيات انطوت عليها هذه التفاعلات ، فاتضح أن نصف العينة يرون أن التفاعلات الافتراضية تستهلك قدرا كبيرا من المصروف أو الدخل الشهرى . وقد أشار ما يزيد على ربع العينة أن التفاعلات الافتراضية تعد مضيعة الوقت ، وتسهم فى هدر طاقات الشباب . وقد أشار ١٧٫٨٪ من عينة الدراسة إلى أن هذه التجمعات تفصل الفرد عن الواقع ، فهذه الجماعات تخلق واقعا جديدا ، وتجعل الفرد يعيش فى عالم وهمى أيسر مايطلق على هذا الواقع أنه افتراضى أو تخيلى ، ويسبح الفرد من خلال هذا الواقع فى فضاء جديد قد يبعد الفرد عن مشاركاته الواقعية . وتزداد الخطورة من هذه التجمعات عندما تؤثر

على العادات والتقاليد التى أقرها المجتمع ، والتى تعد أحد خطوط الدفاع ، وأحد مصادر الضبط الاجتماعى ، فقد أشارت إلى ذلك نسبة ٤ر١٤٪ . وكان من أبرز المشكلات فى غرف المحادثات هو استخدام ألفاظ غير أخلاقية بنسبة ٧ر٨٢٪ ، ثم سرقة البريد الإلكترونى بنسبة ٦ر٤٠٪ .

تاسعا : أشار مايقرب من نصف العينة إلى أن هناك إحساسا بفكرة المجتمع ، فأفراد العينة المنخرطون فى أنماط هذه التفاعلات المختلفة يشعرون بأنهم ينضمون إلى مجتمع حقيقى مثل المجتمع الواقع ، رغم ما يكتنف هذه العلاقات من عدم مصداقية .

عاشرا : وعن الفرق بين التجمعات الافتراضية والتجمعات الواقعية ، فقد أشار ما يزيد على نصف عينة الدراسة أن الجماعات الحقيقية أكثر مصداقية من الجماعات الافتراضية ، وقد اتجه مايزيد على ربع العينة أن الجماعات الحقيقية أكثر تفاهما وتفاعلا من الجماعات الافتراضية . وقد أشارت نسبة ٤ر١١٪ إلى أن الجماعات الافتراضية تتيح الحرية لأعضائها أكثر من الجماعات الحقيقية . وقد اتجهت نسبة ٤ر١٢٪ إلى أنه لا توجد فروق بين الجماعات الافتراضية والواقعية .

وفى النهاية ، يمكن القول بأن دراسة المجتمعات الافتراضية تمثل وعدا كبيرا للباحثين فى الميادين الأكاديمية المختلفة ، على الرغم مما تحمله داخلها من تحديات جمة عند إخضاعها للدراسة والبحث . والتحدى الذى يواجه العلماء المشتغلين بالعلم الاجتماعى الآن هو تطوير آليات ومنهجيات جديدة لدراسة المجتمع السابح فى الفضاء الرمزى ، ودراسة منجزات السيبرنطيقا التى أعادت النظر فيما هو اجتماعى ، خاصة وأن هذا الفضاء غير علاقات البشر وعادات معظم الناس والقيم الاجتماعية . والتساؤل الآن هو : هل يستطيع علم الاجتماع

تطوير الصياغة النظرية التى تجمع بين ما هو سيبرنطيقى وما هو اجتماعى ؟ وتبقى العديد من الدروب غير ممهدة فى ميدان السيبرنطيقا ، ومنجزاتها تحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة .

المؤتمر الدولى للإعلام والاتصال والمعلومات : احتفالية بمرور خمسين عاما على النظريات والتطبيقات

باريس ٢٣-٢٥ يوليو ٢٠٠٧ *

مها الكردى **

انعقد المؤتمر الدولى للإعلام والاتصال والمعلومات فى باريس فى الفترة من ٢٣ إلى ٢٥ يوليو ٢٠٠٧ ، احتفالا بمرور خمسين عاما على نظريات الإعلام والاتصال والمعلومات وتطبيقاتها العملية .

وقد دعا إلى المؤتمر الجمعية الدولية لبحوث الإعلام والاتصال IAMCR التى تقوم بعقد مؤتمر سنوى - فى مختلف قارات العالم - لمتابعة التطورات النظرية والميدانية فى مجال الإعلام والاتصال والمعلومات . وقد شارك فى رعاية المؤتمر كل من : منظمة اليونسكو ، وجامعة Paris 2-Assas ، وجامعة Paris 3- Sorbonne Nouvelle ، وجامعة Paris 4-Sorbonne ، وذلك بحضور ما يزيد على ٨٥٠ عضوا فى الجمعية أو مشترك من الخارج ، من مختلف بلدان العالم ، إما ممثلين لجامعات ومراكز ومعاهد بحثية ، أو ممثلين لأنفسهم حسب تخصصاتهم واهتماماتهم بموضوعات المؤتمر المتنوعة .

* Media, Communication, Information: Celebrating 50 Years of Theories and Practices, International Conference, Paris, UNESCO, 23-25 July 2007.

** أستاذ مساعد ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

وقد تمثل جدول أعمال المؤتمر في : جلسة افتتاحية ، وعدة جلسات متخصصة ، وورش ومجموعات عمل ، بواقع أربع ورش يومية - صباحا ومساءً - تضم كل منها ١٩ جلسة تعقد على التوازى فى قاعات المؤتمر المخصصة ، على مدار الأيام الثلاثة ، وقد بلغ عدد الأوراق البحثية وأوراق العمل المقدمة ٨٢٠ ورقة ، وعدد الجلسات ٢٤٠ جلسة .

واختتمت أعمال كل يوم بحفل استقبال أقامه أحد رعاة المؤتمر ، وسبقه زيارة ثقافية لإحدى الجامعات الراعية ، وقد انتهت الجلسة الختامية للمؤتمر بحفل تأبين لجيمس هالوران James D. Halloran أحد رواد الإعلام فى العصر الحديث ، نظمته هيئة اليونسكو بمقرها فى باريس .

نبذة عن مناسبة الاحتفالية

بدأت وقائع الجلسة الافتتاحية للمؤتمر بإلقاء كلمة من رئيس الجمعية الدولية لبحوث الإعلام والاتصال IAMCR ، تضمنت إلقاء الضوء على مناسبة الاحتفالية هذا العام ، والتى واكبت ميلاد وتأسيس الجمعية الدولية عام ١٩٥٧ فى نفس العاصمة الفرنسية ، ومن ثم فقد كان من الملائم إقامة المؤتمر فى نفس المكان الذى يعبر عن معنى رمزى يشير إلى الجهود التى بذلها المعهد الفرنسى للصحافة آنذاك من أجل إنشاء وتأسيس اتحاد دولى يضم الباحثين الإعلاميين . فقد بدأت فكرة إنشاء هذا الاتحاد الدولى - الذى تحول إلى الجمعية الدولية - منذ خمسين عاما أثناء فترة الحرب الباردة بين الكتلتين الغربية والشرقية ، انطلاقا من مبادىء هامة وقتئذ ، تمثلت فى : حرية الصحافة ، وأهمية الحماية القانونية للصحفيين ، ومن الحاجة الملّحة إلى توسيع الرقعة الجغرافية للإذاعة ، وبهدف مساندة قضية السلام العالمى . وقد كان من أبرز أهداف الاتحاد الدولى حينئذ فتح المجال أمام الباحثين الإعلاميين للتبادل والتواصل عبر دول العالم المنقسمة جغرافيا وسياسيا بين المعسكرين الغربى والشرقى . وقد نجحت الجمعية الدولية لبحوث الإعلام والاتصال - منذ إنشائها حتى الآن - فى جذب

العديد من الباحثين من مختلف قارات العالم ، وبالتالى فقد ساهمت فى تفعيل أحد أهم مبادئها ، وهو التواصل والتبادل العلمى بين الباحثين عالميا .

فكرة المؤتمر

تركزت فكرة المؤتمر هذا العام فى محاولة إلقاء الضوء على ماشهدته الأعوام الخمسين الماضية من تطورات فى مجال نظريات الإعلام والاتصال والمعلومات وتطبيقاتها العملية ، والتى تعكس الماضى والحاضر ، ومن خلال الوقوف على الأدوات البحثية التحليلية التى استخدمت خلال هذه الفترة الزمنية ، والتى توضح مدى التداخل بين هذه المجالات ، بدءاً من نشأتها ، ومرورا باستخداماتها فى ؛ كيفية انتقال المعلومات ، ودورة الأخبار ، والصور ، والمقالات ، وما إلى ذلك ، حتى وصولها إلى الجمهور المتلقى عبر دول العالم .

ومن جهة أخرى ، تضمنت فكرة المؤتمر التعرف على أهم القضايا العالمية التى تم تناولها من خلال هذه النظريات والتطبيقات العملية عبر هذه الفترة الزمنية ، وأخيرا ، إلقاء الضوء على التغيرات الهائلة التى حدثت فى المجال الإعلامى من منظور العولمة ، وما يرتبط بها من تأثيرات وتداعيات فى جميع المجالات الحياتية على المستوى : الاقتصادى ، والسياسى ، والثقافى ، والاجتماعى ، والتعليمى ، والرياضى ، والقانونى . وقد تناولت ورش ومجموعات العمل مناقشة هذه الموضوعات بصورة تفصيلية ، من حيث مدى مساهمة النظريات والبحوث الميدانية فى تطوير المناهج والأساليب البحثية ، وفى صدور الاتفاقات الدولية ؛ بهدف رسم صورة مستقبلية للإعلام والاتصال والمعلومات خلال الخمسين عاما القادمة .

محاور وموضوعات المؤتمر

تركزت محاور المؤتمر فى الموضوعات التى تندرج تحت مظلة الفكرة الرئيسية للمؤتمر "نظريات الإعلام والاتصال والمعلومات والتطبيقات عبر خمسين عاما" .

ومن ثم ، فقد تناولت الموضوعات المتعلقة بالجمهور ، وسياسات الاتصال ، والإعلام والتعليم ، والتاريخ ، والقانون ، والإعلام السياسى ، وعلم النفس والرأى العام ، والمجتمعات الاتصالية ، والإعلام والرياضة ، والإعلام والتكنولوچيا الحديثة ، وشبكات الإنترنت ، والاتصال الدولى ، والإعلام والنوع الاجتماعى .

ونعرض فيما يلى أهم الموضوعات التى تناولتها الأوراق البحثية ، وأوراق العمل التى نوقشت فى جلسات ورش ومجموعات العمل المتنوعة ، والتى قسمت بحسب الموضوعات المشتركة على مدار أيام المؤتمر الثلاثة ، وذلك على النحو الآتى :

أولا : محور الجمهور

تركزت الموضوعات التى نوقشت فى الجلسات الخاصة بالجمهور فيما يلى :

- الإعلام والاتصال الحديث عبر العالم : وقد تناولت معظم الأوراق – التى اندرجت تحت هذا الموضوع – دور التطورات التكنولوچية الحديثة فى مجال الإعلام والاتصال والمعلومات ، وانعكاساتها المباشرة وغير المباشرة على مستخدميها عبر العالم ، بدءا من بزوغ البحوث والدراسات العلمية التى تتناول الجوانب الاجتماعية لمستخدمى شبكات الإنترنت ، ودور شبكات الإذاعات الفضائية فى تشكيل الثقافات الفرعية لدى الشباب ، وصولا لانعكاسات استخداماتها فى مجال الحرية الخاصة للفرد ، والتى يطلق عليها الخصوصية المتنقلة .
- دراسات عن الجمهور المستقبِل : وهى دراسات تطبيقية فى معظمها ، وقد أجريت للوقوف على دور وسائل الإعلام والاتصال وتأثيراتها على المتلقين ، من حيث تأثير الإعلانات والدعايات كما يدركها الجمهور ، وخبرات مشاهدى قنوات الإعلانات المتخصصة فى الحياة اليومية . كما تعرضت بعض الأوراق لخصائص الجمهور من حيث : الفئة العمرية والاتجاه نحو قراءة الصحف ،

فى إشارة إلى دور الإطار المعرفى والاجتماعى ومدى إدراك المتلقى للتركيبات اللفظية فى الصحف ، وعلاقة الثقافات المحلية والعرقية بمشاهدة التليفزيون ، فيما نوقشت موضوعات توضح مدى تفاعل الجمهور مع الأحداث العالمية من خلال تحليل مضمون رسائل البريد الإلكترونى . وأخيرا، طرحت إحدى الأوراق تساؤلا هاما يدور حول مدى أهمية إجراء دراسات عن الجمهور فى ظل ظاهرة العولمة فى الوقت الراهن ، حيث أدت حرية الاتصال والإعلام إلى أن يصبح العالم بمثابة قرية كونية تتداخل فيها الثقافات المختلفة .

- الفضائيات وتطورات وتحولات الجمهور : وقد نوقش فى هذه الجلسات دور الفضائيات فى تشكيل الرأى العام ، سواء على المستوى الإقليمى أو العالمى ، ودورها فى خلق هويات اجتماعية جديدة . كما تم التعرض لمناقشة دور الخطاب الإعلامى الأخلاقى سلبا وإيجابا على المتلقين .
- ومن الموضوعات الحديثة التى عرضت فى المؤتمر دور الاستخدامات الحديثة لوسائل الاتصال الفضائى – وخاصة الإنترنت – فى خلق جمهور معين عن طريق عرض السير الذاتية ، ومن خلال البحث عن فرص عمل ووظائف متنوعة ، أو فى توظيف الإنترنت لعرض مشكلات الأقليات عبر العالم .

ثانيا: سياسات الاتصال والتكنولوجيا الحديثة

تمثلت معظم الموضوعات المندرجة تحت هذا المحور فى الحاجة الملّحة لوضع سياسات وضوابط توضح كيفية التعامل والاستفادة من التطورات التكنولوجية الحديثة فى ظل الانفتاح الإعلامى والاتصال على مستوى العالم ، وخاصة فى مجال شبكات المعلومات الفضائية (الإنترنت) على النحو التالى :

- أهمية وضع سياسات حكومية أو خاصة فى ظل تقارب البنى التحتية بهدف تطور المجتمعات ، مع الأخذ فى الاعتبار تحديد الأهداف والدوافع والخدمات المتاحة فى مجال الإعلام والاتصال والمعلومات .

- أهمية الدخول والمشاركة فى المجتمعات المعلوماتية ، واضعين فى الاعتبار الحركات الاجتماعية للشعوب ، وخاصة فى الدول النامية ، والجماعات الهامشية التى تتأثر بصورة واضحة بهذه التقنيات ، والتى تؤدى إلى خلق طرق جديدة فى التفكير .
- مستقبل مستخدمى الأدوات التكنولوچية الحديثة ، من حيث المسئوليات والمخاطر التى يمكن أن تنجم عنها ، وخاصة على مستخدميها من الشباب فى المجتمعات النامية .
- التخطيط لخطاب إعلامى جديد فى المجتمعات المعلوماتية الحديثة ، حيث عرضت أوراق أوضحت أهمية وضع سياسات حكومية لتجديد الخطاب الإعلامى ، وخاصة فى دول إفريقيا وأمريكا اللاتينية وبعض دول الشرق الأوسط .
- وفى مجال النشر ، عرضت أوراق توضح أهمية وضع أجندة للتعامل مع الإعلام الفضائى ، وكيفية الاستفادة منه فى مجال الصحافة والنشر ، وأهمية استخدام نماذج جديدة لما يطلق عليه صحافة الـ Online على غرار ما يحدث فى الإعلام المرئى والمسموع ، أو جمهور الـ Online .
- التحولات التكنولوچية ومستقبل أساليب الضبط الاجتماعى ، وقد تناولت الأوراق المقدمة فى هذا الشأن ضرورة وضع أساليب للضبط فى مواجهة النمو والانتشار السريع لوسائل الاتصال الفضائى بأشكالها ، فى ظل عدم وجود قيود أو ضوابط معمول بها ، ومن ثم تنشأ الحاجة إلى نوع من الضبط الذاتى كحد أدنى لعدم حدوث ممارسات سلبية .

ثالثا : المجتمعات الاتصالية

تناولت الأوراق المقدمة فى هذا القسم الموضوعات المتعلقة بدور وسائل الإعلام والاتصال فى مجال الاستفادة منها فى التعريف بالحركات الاجتماعية للشعوب،

وخاصة فى المجتمعات النامية ، وإنشاء نوع من الحوار الأيديولوچى – عبر الاستخدامات الحديثة لوسائل الاتصال الفضائى – بين الحكومات وممثلى هذه الحركات الاجتماعية الشعبية ، ومحاولة تحقيق مطالب الأقليات وتمكينهم من المشاركة السياسية . كما نوقش أيضا دور الإنترنت فى تكوين المجتمعات الافتراضية التى تتبادل الخبرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، وكيفية تكوين الرأسمال الاجتماعى ، والاستفادة من القدرة على إنشاء المواقع الإلكترونية فى التعبير عن الأفكار والاحتياجات ، وفى عرض مشكلات الأقليات العرقية الإثنية ، تلك التى تختلف ثقافاتها وأساليب الحياة اليومية لديها عن ثقافة المجتمعات الكبيرة التى تعيش فيها . وأخيرا ، محاولة الاستفادة من هذه الوسائل الحديثة فى عرض سياسات المجتمعات المدنية وبرامجها وأهدافها، وتوصيلها عبر الاتصال الفضائى وعبر الإعلام الوطنى للمهتمين بذلك .

رابعا : الإعلام والنوع الاجتماعى Gender

من المحاور التى تم الاهتمام بها فى المؤتمر وتخصيص جلسات خاصة لها ، علاقة الإعلام بالنوع الاجتماعى ، وخاصة الصورة التقليدية للمرأة فى الإعلام من حيث :

- أوضاع المرأة الاجتماعية ، والمهنية ، والعنف الممارس ضدها بأشكاله المختلفة ، ودور الإعلام فى هذا الشأن سلبا أو إيجابا .
- تطور الحركات النسائية تاريخيا ، ومدى حدوث تغيرات اجتماعية وثقافية فى المجتمعات نتاجا لهذه الحركات النسائية ، بحثا عن المساواة بالرجل وعن حقوقها . كما نوقش موضوع العلاقة بين الهوية والنوع الاجتماعى (الأنثوى)، ومدى تطور قدرة المرأة على التعامل مع الأدوات التكنولوچية الحديثة ، وخاصة فى بعض الدول الصناعية ، مثل : الصين ، والهند .
- أهمية وضع إطار جديد للمرأة فى الإعلام ، يتضمن تجديد الخطاب

الإعلامى ، باعتبارها كيانا إنسانيا له أوضاع اجتماعية ومهنية وقدرات واستعدادات واحتياجات . وضرورة تغيير الصورة التقليدية للمرأة إلى الحداثة ، وأنها ليست مجرد جسد ، وأن عليها القيام بأدوار محددة لا تستطيع الفكاك منها ، وخاصة صورتها فى المجلات النسائية والمجلات الشعبية .

- من الموضوعات التى نوقشت فى الجلسات أيضا دور الإعلام المرئى فى تشكيل دور النوع الاجتماعى لكل من الذكر والأنثى فى مرحلة الطفولة ، سواء من خلال برامج الأطفال التليفزيونية ، أو بصفة عامة .

خامسا : رؤية تاريخية لتطور البحوث والدراسات الإعلامية

من الموضوعات التى تناولها المؤتمر فى محاوره المتعددة التطور التاريخى للبحوث والدراسات الإعلامية منذ نشأتها فى بدايات القرن الماضى حتى الآن . وقدمت أوراق فى هذا المجال من بعض الدول الأوروبية ، توضح نشأة البحوث الإمبيريقية وبدايات إجراء دراسات تحليلية للصحف ، والأرشيفات . كما تم التعرض لبدايات ظهور النظريات الإعلامية على أيدى الرواد فى مجال الاتصال والإعلام والمعلومات ، ومدى تناولها لقضايا مجتمعية هامة ، بالإضافة إلى تعرضها للثقافات المعاصرة . كما تم التعرض أيضا لتاريخ نظريات الإعلانات بين الماضى والحاضر ، وتاريخ التصوير الفوتوغرافى ، وبعض الأدوات التكنولوچية المستخدمة قديما وحديثا ، ودور الإعلام تاريخيا فى المشاركة فى الأحداث العالمية . كما تناولت بعض الأوراق تطور المناهج البحثية تاريخيا . وأخيرا ، عرضت بعض الأوراق دراسات تحليلية مقارنة للبحوث والدراسات الإعلامية تاريخيا والعولمة فى الوقت الراهن ، كما قدمت رؤى مستقبلية للبحوث والدراسات فى ظل العولمة .

سادسا : الاتصال الدولى

تضمن هذا المحور بعض الأوراق التى توضح الجوانب الإيجابية والسلبية لتطور الإعلام والاتصال والمعلومات على مستوى الاتصال الدولى فى ظل العولمة كما يلى :

- من النواحى الإيجابية ، تعد التطورات التكنولوچية فى مجال الإعلام والاتصال والمعلومات قفزة حضارية ، وخاصة للمجتمعات الغنية ، باعتبارها مصدرا خارجيا لبث الأفكار والأيديولوچيا والمنتجات الخاصة بها . ومن جهة أخرى ، تمكّن المنظمات الدولية من الاستفادة منها عن طريق عرض برامجها وخبراتها عبر دول العالم من خلال وسائل الاتصال الفضائى ، مستفيدين فى ذلك من تدفق الأخبار والمعلومات عالميا فى نفس الوقت .
- أما من النواحى السلبية ، فقد تمثل هذه التطورات التى تعكس الثقافات الوافدة كارثة على مستوى الثقافات الإقليمية والمحلية من منظور عدم التكافؤ الثقافى والاجتماعى والعلمى لما يتعرضون له من مختلف أنحاء العالم . كما يمكن أن ينتج عن ذلك حدوث تغييرات فى الثقافات الشعبية ، وظهور شكل جديد للبروفيل القومى أو الوطنى . كما يمكن أيضا أن تساهم فى ظهور أشكال جديدة للعنف ، وخاصة من جانب جماعات الأقليات والجماعات الهامشية والطائفية .
- وقد تناولت بعض الأوراق دور التغطية الإعلامية للأخبار والأحداث العالمية فى إنتاج ما يطلق عليه التبلد الوجدانى ، أو العاطفة العمياء – إذا صح التعبير– كنتائج للتغطية الإعلامية للأخبار اليومية ، التى تعكس الحروب والصراعات الطائفية وما فيها من أحداث دامية على المتلقين بفئاتهم المختلفة .

سابعا : الإعلام والقانون

تضمنت محاور المؤتمر الاهتمام ببعض الجوانب القانونية المتعلقة بالجمهور واستخداماته لوسائل الإعلام والاتصال والمعلومات من منظور :

- محاولة تحقيق العدالة الاجتماعية ، من حيث الحق فى حرية الاتصال ، وفى حرية الحصول على المعلومات ، وحرية التعبير عن الرأى .
- ضرورة وضع ضوابط قانونية وحدود لا ينبغى تجاوزها فى ظل مخاطر التدفق الإعلامى والمعلوماتى عبر وسائل الاتصال الفضائى ، أخذين فى الاعتبار أهمية مشاركة واضعى سياسات الاتصال لأساليب الضبط درءاً للممارسات السلبية وتداعياتها على جميع المستويات .
- الجوانب القانونية لإساءة استخدام الإنترنت والكومبيوتر ، واستغلالها فى ارتكاب بعض الجرائم ، مثل : إفشاء الأسرار ، وإساءة سمعة الغير ، وجرائم الائتمان ، والإرهاب ، وغير ذلك عن طريق سهولة إنشاء مواقع إلكترونية ، مع ضرورة تدريب المتخصصين فى المجالات الشرطية والقضائية لملاحقة الأساليب الإجرامية التى يتبعها مستخدمو الإنترنت (القراصنة) .

ثامنا : الإعلام والتعليم

خصص لهذا المحور عدة جلسات لمناقشة :

- الاستفادة من استخدامات وسائل الإعلام الحديثة فى مجال تطوير أساليب التنشئة الاجتماعية للجمهور بفئاته ، باعتبارها إحدى الأدوات التكنولوجية التى تستخدم فى مجالات : التوعية الصحية ، والتوعية الاجتماعية ، وفى صياغة وتشكيل اتجاهات الجمهور نحو الموضوعات الإيجابية ، مثل : الاتجاه نحو القراءة ، والانتماء والمواطنة ، وفى مشاركة الشباب فى خدمة المجتمع المدنى ، وما إلى ذلك .
- ضرورة الاهتمام بالقنوات التعليمية المتخصصة فى الإعلام المرئى بأشكاله ، سواء لتأهيل المعلمين أنفسهم ، أو فى توصيل المعلومات الدراسية للطلبة فى المدارس وفى المنازل ، بالإضافة إلى الاستفادة من استخدامات وسائل الإعلام فى مجال التعليم الفنى والحرفى والمهنى ، سواء للمعلمين أو الطلبة .

تاسعا : الاتصال السياسى

تضمنت الأوراق المتعلقة بموضوع الاتصال السياسى :

- عرض رؤى جديدة للأچندة السياسية فى إطار استخدامات الإعلام الحديث والعلاقات الدولية ، من باحثى بعض الدول الأوروبية ، مثل : ألمانيا وإنجلترا وأسبانيا . كما طرحت أوراق توضح دور الإعلام السياسى فى تشكيل الهويات الجمعية ، وفى عرض بعض القضايا الهامة ، مثل : المساواة ، وحقوق المواطنة والواجبات ، وأهمية المشاركة السياسية للمواطنين ، سواء فى الانتخابات العامة ، أو المحليات ، وما إلى ذلك .
- استخدامات الإعلام السياسى فى مجال الانتخابات الرئاسية ، والحملات الانتخابية ، والمناظرات السياسية بين الأطراف ، وعرض الرأى والرأى الآخر ، سواء من خلال الإعلام الخاص ، أو الحكومى . كما تم عرض بعض التحليلات الإعلامية للخطاب السياسى لبعض دول جنوب إفريقيا ، ودورها فى حث المواطنين على المشاركة السياسية والاجتماعية أو العكس .
- قدمت بعض الأوراق تحليلات ومقارنات بين أشكال الاتصال السياسى قديما وحديثا ، ومدى مسئولية الصحافة السياسية تجاه بعض القضايا العالمية والخاصة ، بالإضافة إلى استخدام وسائل الإعلام والإتصال فى مجال تشكيل وتغيير الصورة ، وفى أهمية التعرف على الآخر . كما طرحت رؤى عن دور الإعلام السياسى فى حدوث تغييرات ثقافية من المحلية إلى العالمية لدى الشعوب .
- لم يتم إغفال استخدامات التكنولوچيا الحديثة فى مجال الإعلام والاتصال السياسى ، وخاصة شبكات المعلومات الفضائية (الإنترنت) ، فى مجال إحداث التوجهات نحو بعض الخيارات السياسية المطروحة .
- خصصت جلسات لمناقشة دور الإعلام السياسى فى منطقة الشرق الأوسط ، من خلال تحليل للخطاب السياسى ، وتحليل لبعض القنوات العربية

الفضائية، مثل قناة الجزيرة الإخبارية ، وتحليل لرؤى الأطياف السياسية المتعارضة فى بعض بلدان الشرق الأوسط ، بالإضافة إلى تخصيص جلسة تضمنت دور الرسوم الكاريكاتيرية فى مجال الإعلام السياسى ، وخاصة تلك المتعلقة بالرسوم المسيئة للرسول ﷺ ، ودورها - بصفة خاصة - فى هذا المجال وانعكاساتها السياسية والاجتماعية . كما عرضت أوراق توضح دور الكوميديا الهزلية - سواء فى المجلات أو التليفزيون - فى المجال السياسى عامة .

عاشرا: علم النفس والرأى العام

خصصت ست جلسات فى المؤتمر لمناقشة الموضوعات المندرجة تحت محور علم النفس والرأى العام على المستوى النظرى والتطبيقى .

- ومن أبرز النظريات التى نوقشت نظرية استخدامات الإعلام والجمهور المستهدف ، وعملية محاولة دراسة وفهم نفسية الجمهور من خلال تحليل المضمون ، وانعكاسات ما يقدم ويتعرض له ، وعلاقة الإعلام بمجتمع المعلوماتية . كما طرحت أوراق تناولت الصحافة الرقمية من المنظور المنهجى والنظرى ومحكات التحليل . كما عرضت نتائج لبعض الدراسات المقارنة التى استخدمت أسلوب تحليل مضمون الأخبار ، والدراسات الديناميكية لعالم ومجتمع الإنترنت ، واستخدام شبكات المعلومات فى مجال تحليل الخطاب الإعلامى بأشكاله المختلفة .
- دور الإعلام فى تشكيل الهويات الجمعية والخاصة ، وفى تشكيل الرأى العام ودور الرقابة ، وفى حدوث بعض التغيرات الاجتماعية ، وتشجيع الثقافات الرأسمالية من خلال تغيير البيئة الإعلامية ، وتحليل سياسات الدراما من منظور تأثيرها على الجمهور ، بالإضافة إلى دور الإعلام فى مجال الديمقراطية .

- دور الإعلام الرقمى والشكل الجديد للاتصال الوسيط ، ويتعرض هذا المحور لكل ما يتعلق بمستقبل الإعلام الحديث ، وخاصة الرقمى ، ومقارنة بينه وبين الإعلام التقليدى من خلال تساؤل : ماذا تقول المعلومات ؟ وعلاقتها بالجمهور . وعلاقة الإعلام الرقمى فى المجال السياسى ، وكيفية مواجهة مواقع المحادثات chatting عبر الفضاء ، تلك التى تؤثر فى تشكيل وصياغة توجهات الرأى العام .
- تأثير خصائص الجمهور وظروفه المتعددة على ما يتلقاه من حيث : الأصل ، أو العرق ، أو اللغة ، ومن منظور المثل العليا والنماذج الإعلامية ، وعلاقة الإعلام بجمهور المراهقين خاصة وتطور سمات الأنانية لديهم ، من خلال النماذج المقدمة فى الإعلام ودورها فى تشكيل هوياتهم ، وأخيرا علاقة التليفزيون الذى يعكس الواقع الاجتماعى للأسر عامة .

وخلاصة القول ، تناول هذا المؤتمر أبعادا متعددة فى مجالات الإعلام والاتصال والمعلومات ، وتبين من المناقشات والأوراق البحثية المقدمة مدى التداخل بين هذه المجالات ، كما تبين مدى تأثير التطور التكنولوچى فى هذه المجالات نظريا وتطبيقيا على المتعاملين ومستخدمى هذه الوسائل على المستوى الدولى والمحلى ، والإقليمى والأسرى والفردى .

وفى النهاية ، نشير إلى أنه قد أقيم على هامش المؤتمر معرض للكتب والدوريات والنشرات العلمية المتخصصة فى مجالات الإعلام والاتصال والمعلومات من بعض الجامعات ودور النشر العالمية . وأخيراً ، اختتمت أعمال المؤتمر بتحديد مكان المؤتمر العام القادم ٢٠٠٨ فى مدينة استكهولم فى السويد .

الاقتصاد السياسى العالمى فى عصر المعلومات : القوة وعدم المساواة *

مروة نظير **

يقدم الكتاب تقييما للتحديات المفاهيمية المتعلقة بالعولمة وعصر المعلومات الجديد وذلك من منظور نقدى ، إذ يسعى الكتاب إلى اختبار إلى أى مدى أضحت المعلومات ذات أهمية هيكلية فى فهم وتحليل العولمة وذلك عند التعرض لعلاقة كل منهما بالتطورات الاجتماعية الحالية . يرى الكاتب أن التكنولوچيا تعد واحدة من الطرق الرئيسية التى يمكن من خلالها دراسة كيف يمكن حيازة والحفاظ على القوة فى مجال الاقتصاد السياسى العالمى .

يضم الكتاب - إلى جانب المقدمة والخاتمة - أقساما ثلاثة تتوزع عليها فصوله السبعة ، وهذه الأقسام هى :

* الأطر الزمانية/المكانية .
* الحدود وعدم المساواة .
* تقنية المستقبليات والقوة .

* Gillian Youngs, Global Political Economy in the Information Age: Power and Inequality, Routledge, London and New York, 2007.

** باحث (مدرس مساعد) ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

التكنولوجيا والقوة

من خلال المقدمة يؤكد الكاتب على أن هناك أسبابا عديدة تدفع باتجاه دراسة تأثير التكنولوچيا على الاقتصاد السياسى العالمى ، ومن أهم هذه الأسباب – فى وجهة نظره – الدور متعدد الأبعاد الذى تلعبه التكنولوچيا فى خلق وتيسير التغيير ، ومن ثم فهى تعد من المفاتيح الرئيسية التى يمكن أن تساعد فى فهم كيفية حيازة القوة والحفاظ عليها ، فضلا عن توزيع مظاهر عدم المساواة وتكريسها فى العالم ، سواء على أساس اقتصادى – اجتماعى ، أو وفقا لعوامل مرتبطة بالنوع الاجتماعى (الجندر) على سبيل المثال .

وعلى هذا ، يمكن القول إن الكتاب ينطلق من فرضية مفادها وجود علاقة قوية بين التكنولوچيا (أو المعرفة) من جانب وبين القوة من جانب آخر . وفى هذا الصدد يتضح من الكتاب أن أهمية دراسة أثر التكنولوچيا (أو المعرفة) فى فهم عصر المعلومات بشكله الحالى تتجلى فى أمرين رئيسيين هما :

١- دور المعلومات وتكنولوچيا الاتصال فى تغيير أنماط الإنتاج والاستهلاك فى إطار العولمة ، وتقديم أسس جديدة لفهم القضايا المرتبطة بقضايا وإشكاليات الزمان/ المكان ، وذلك فى إطار المفاهيم التقليدية للسوق والدولة .

٢ – ما يثيره تكريس عدم المساواة داخل وعبر الدول من تهديدات بأن تطورات عصر العولمة قد تؤدى إلى تعميق مظاهر عدم المساواة التى ظهرت إبان المرحلة الصناعية ، لاسيما تلك المرتبطة بالعوامل الاجتماعية/الاقتصادية والجندر، وهذا ما يثير مجموعة أخرى من القضايا ذات الصلة من قبيل تلك المرتبطة بالإنتاج والاستهلاك .

ويرى الكاتب أن العوامل التكنولوچية تشكل جوهر التحديات التى تواجه الفاعلين الذين يقودون العولمة ، مثل الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبى ، خاصة فى مواجهة النجاحات المتسارعة التى يحققها الفاعلون الجدد فى هذا السياق ، مثل الصين والهند ، حيث يبدو أن محور الاقتصاد السياسى

العالمى قد بدأ يميل باتجاه القارة الآسيوية . فمن المتوقع أن تحتل الصين خلال العقد المقبل مكان اليابان كثانى أكبر قوة اقتصادية فى العالم . وعليه ، فإن فهم التغيرات الناشئة عن التطورات التكنولوچية قد يمكن من عملية فهم الدور المزدوج (باعتبارهم منتجين ومستهلكين للتكنولوچيا فى الوقت ذاته) الذى يمكن للفاعلين الجدد فى العولمة إضافته فى مطلع القرن الحادى والعشرين ، بالمقارنة مع ما قدمه الفاعلون القدامى فى ختام القرن العشرين .

هذا التأكيد على قيمة تكنولوچيا المعلومات يوضح كيف أن الاقتصاد السياسى العالمى انتقل - خلال عصر العولمة - من مجرد منافسة بين الاقتصادات الوطنية إلى شبكة عالمية يمكن أن تمتد من خلالها سلاسل الإنتاج والاستهلاك عبر الأطر الجغرافية بمرونة وسرعة واضحتين . ورغم ذلك ، فلا شك فى أن البنى التكنولوچية التحتية التى سهلت العولمة خلال العقد الأخير من القرن العشرين (خاصة تكنولوچيا الاتصال والمعلومات) قد أضافت إلى قيمة الأفكار التقليدية الجيوسياسية حول الدولة والسوق ، فالتكنولوچيا تعمل على مستويات متعددة فى إطار وعبر الدول والأسواق لتخلق شبكة من الاتصالات بين الفاعلين .

يتحدث الكاتب كذلك عن وجود "يوتوبيات صناعية" ، دافعا بأن الهيكل الهيراركى للاقتصاد العالمى يوضح الأهمية المتصاعدة للتصنيع ، إذ تأتى على قمة الهرم الاقتصادات الغنية التى تقوم على الملكية الصناعية والتكنولوچية المبتكرة والمركزة ، وتأتى - ثانيا - الدول النامية المصدرة للسلع الصناعية (الصين بصفة خاصة) ، ثم الاقتصادات المصدرة للنفط ، ثم الاقتصادات الانتقالية (دول الاتحاد السوفيتى السابق) ، وفى ذيل القائمة تأتى الدول النامية المستوردة للسلع الاستهلاكية .

ويعنى الاقتصاد الرقمى الجديد أنه قد أضحت هناك حاجة لتطوير منظورات أكثر تعقيدا لدراسة الزمان والمكان ، تتجاوز حدود تلك التى تقدمها النماذج التقليدية فى هذا السياق ، وهذه المنظورات يجب أن تأخذ فى الاعتبار

الدور الاجتماعى للوسائط التكنولوچية وعلاقته بالأشكال والأطر المادية الأخرى . كما أن إدراك عدم المساواة قد أضحى أكثر تعقيدا بسبب هذه التطورات والطبيعة متعددة الأبعاد والأشكال للانقسامات الرقمية .

تغيرات مفهومى السوق والدولة

كما سبقت الإشارة ، يحمل القسم الأول من الكتاب عنوان الأطر الزمانية/المكانية ، وفى بدايته يستعرض الكاتب التغيرات التى طرأت على مفهومى "الدولة" و "السوق" . إذ تتميز كل من الدول والأسواق بأنها ذات حدود إقليمية ، كما أن لها تاريخا وهوية ، بل وحتى فى الوقت الحالى ، وبرغم ما يتسم به من تماهى الحدود بين الوحدات على مستوى العالم لاتزال لهذه الخصائص أهمية كبيرة .يبدأ الكاتب محاولته لفهم الاقتصاد السياسى العالمى بالرجوع إلى كتاب آدم سميث "ثروة الأمم" ١٧٧٦ ، والذى يتعرض للعلاقات بين الزمان والمكان ، والتى شكلت ملامح الواقع الجيومكانى المعاصر . كما يوضح جوهر مفهومه عن "العمل" ، وذلك باعتباره أساس عملية التبادل فى الأسواق ، لاسيما وأنه نتاج العلاقات الاجتماعية التى تؤدى لإنتاج القيم التى يتم تبادلها فى هذه الأسواق .

ومن ناحية أخرى ، يرى الكاتب أن انتقال الاقتصاد العالمى من التعامل بالجنيه الاسترلينى إلى الدولار الأمريكى كان من بين أهم العوامل المؤثرة فى الاقتصاد العالمى الراهن ، ويبرر ذلك بأن القوة الداخلية للاقتصاد الأمريكى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية قد أدت لتغييرات داخلية وخارجية أثرت على المكانة العالمية للولايات المتحدة . فعلى الصعيد الخارجى ، ظهرت قوة الولايات المتحدة بشكل جلى فى حضورها الطاغى فى كل المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية على مستوى العالم ، ومع حلول القرن الحادى والعشرين لايزال الدولار يشكل التعبير العالمى عن النجاح الأمريكى القائم على التكنولوچيا/

التصنيع/النزعة العسكرية . ومن ثم ، يمكن القول إن العملات الوطنية تعد وسيلة للاتصال بين القوى المختلفة للدول فى الماضى والحاضر والمستقبل . وفى الإطار ذاته ، يتعرض الكتاب إلى "اليورو" باعتباره يشكل تحديا تاريخيا ، فمع بداية العمل به فى يناير ٢٠٠٢ أثيرت العديد من الأسئلة والإشكاليات بشأن أهمية العملات الوطنية ، ومن ثم الهوية والسيادة الوطنيتين على نحو برزت معه القيمة الرمزية للعملات كتعبير عن الدول باعتبارها كيانات ذات حدود وهويات وسيادة وطنية .

ويرى الكاتب أن إقرار العمل باليورو يعد إطلاقا لعصر فوق قومى إقليمى الطابع ، إلا أنه يؤكد – فى الوقت ذاته – على أن مثل هذا التغير فى طبيعة الدول لايزال غير واضح ، على الرغم من أهميته التى لا تقل عن التطورات التى شهدتها أوروبا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية والتى أدت إلى الواقع الراهن . وهذا الوضع يوضح كيف أن العملات تتحد مع الرموز السياسية والاقتصادية ، ومن ثم فاليورو من الممكن أن يشكل دليلا على الانتقال إلى الإقليمية كجزء من عملية العولمة ، والتى تعد فى أحد تعريفاتها التقليل من السيادة المالية للدول ، وبروز الاعتماد المتبادل بين العملات فى عصر تسوده التدفقات المالية المتسارعة ، وانفتاح الاقتصادات الوطنية أمام بعضها البعض .

فضاءات جديدة

ينتقل الكاتب بعد ذلك إلى معالجة قضية "الواقع الافتراضى" ، مؤكدا أن عصر العولمة قد أدى إلى بروز نمط جديد من الإعلام ، خاصة الإنترنت ، وقد أوجدت خصائصه الافتراضية فضاء متعدد الأبعاد يعكس علاقات الزمان/المكان . وفى هذا الجزء من الكتاب يحاول المؤلف استكشاف الأبعاد المتعددة لهذه الفضاءات ، من خلال شرح كيف انتقل العالم من الفضاءات السياسية التقليدية إلى الفضاءات الاجتماعية (الافتراضية) الجديدة التى خلقتها التكنولوچيا الحديثة .

ويؤكد الكاتب أهمية فهم تلك التغيرات انطلاقا من حقيقة أن التطور فى عملية الاتصال هو فى التحليل الأخير تطور فى الابتكارات التكنولوچية وتطبيقاتها ، ومن ثم فهو يؤدى إلى مجموعة من التحولات أو التغيرات الاجتماعية .

وفى توصيفه لخصائص الاقتصاد الرقمى الجديد ، يتحدث الكاتب عن الانتقال من فضاء المدن إلى الفضاء السيبرناطيقى أو الشبكى ، وهذا ما يخلق مجموعة جديدة من المفاهيم ، مثل المواطن السيبرناطيقى cybercitzen .

يتعرض الكتاب بعد ذلك إلى الاقتصاد السياسى للزمن ، ومن خلاله يتناول إمكانيات دراسة الظاهرة الاقتصادية من منظور تاريخى (وما يفرضه ذلك من بروز للمفاهيم الخاصة بالمناهج التاريخية من قبيل "صعود الإمبراطوريات" و"الحضارة" ، فضلا عن التركيز على الأحداث الكبرى ، كالحروب والتغيرات الاجتماعية والسياسية الكبرى) . ويرى الكاتب أنه من خلال دراسة تاريخ القوى الاستعمارية يمكن تقديم تفسيرات للأشكال المختلفة من عدم المساواة الموجودة فى الوقت الحاضر .

وينتهى هذا الجزء بالتأكيد على أنه حتى فى إطار الفضاءات الجيو-مكانية فلا تزال هناك انقسامات واضحة على أساس جغرافى ، وهذا ما يتضح مثلا من حقيقة أن هناك ما يمكن اعتباره "نخبة رقمية" فى أوروبا وآسيا والولايات المتحدة الأمريكية ، تكاد تحتكر استخدام بعض التكنولوچيات (الجيل الثالث لأجهزة التليفون المحمول على سبيل المثال) التى تكاد تغيب بالكامل عن مناطق بعينها فى العالم ، مثل إفريقيا وأمريكا اللاتينية .

عدم المساواة فى العصر الرقمى

فى القسم الثانى من الكتاب ، يتم التركيز – بداية – على الحدود وعدم المساواة ، إذ يتم استعراض الأبعاد المختلفة للانقسامات الرقمية وعلاقتها بالأنماط التقليدية لهياكل الاقتصاد السياسى العالمى والتى لا تزال مستمرة إلى الآن ، ومن خلاله

يتم التركيز على الطرق المختلفة التى يمكن من خلالها فهم القضايا المرتبطة بالفضاءات السياسية والاجتماعية ، وإنتاج أطر جديدة متعددة الأبعاد لفهم الانخراط فى الاقتصاد العالمى .

ومن خلال هذا الجزء يناقش المؤلف قضايا ، مثل : التمييز بين الاتصالات الرأسية والأفقية ، والأطر الاجتماعية فى مواجهة الأطر الجغرافية ، والدولة فى الفضاء الافتراضى ، ويصل إلى نتيجة مفادها أن الدول قد أضحت أكثر انخراطا فى أنشطة رقابية وتشريعية ذات علاقة بالوسائل الجديدة للإعلام ، مثل الإنترنت .

ومن أهم الموضوعات التى تتم مناقشتها فى هذا الجزء من الكتاب عدم المساواة كفاعل ، إذ يؤكد الكتاب على أنه من بين الحقائق المؤكدة فى هذا السياق أن مطلع القرن الحادى والعشرين شكل اللحظة المناسبة لإدراك أن الليبرالية وتجلياتها الاقتصادية – المتمثلة فى الليبرالية الجديدة – قد وصلت إلى حد فاصل فيما يتعلق برؤاها المثالية حول المساواة والحقوق المتساوية ، فقد أضحت عدم المساواة توجها طويل المدى ، تسود فيه النزعة الاستبعادية أكثر من الإدماجية.

ينتقل الكتاب بعد ذلك إلى دراسة النزعة الأبوية التى طالما تظهر فى العصر الحديث ، والتى تقوم العديد من التحليلات بالتركيز عليها ودراستها ، ومن هذه التحليلات الدراسات النسوية التى تفرد مساحة خاصة لدراسة ملامح عدم المساواة المبنية على الجندر وتجلياتها فى عصر وعالم الإنترنت ، مشيرا إلى أن هذه الدراسات قد أدت إلى بروز بعض المفاهيم من قبيل التكنولوجيا النسوية Female generated technology ، وتمكين المرأة عبر الإنترنت women online empowerment.

تكنولوجيا المستقبليات والقوة

أما الجزء الثالث من الكتاب ، فيتعرض لتكنولوچيا المستقبليات والقوة . وفى بدايته يتناول الكاتب أبعاد الهيمنة أو القوة فى القرن ٢١ ، أو ما أشار إليه باعتباره القوة وعدم المساواة ؛ وذلك بهدف استكشاف أنماط دراسة القوة فى المنظومة العالمية ، وذلك من خلال التعرض لعدد من القضايا الإشكالية ذات الصلة ، ومن أبرز هذه الإشكاليات :

* الهيمنة الأمريكية فى عصر المعلومات ، وذلك مع التركيز - بشكل خاص - على ما يثار حول اتجاه هذه الهيمنة نحو الانحدار فى ظل المتغيرات الجديدة التى تفرضها العولمة والفاعلون الجدد الذين صاروا أكثر قدرة على التأثير . وفى هذا الخصوص ، يدحض الكاتب هذه الرؤى ، مؤكدا أن العولمة تعد من الاعتبارات المؤسسية المحفزة والمحسنة لوضعية الهيمنة الأمريكية على العالم .
* المشكلات الخاصة بعدم المساواة وإمكانيات القضاء عليها ، إذ إن مشكلات عدم المساواة فى عصر اقتصاد المعرفة ترتبط بوجود عوامل ذات علاقة بالماضى ، من قبيل تراكبية وتعقيد المظاهر القديمة لعدم المساواة واستمرارها فى العصر الجديد الذى تسيطر عليه التكنولوچيا فى قيادتها للنمو الاقتصادى فى الوقت الراهن ، ويضرب الكتاب مثلا لذلك بالأمية .

يشير الكتاب كذلك إلى أننا فى العصر الحالى نعايش ما يمكن أن يطلق عليه الاقتصاد السياسى الوسيط ، فالاقتصاد الرقمى يتجاوز المحددات التى كانت موجودة إبان عصرى التصنيع والخدمات ليكون رمزيا ومتعديا للحدود الجغرافية وذا أبعاد مختلطة ، فى حين أن السلع والخدمات لابد أن يتم إدماجها وتوزيعها والوصول إليها عبر طرق لا تزال معتمدة على أنواع مختلفة من الفضاءات والشبكات الافتراضية .

يفرد الكتاب بعد ذلك جزءا خاصا للهيمنة الأمريكية فى عصر المعلومات ، مؤكدا أن الحرب الأمريكية على الإرهاب تعكس الهيمنة الأمريكية عبر عاملين متبادلى التأثير : فمن ناحية أولى ينعكس الهيكل الأمنى للهيمنة الأمريكية على الجوانب العسكرية وما يرتبط بها من أبعاد على تكنولوچيا ، وهذا ما يظهر – بشكل جلى – فى تزايد الإنفاق العسكرى الأمريكى ليصل إلى نصف إجمالى الإنفاق العسكرى العالمى (يقدر بـ ١٫٠٣٥ مليار دولار فى عام ٢٠٠٤) . ومن ناحية أخرى ، تعكس الحرب على الإرهاب قدرا أكبر من الانصياع السياسى والأيديولوچى لقبول الدور والشرعية الأمريكية فى العالم .

وفى الخاتمة ، يؤكد الكتاب على وجود العديد من المتناقضات فى عصر المعلومات ، أبرزها وجود أشكال كثيرة من عدم المساواة مازالت حتى الوقت الراهن تنمو وتتزايد .

ويرى الكاتب أن هذه المتناقضات بحاجة إلى المزيد من القراءة المتعمقة ، ويجب أن تحتل مكانها المناسب على الأچندات السياسية والاقتصادية ، كما يجب أن يتم تحليل ما تحتويه من علاقات الأفراد والمجموعات بأبعاد الزمان والمكان ، ويجب أن يتم صياغة ذلك بلغة يسهل التعامل معها ، لاسيما من قبل صناع السياسة .

ورغم ذلك ، فليس الغرض من الكتاب هو تجاوز مبادئ المساواة والتغاضى عن مكانتها باعتبارها نموذجا مثاليا يجب الوصول إليه ، ولكن المشكلة – بالأساس – ترتبط بفاعلية /عدم فاعلية مبدأ المساواة فى التطبيق .

وبصفة عامة ، فإن التطورات الاقتصادية والإنسانية قد أضحت أكثر انتشارا من الناحية الجغرافية ، ويمكن بقدر كبير من الثقة القول بأن هذا الاتجاه سوف يستمر . وكلما اتجهت المجتمعات الغنية والفقيرة – على حد سواء – إلى قبول والتعايش مع فجوة عدم المساواة ، أصبح من السهل الاعتقاد بأن هذه التطورات لا يمكن تجنبها على المستوى العالمى .

ومن ناحية أخرى ، يلفت الكتاب الانتباه إلى الدور الذى تلعبه المنظمات غير الحكومية والحركات الاجتماعية فى دفع الأچندات السياسية تجاه التأكيد على المشاركة وتفعيل السياسات الحقوقية والتشبيك بين الأطراف المختلفة المعنية . ويركز الكتاب على الدور الذى تلعبه الحركات النسوية – بصفة خاصة – فى هذا الإطار .

وعلى هذا الأساس ، يستنتج الكاتب أن المنظمات غير الحكومية والحركات الاجتماعية تعد الآن من أبرز الفاعلين وأكثرهم نشاطا فى مجال استخدام الفضاء الاجتماعى والفرص المتاحة من أجل تغيير الأطر التقليدية .

ويختتم المؤلف كتابه بالإشارة إلى أنه ربما تكون هناك حاجة للعودة إلى أساسيات التنظيم الاقتصادى ، وبناء أطر الفضاءات الاجتماعية والجغرافية ، مع الأخذ فى الاعتبار كيف يمكن أن تكون هذه الفضاءات مترابطة مع الفضاءات الاجتماعية التى تعد جديدة نوعا ما ، وكلما زاد اندماجها مع جوانب الاقتصاد السياسى العالمى زادت المطالبات الموجهة للجماعة الأكاديمية بضرورة البحث فيها .

ملخص

استخدام اختبارات الحياة المعجلة
لتقدير معالم توزيع بيير العام فى حالة العينات المراقبة
من النوع الثانى باستخدام أسلوب بييز للتقدير

جميلة المأمون

هذه الدراسة تقوم باستخدام اختبارات الحياة المعجلة الثابتة التامة فى حالة البيانات المبتورة . تم تقسيم الوحدات مجل الاختبار إلى ثلاث مجموعات بحيث إن الوحدة محل الاختبار فى كل مجموعة تعمل تحت مستوى ضغط واحد ثابت طول فترة الاختبار . وقد تم استخدام أسلوب بييز لتقدير معلمات توزيع بيير العام فى حالة العينات المراقبة من النوع الثانى (Type II censoring) بافتراض دوال قبلية للمعالم (Jeffrey's rules) من خلال استخدام Lindley's approximation .

$$\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\frac{s_j^p t_{ij}^{vs_j^p}\ ln t_{ij}}{\left(\beta + t_{ij}^{vs_j^p}\right)^2} + \sum_{j=1}^{k}\left(n_j - r_j\right)\frac{s_j^p t_{r_j j}^{vs_j^p}\ ln t_{r_j j}}{\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)^2}. \quad (29)$$

$$L_{342}^{(3)} = L_{234}^{(3)} = L_{432}^{(3)} = \frac{\partial^3\, ln L}{\partial\alpha\partial\beta\partial p} =$$

$$\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\frac{s_j^p t_{ij}^{vs_j^p}\ v ln s_j\, ln t_{ij}}{\left(\beta + t_{ij}^{vs_j^p}\right)^2} + \sum_{j=1}^{k}\left(n_j - r_j\right)\frac{s_j^p t_{r_j j}^{vs_j^p}\ v ln s_j\, ln t_{r_j j}}{\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)^2}. \quad (30)$$

$$L_{241}^{(3)} = L_{412}^{(3)} = L_{124}^{(3)} = \frac{\partial^3 \ln L}{\partial p \partial \beta \partial v} =$$

$$(1+\alpha)\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\frac{1}{\left(\beta + t_{ij}^{vs_j^p}\right)^2}\left[s_j^p t_{ij}^{vs_j^p} \ln s_j \ln t_{ij} + vs_j^{2p} t_{ij}^{vs_j^p} \ln s_j (\ln t_{ij})^2\right]$$

$$-(1+\alpha)\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\frac{1}{\left(\beta + t_{ij}^{vs_j^p}\right)^3}\left[2s_j^{2p} t_{ij}^{2vs_j^p} v \ln s_j (\ln t_{ij})^2\right]$$

$$+\alpha\sum_{j=1}^{k}\frac{(n_j - r_j)}{\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)^2}\left[s_j^p t_{r_j j}^{vs_j^p} \ln s_j \ln t_{r_j j} + vs_j^{2p} t_{r_j j}^{vs_j^p} \ln s_j (\ln t_{r_j j})^2\right]$$

$$-\alpha\sum_{j=1}^{k}\frac{(n_j - r_j)}{\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)^3}\left[2s_j^{2p} t_{r_j j}^{2vs_j^p} v \ln s_j (\ln t_{r_j j})^2\right]. \qquad (28)$$

$$L_{341}^{(3)} = L_{134}^{(3)} = L_{431}^{(3)} = \frac{\partial^3 \ln L}{\partial \alpha \partial \beta \partial v} =$$

$$+\sum_{j=1}^{k}\frac{\left(n_j-r_j\right)}{\left(\beta+t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)^2}-\frac{1}{\beta^2}\sum_{j=1}^{k}\left(n_j-r_j\right). \tag{26}$$

$$L_{123}^{(3)}=L_{312}^{(3)}=L_{231}^{(3)}=\frac{\partial^3 \ln L}{\partial v \partial p \partial \alpha}=\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\frac{vs_j^{2p}t_{ij}^{2vs_j^p}\ln s_j\left(\ln t_{ij}\right)^2}{\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)^2}$$

$$-\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\left[\frac{s_j^p t_{ij}^{vs_j^p}\ln s_j \ln t_{ij}+vs_j^{2p}t_{ij}^{vs_j^p}\ln s_j\left(\ln t_{ij}\right)^2}{\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)}\right]$$

$$+\sum_{j=1}^{k}\left(n_j-r_j\right)\frac{vs_j^{2p}t_{r_j j}^{2vs_j^p}\ln s_j\left(\ln t_{r_j j}\right)^2}{\left(\beta+t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)^2}$$

$$-\sum_{j=1}^{k}\left(n_j-r_j\right)\left[\frac{s_j^p t_{r_j j}^{vs_j^p}\ln s_j \ln t_{r_j j}+vs_j^{2p}t_{r_j j}^{vs_j^p}\ln s_j\left(\ln t_{r_j j}\right)^2}{\left(\beta+t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)}\right]. \tag{27}$$

$$L_{441}^{(3)}=\frac{\partial^3 \ln L}{\partial\beta^2\partial v}=-(1+\alpha)\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\frac{2\left(t_{ij}^{vs_j^p}\ ln t_{ij} s_j^p\right)}{\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)^3}$$

$$-\alpha\sum_{j=1}^{k}(n_j-r_j)\frac{2\left(t_{r_j j}^{vs_j^p}\ ln t_{r_j j} s_j^p\right)}{\left(\beta+t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)^3}=L_{414}^{(3)}=L_{144}^{(3)}. \quad (24)$$

$$L_{442}^{(3)}=L_{424}^{(3)}=L_{244}^{(3)}=\frac{\partial^3 \ln L}{\partial\beta^2\,\partial p}=-2(1+\alpha)\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\frac{s_j^p t_{ij}^{vs_j^p}\ v ln s_j\ ln t_{ij}}{\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)^3}$$

$$-2\alpha\sum_{j=1}^{k}\frac{(n_j-r_j)s_j^p t_{r_j j}^{vs_j^p}\ v ln s_j\ ln t_{r_j j}}{\left(\beta+t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)^3}. \quad (25)$$

$$L_{443}^{(3)}=L_{344}^{(3)}=L_{434}^{(3)}=\frac{\partial^3 \ln L}{\partial^2\beta\partial\alpha}=\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\frac{1}{\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)^2}-\frac{1}{\beta^2}\sum_{j=1}^{k}r_j$$

$$+2(1+\alpha)\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\frac{\delta_{ij}\left(\ln s_j\right)^2}{\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)^3}\left[-s_j^{2p}t_{ij}^{2vs_j^p}v^2\left(\ln t_{ij}\right)^2\right.$$

$$\left.+s_j^p t_{ij}^{vs_j^p}v\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)\ln t_{ij}\left(1+vs_j^p\ln t_{ij}\right)\right]$$

$$-\alpha\sum_{j=1}^{k}\frac{\left(n_j-r_j\right)s_j^p t_{r_jj}^{vs_j^p}v\left(\ln s_j\right)^2\ln t_{r_jj}\left(1+vs_j^p\ln t_{r_jj}\right)}{\left(\beta+t_{r_jj}^{vs_j^p}\right)^2}$$

$$+2\alpha\sum_{j=1}^{k}\frac{\left(n_j-r_j\right)\left(\ln s_j\right)^2}{\left(\beta+t_{r_jj}^{vs_j^p}\right)^3}\left[-s_j^{2p}t_{r_jj}^{2vs_j^p}v^2\left(\ln t_{r_jj}\right)^2\right.$$

$$\left.+s_j^p t_{r_jj}^{vs_j^p}v\left(\beta+t_{r_jj}^{vs_j^p}\right)\ln t_{r_jj}\left(1+vs_j^p\ln t_{r_jj}\right)\right]=L_{422}^{(3)}=L_{224}^{(3)} \qquad (20)$$

$$L_{331}^{(3)}=L_{313}^{(3)}=L_{133}^{(3)}=\frac{\partial^3\ln L}{\partial\alpha^2\partial v}=zero \qquad (21)$$

$$L_{332}^{(3)}=L_{233}^{(3)}=L_{323}^{(3)}=\frac{\partial^3\ln L}{\partial\alpha^2\partial p}=zero \qquad (22)$$

$$L_{334}^{(3)}=L_{433}^{(3)}=L_{343}^{(3)}=\frac{\partial^3\ln L}{\partial\alpha^2\partial\beta}=zero \qquad (23)$$

$$\left(lnt_{r_j j}\right)+s_j^{2p}t_{r_j j}^{2vs_j^p}v\left(lnt_{r_j j}\right)^2\left(1+vs_j^p\,lnt_{r_j j}\right)+s_j^{2p}t_{r_j j}^{vs_j^p}v\left(\beta+t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)$$

$$\left(lnt_{r_j j}\right)^2\left(1+vs_j^p\,lnt_{r_j j}\right)\Bigg]=L_{212}^{(3)}=L_{122}^{(3)}. \qquad (18)$$

$$L_{232}^{(3)}=\frac{\partial^3 lnL}{\partial^2 p\partial\alpha}=-\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\frac{\left(ln s_j\right)^2}{\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)^2}\Bigg[-s_j^{2p}t_{ij}^{2vs_j^p}v^2\left(lnt_{ij}\right)^2$$

$$+s_j^p t_{ij}^{vs_j^p}v\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)lnt_{ij}\left(1+vs_j^p\,lnt_{ij}\right)\Bigg]$$

$$-\sum_{j=1}^{k}\frac{\left(n_j-r_j\right)\left(ln s_j\right)^2}{\left(\beta+t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)^2}\Bigg[-s_j^{2p}t_{r_j j}^{2vs_j^p}v^2\left(lnt_{r_j j}\right)^2$$

$$+s_j^p t_{r_j j}^{vs_j^p}v\left(\beta+t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)lnt_{r_j j}\left(1+vs_j^p\,lnt_{r_j j}\right)\Bigg]=L_{322}^{(3)}=L_{223}^{(3)} \qquad (19)$$

$$L_{242}^{(3)}=\frac{\partial^3 lnL}{\partial^2 p\partial\beta}=-\left(1+\alpha\right)\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\frac{s_j^p t_{ij}^{vs_j^p}v\left(ln s_j\right)^2 lnt_{ij}\left(1+vs_j^p\,lnt_{ij}\right)}{\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)^2}$$

$$\left(-s_j^{2p}t_{ij}^{2vs_j^p}v^2\left(lnt_{ij}\right)^2+vs_j^pt_{ij}^{vs_j^p}\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)lnt_{ij}\left(1+vs_j^p\,lnt_{ij}\right)\right)\Bigg]$$

$$-\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\frac{(1+\alpha)(lns_j)^2}{\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)^2}\Bigg[-2s_j^{2p}t_{ij}^{2vs_j^p}v\left(lnt_{ij}\right)^2+s_j^{2p}t_{ij}^{vs_j^p}v\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)$$

$$\left(lnt_{ij}\right)^2-2s_j^{3p}t_{ij}^{2vs_j^p}v^2\left(lnt_{ij}\right)^3+s_j^pt_{ij}^{vs_j^p}v\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)\left(lnt_{ij}\right)\left(1+vs_j^p\,lnt_{ij}\right)$$

$$+s_j^{2p}t_{ij}^{2vs_j^p}v\left(lnt_{ij}\right)^2\left(1+vs_j^p\,lnt_{ij}\right)+s_j^{2p}t_{ij}^{vs_j^p}v\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)\left(lnt_{ij}\right)^2$$

$$\left(1+vs_j^p\,lnt_{ij}\right)\Bigg]+\sum_{j=1}^{k}\frac{\alpha\left(n_j-r_j\right)}{\left(\beta+t_{r_jj}^{vs_j^p}\right)^3}\Bigg[2s_j^pt_{r_jj}^{vs_j^p}\left(lns_j\right)^2lnt_{r_jj}$$

$$\left(-s_j^{2p}t_{r_jj}^{2vs_j^p}v^2\left(lnt_{r_jj}\right)^2+vs_j^pt_{r_jj}^{vs_j^p}\left(\beta+t_{r_jj}^{vs_j^p}\right)lnt_{r_jj}\left(1+vs_j^p\,lnt_{r_jj}\right)\right)\Bigg]$$

$$-\alpha\sum_{j=1}^{k}\frac{\left(n_j-r_j\right)(lns_j)^2}{\left(\beta+t_{r_jj}^{vs_j^p}\right)^2}\Bigg[-2s_j^{2p}t_{r_jj}^{2vs_j^p}v\left(lnt_{r_jj}\right)^2+s_j^{2p}t_{r_jj}^{vs_j^p}v\left(\beta+t_{r_jj}^{vs_j^p}\right)$$

$$\left(lnt_{r_jj}\right)^2-2s_j^{3p}t_{r_jj}^{2vs_j^p}v^2\left(lnt_{r_jj}\right)^3+s_j^pt_{r_jj}^{vs_j^p}v\left(\beta+t_{r_jj}^{vs_j^p}\right)\left(1+vs_j^p\,lnt_{r_jj}\right)$$

$$= L_{311}^{(3)} = L_{113}^{(3)}. \tag{16}$$

$$L_{141}^{(3)} = \frac{\partial^3 \ln L}{\partial^2 v \partial \beta} = -(1+\alpha)\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\frac{s_j^{2p} t_{ij}^{vs_j^p} (\ln t_{ij})^2}{\left(\beta + t_{ij}^{vs_j^p}\right)^2} + 2\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\frac{(1+\alpha)}{\left(\beta + t_{ij}^{vs_j^p}\right)^3}$$

$$\left[-s_j^{2p} t_{ij}^{2vs_j^p} (\ln t_{ij})^2 + s_j^{2p} t_{ij}^{vs_j^p}\left(\beta + t_{ij}^{vs_j^p}\right)(\ln t_{ij})^2\right]$$

$$-\alpha\sum_{j=1}^{k}(n_j - r_j)\frac{s_j^{2p} t_{r_j j}^{vs_j^p} (\ln t_{r_j j})^2}{\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)^2} + 2\alpha\sum_{j=1}^{k}\frac{(n_j - r_j)}{\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)^3}$$

$$\left[-s_j^{2p} t_{r_j j}^{2vs_j^p} (\ln t_{r_j j})^2 + s_j^{2p} t_{r_j j}^{vs_j^p}\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)(\ln t_{r_j j})^2\right] = L_{411}^{(3)} = L_{114}^{(3)}. \tag{17}$$

$$L_{221}^{(3)} = \frac{\partial^3 \ln L}{\partial^2 p \partial v} =$$

$$\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j} s_j^{p} (\ln s_j)^2 \ln t_{ij} + \sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\frac{(1+\alpha)}{\left(\beta + t_{ij}^{vs_j^p}\right)^3}\left[2 s_j^{p} t_{ij}^{vs_j^p} (\ln s_j)^2 \ln t_{ij}\right.$$

$$\frac{\left[-s_j^{2p} t_{r_j j}^{2vs_j^p}\left[\ln t_{r_j j}\right]^2 + s_j^{2p} t_{r_j j}^{vs_j^p}\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)\left[\ln t_{r_j j}\right]^2\right]}{\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)^3}$$

$$-\alpha \sum_{j=1}^{k} \frac{\left(n_j - r_j\right)}{\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)^2}$$

$$\left[-2s_j^{2p} t_{r_j j}^{2vs_j^p} \ln s_j \left(\ln t_{r_j j}\right)^2 + 2s_j^{2p} t_{r_j j}^{vs_j^p}\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)\ln s_j \left(\ln t_{r_j j}\right)^2\right.$$

$$\left. - s_j^{3p} t_{r_j j}^{2vs_j^p} v \ln s_j \left(\ln t_{r_j j}\right)^3 + s_j^{3p} t_{r_j j}^{vs_j^p} v\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)\ln s_j \left(\ln t_{r_j j}\right)^3\right] \quad (15)$$

$$L_{131}^{(3)} = \frac{\partial^3 \ln L}{\partial^2 v \partial \alpha} = \sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j} \frac{\left(-s_j^{2p} t_{ij}^{2vs_j^p}\left(\ln t_{ij}\right)^2 + s_j^{2p} t_{ij}^{vs_j^p}\left(\beta + t_{ij}^{vs_j^p}\right)\left(\ln t_{ij}\right)^2\right)}{\left(\beta + t_{ij}^{vs_j^p}\right)^2}$$

$$\sum_{j=1}^{k} \frac{\left(n_j - r_j\right)\left(-s_j^{2p} t_{r_j j}^{2vs_j^p}\left(\ln t_{r_j j}\right)^2 + s_j^{2p} t_{r_j j}^{vs_j^p}\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)\left(\ln t_{r_j j}\right)^2\right)}{\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)^2}$$

$$-\alpha\sum_{j=1}^{k}\frac{2\left(n_j-r_j\right)}{\left(\beta+t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)^3}. \qquad (14)$$

$$L_{121}^{(3)}=L_{211}^{(3)}=L_{112}^{(3)}=\frac{\partial^3 \ln L}{\partial^2 v\partial p}=+\left(1+\alpha\right)\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}2vs_j^p t_{ij}^{vs_j^p}\ \ln s_j \ln t_{ij}$$

$$\frac{\left[-s_j^{2p}t_{ij}^{2vs_j^p}\left[\ln t_{ij}\right]^2+s_j^{2p}t_{ij}^{vs_j^p}\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)\left[\ln t_{ij}\right]^2\right]}{\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)^3}$$

$$-\left(1+\alpha\right)\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\frac{1}{\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)^2}$$

$$\left[-2s_j^{2p}t_{ij}^{2vs_j^p}\ \ln s_j\left(\ln t_{ij}\right)^2+2s_j^{2p}t_{ij}^{vs_j^p}\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)\ln s_j\left(\ln t_{ij}\right)^2\right.$$

$$\left.-s_j^{3p}t_{ij}^{2vs_j^p}\ v\ln s_j\left(\ln t_{ij}\right)^3+s_j^{3p}t_{ij}^{vs_j^p}\ v\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)\ln s_j\left(\ln t_{ij}\right)^3\right]$$

$$+\alpha\sum_{j=1}^{k}\left(n_j-r_j\right)2vs_j^p t_{r_j j}^{vs_j^p}\ \ln s_j \ln t_{r_j j}$$

$$\left(-s_j^{2p} t_{r_j j}^{2vs_j^p} v^2 \left(\ln t_{r_j j}\right)^2 + s_j^p t_{r_j j}^{vs_j^p} v \left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right) \ln t_{r_j j}\left(1 + vs_j^p \ln t_{r_j j}\right)\right)\Bigg]$$

$$-\sum_{j=1}^{k} \frac{\alpha\left(\ln s_j\right)^2 \left(n_j - r_j\right)}{\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)^2}\Big[-2s_j^{2p} t_{r_j j}^{2vs_j^p} v^2 \ln s_j \left(\ln t_{r_j j}\right)^2 + s_j^{2p} t_{r_j j}^{vs_j^p} v^2 \left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)$$

$$\ln s_j \left(\ln t_{r_j j}\right)^2 - 2s_j^{3p} t_{r_j j}^{2vs_j^p} v^3 \ln s_j \left(\ln t_{r_j j}\right)^3 + s_j^p t_{r_j j}^{vs_j^p} v \left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)$$

$$\ln s_j \ln t_{r_j j} \left(1 + vs_j^p \ln t_{r_j j}\right) + s_j^{2p} t_{r_j j}^{2vs_j^p} v^2 \ln s_j \left(\ln t_{r_j j}\right)^2 \left(1 + vs_j^p \ln t_{r_j j}\right)$$

$$+ s_j^{2p} t_{r_j j}^{vs_j^p} v^2 \left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right) \ln s_j \left(\ln t_{r_j j}\right)^2 \left(1 + vs_j^p \ln t_{r_j j}\right)\Big]. \qquad (12)$$

$$L_{333}^{(3)} = \frac{\partial^3 \ln L}{\partial \alpha^3} = \frac{2\sum_{j=1}^{k} r_j}{\alpha^3}. \qquad (13)$$

$$L_{444}^{(3)} = \frac{\partial^3 \ln L}{\partial \beta^3} = -\sum_{j=1}^{k} \sum_{i=1}^{r_j} \frac{2(1+\alpha)}{\left(\beta + t_{ij}^{vs_j^p}\right)^3} + \frac{2\alpha}{\beta^3} \sum_{j=1}^{k} r_j + \frac{2\alpha}{\beta^3} \sum_{j=1}^{k} \left(n_j - r_j\right)$$

$$L_{222}^{(3)}=\frac{\partial^3 \ln L}{\partial p^3}=v\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j} s_j^p\left(\ln s_j\right)^3 \ln t_{ij}+$$

$$\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\frac{(1+\alpha)}{\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)^3}\left[2vs_j^p t_{ij}^{vs_j^p}\left(\ln s_j\right)^3 \ln t_{ij}\right.$$

$$\left.\left(-s_j^{2p}t_{ij}^{2vs_j^p}v^2\left(\ln t_{ij}\right)^2+s_j^p t_{ij}^{vs_j^p}v\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)\ln t_{ij}\left(1+vs_j^p \ln t_{ij}\right)\right)\right]$$

$$-\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\frac{(1+\alpha)\left(\ln s_j\right)^2}{\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)^2}\left[-2s_j^{2p}t_{ij}^{2vs_j^p}v^2\ln s_j\left(\ln t_{ij}\right)^2+s_j^{2p}t_{ij}^{vs_j^p}v^2\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)\right.$$

$$\ln s_j\left(\ln t_{ij}\right)^2-2s_j^{3p}t_{ij}^{2vs_j^p}v^3\ln s_j\left(\ln t_{ij}\right)^3+s_j^p t_{ij}^{vs_j^p}v\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)\ln s_j \ln t_{ij}$$

$$\left(1+vs_j^p \ln t_{ij}\right)+s_j^{2p}t_{ij}^{2vs_j^p}v^2\ln s_j\left(\ln t_{ij}\right)^2\left(1+vs_j^p \ln t_{ij}\right)$$

$$\left.+s_j^{2p}t_{ij}^{vs_j^p}v^2\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)\ln s_j\left(\ln t_{ij}\right)^2\left(1+vs_j^p \ln t_{ij}\right)\right]$$

$$+\sum_{j=1}^{k}\frac{\alpha\left(n_j-r_j\right)}{\left(\beta+t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)^3}\left[2vs_j^p t_{r_j j}^{vs_j^p}\left(\ln s_j\right)^3 \ln t_{r_j j}\right.$$

$$-(1+\alpha)\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\frac{\left[-s_j^{3p}t_{ij}^{2vs_j^p}\left[\ln t_{ij}\right]^3+s_j^{3p}t_{ij}^{vs_j^p}\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)\left[\ln t_{ij}\right]^3\right]}{\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)^2}$$

$$+(1+\alpha)\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\frac{2s_j^p t_{ij}^{vs_j^p}\ln t_{ij}\left[-s_j^{2p}t_{ij}^{2vs_j^p}\left[\ln t_{ij}\right]^2+s_j^{2p}t_{ij}^{vs_j^p}\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)\left[\ln t_{ij}\right]^2\right]}{\left(\beta+t_{ij}^{vs_j^p}\right)^3}$$

$$-\alpha\sum_{j=1}^{k}\left(n_j-r_j\right)\frac{\left[-s_j^{3p}t_{r_jj}^{2vs_j^p}\left[\ln t_{r_jj}\right]^3+s_j^{3p}t_{r_jj}^{vs_j^p}\left(\beta+t_{r_jj}^{vs_j^p}\right)\left[\ln t_{r_jj}\right]^3\right]}{\left(\beta+t_{r_jj}^{vs_j^p}\right)^2}$$

$$+\alpha\sum_{j=1}^{k}\left(n_j-r_j\right)\frac{2s_j^p t_{r_jj}^{vs_j^p}\ln t_{r_jj}}{\left(\beta+t_{r_jj}^{vs_j^p}\right)^3}$$

$$\left[-s_j^{2p}t_{r_jj}^{2vs_j^p}\left[\ln t_{r_jj}\right]^2+s_j^{2p}t_{r_jj}^{vs_j^p}\left(\beta+t_{r_jj}^{vs_j^p}\right)\left[\ln t_{r_jj}\right]^2\right] \qquad (11)$$

$$
\left. - \frac{v \ln s_j \left(s_j^p t_{ij}^{vs_j^p} \ln t_{ij} \right)^2}{\left(\beta + t_{ij}^{vs_j^p} \right)^2} \right\}
$$

$$
- \alpha \sum_{j=1}^{k} \left\{ \frac{\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p} \right) \ln t_{r_j j} \left(s_j^p v s_j^p t_{r_j j}^{vs_j^p} \ln s_j \ln t_{r_j j} + t_{r_j j}^{vs_j^p} s_j^p \ln s_j \right)}{\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p} \right)^2} \right.
$$

$$
\left. - \frac{v \ln s_j \left(s_j^p t_{r_j j}^{vs_j^p} \ln t_{r_j j} \right)^2}{\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p} \right)^2} \right\} \left(n_j - r_j \right). \tag{10}
$$

Then the third derivatives are given as follows:

$$
L_{111}^{(3)} = \frac{\partial^3 \ln L}{\partial v^3} = \frac{2 \sum_{j=1}^{k} r_j}{v^3}
$$

$$\frac{\partial^2 \ln L}{\partial\beta\partial v} = (1+\alpha)\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\frac{s_j^p t_{ij}^{vs_j^p}\ \ln t_{ij}}{\left(\beta + t_{ij}^{vs_j^p}\right)^2} + \alpha\sum_{j=1}^{k}\frac{(n_j - r_j)s_j^p t_{r_j j}^{vs_j^p}\ \ln t_{r_j j}}{\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)^2}. \quad (8)$$

$$\frac{\partial^2 \ln L}{\partial\beta\,\partial p} = (1+\alpha)\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\frac{v\,t_{ij}^{vs_j^p}\ \ln t_{ij} s_j^p \ln s_j}{\left(\beta + t_{ij}^{vs_j^p}\right)^2}$$

$$+\alpha\sum_{j=1}^{k}\frac{(n_j - r_j)v\,t_{r_j j}^{vs_j^p}\ \ln t_{r_j j} s_j^p \ln s_j}{\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)^2}. \quad (9)$$

$$\frac{\partial^2 \ln L}{\partial v\partial p} = \sum_{j=1}^{k} s_j^p \ln s_j \sum_{i=1}^{r_j}\ln t_{ij}$$

$$-(1+\alpha)\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\left\{\frac{\left(\beta + t_{ij}^{vs_j^p}\right)\ln t_{ij}\left(s_j^p v s_j^p t_{ij}^{vs_j^p}\ \ln s_j \ln t_{ij} + t_{ij}^{vs_j^p}\ s_j^p \ln s_j\right)}{\left(\beta + t_{ij}^{vs_j^p}\right)^2}\right.$$

$$-\frac{\left[v \ln t_{r_j j} \ln s_j s_j^{p} t_{r_j j}^{v s_j^{p}}\right]^2}{\left(\beta + t_{r_j j}^{v s_j^{p}}\right)^2}\Bigg\}\left(n_j - r_j\right). \qquad (4)$$

$$\frac{\partial^2 \ln L}{\partial\alpha\partial\beta} = \frac{\sum_{j=1}^{k} r_j}{\beta} - \sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j} \frac{1}{\left(\beta + t_{ij}^{v s_j^{p}}\right)} + \sum_{j=1}^{k}\left(n_j - r_j\right)\left[\frac{1}{\beta} - \frac{1}{\left(\beta + t_{r_j j}^{v s_j^{p}}\right)}\right]. \qquad (5)$$

$$\frac{\partial^2 \ln L}{\partial\alpha\partial v} = -\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j} \frac{s_j^{p} t_{ij}^{v s_j^{p}} \ln t_{ij}}{\left(\beta + t_{ij}^{v s_j^{p}}\right)} - \sum_{j=1}^{k} \frac{\left(n_j - r_j\right) s_j^{p} t_{r_j j}^{v s_j^{p}} \ln t_{r_j j}}{\left(\beta + t_{r_j j}^{v s_j^{p}}\right)}. \qquad (6)$$

$$\frac{\partial^2 \ln L}{\partial\alpha\partial p} = -\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j} \frac{v\, t_{ij}^{v s_j^{p}} \ln t_{ij} s_j^{p} \ln s_j}{\left(\beta + t_{ij}^{v s_j^{p}}\right)} - \sum_{j=1}^{k} \frac{\left(n_j - r_j\right) v\, t_{r_j j}^{v s_j^{p}} \ln t_{r_j j} s_j^{p} \ln s_j}{\left(\beta + t_{r_j j}^{v s_j^{p}}\right)}. \qquad (7)$$

$$\frac{\partial^2 \ln L}{\partial \alpha^2} = -\frac{\sum_{j=1}^{k} r_j}{\alpha^2} \quad . \tag{3}$$

$$\frac{\partial^2 \ln L}{\partial p^2} = v \sum_{j=1}^{k} \left(\ln s_j\right)^2 s_j^p \sum_{i=1}^{r_j} \ln t_{ij} - (1+\alpha)$$

$$\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j}\left\{\frac{\left(\beta + t_{ij}^{vs_j^p}\right)\left(v \ln t_{ij} \ln s_j\right)\left[s_j^p v s_j^p t_{ij}^{vs_j^p} \ln s_j \ln t_{ij} + t_{ij}^{vs_j^p} s_j^p \ln s_j\right]}{\left(\beta + t_{ij}^{vs_j^p}\right)^2}\right.$$

$$\left. - \frac{\left[v \ln t_{ij} \ln s_j s_j^p t_{ij}^{vs_j^p}\right]^2}{\left(\beta + t_{ij}^{vs_j^p}\right)^2}\right\}$$

$$-\alpha \sum_{j=1}^{k}\left\{\frac{\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)\left[v\left(\ln t_{r_j j}\right)\left(\ln s_j\right)^2 s_j^p t_{r_j j}^{vs_j^p}\right]\left[s_j^p v \ln t_{r_j j} + 1\right]}{\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)^2}\right.$$

Appendix

The second derivatives of the natural logarithm likelihood function in (3.3)are given as follows:

$$\frac{\partial^2 \ln L}{\partial v^2} = -\frac{1}{v^2}\sum_{j=1}^{k} r_j$$

$$-(1+\alpha)\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j} \frac{\left(\beta + t_{ij}^{vs_j^p}\right)\left[\left(s_j^p\right)^2 \left(\ln t_{ij}\right)^2 t_{ij}^{vs_j^p}\right] - \left[s_j^p t_{ij}^{vs_j^p} \ln t_{ij}\right]^2}{\left(\beta + t_{ij}^{vs_j^p}\right)^2}$$

$$-\alpha\sum_{j=1}^{k}\left(n_j - r_j\right) \frac{\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)\left[\left(s_j^p\right)^2 \left(\ln t_{r_j j}\right)^2 t_{r_j j}^{vs_j^p}\right] - \left[s_j^p t_{r_j j}^{vs_j^p} \ln t_{r_j j}\right]^2}{\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)^2} . \qquad (1)$$

$$\frac{\partial^2 \ln L}{\partial \beta^2} = \sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j} \frac{1}{\left(\beta + t_{ij}^{vs_j^p}\right)^2} - \frac{\alpha}{\beta^2}\sum_{j=1}^{k} r_j + \alpha\sum_{j=1}^{k}\sum_{i=1}^{r_j} \frac{1}{\left(\beta + t_{ij}^{vs_j^p}\right)^2}$$

$$-\frac{\alpha}{\beta^2}\sum_{j=1}^{k}\left(n_j - r_j\right) + \alpha\sum_{j=1}^{k} \frac{(n_j - r_j)}{\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p}\right)^2} . \qquad (2)$$

References

[1] **Lindely, D. V. (1980);** " Bayesian approximation methods", Trabajos Estadistica, 31, pp 223-237.

[2] **Nelson, W. (1990);** "Accelerated Life Testing: Statistical models, Test Plan and Data Analysis", John Wiley& Sons.

[3] **Willing, R.(1987) ;** " Semi-sufficiency in accelerated life testing "in: Probability and Bayesian Statistics, ed. R. Plenum, New York.

[4] **Viertl, R. (1989);** " Bayesian inference in accelerated life testing", Invited Paper 24.2, 64th session of the ISI, Tokyo.

[5] **Acher, J. A. and Louzada-Neto, F. (1992a);** " A Bayesian approach for accelerated life tests considering the Weibuull distribution", Computational Statistics,7, 359-369.

[6] **Acher, J. A. and Louzada-Neto, F. (1992b);** " Accelerated life tests with Exponential distribution: A Bayesian approach with the generalized Eyring model and type-II censored data", Rev. Mat. Stat. Sao Paulo, 10, 31-46.

[7] **Acher, J. A. and Rosales, O. L. A. (1992);** " A Bayesian approach for accelerated life tests assuming an inverse Gaussian distribution", ESTADISTICA, 44, (142/143), pp. 1-125.

[8] **Acher, J. A. (1994);** "Approximate Bayesian Inference For Accelerated Life Tests", Journal of Applied Statistics Science, vol.1, number 3, pp. 223-237.

[9] **Acher, J. A. (1995);** " Inference for accelerated life tests considering a bi-variate exponential distribution", Statistics, 26, 269-283.

[10] **Everitt, B. S. And Hand, D. J. (1981);** " Finite Mixture Distribution", Chapman and Hall.

[11] **Dubey, S . D. (1968);** "A compound weibull distribution" , Naval Research Logistic Quartely, Vol. 15, pp.179-188.

[12] **Abd EL Wahab, N. Y.(2001);** "Designing Bayesian sampling plans for the Burr lifetime distribution", Ph. D. Thesis, Faculty Of Economics and Political Science, Cairo University, Egypt.

[13] **Lindely, D. V. ;** op. cit., pp. 223-237.

$$E(\beta|t)=\left[\beta-\left(\frac{\sigma_{41}}{v}+\frac{\sigma_{42}}{p}+\frac{\sigma_{43}}{\alpha}+\frac{\sigma_{44}}{\beta}\right)\right.$$

$$\left.+\frac{1}{2}(\sigma_{14}A+\sigma_{24}B+\sigma_{34}C+\sigma_{44}D)\right]\downarrow_{\hat{\Phi}} \qquad (3.15)$$

$$var(\beta|t)=\sigma_{44}-\left[\left(\frac{\sigma_{41}}{v}+\frac{\sigma_{42}}{p}+\frac{\sigma_{43}}{\alpha}+\frac{\sigma_{44}}{\beta}\right)\right.$$

$$\left.-\frac{1}{2}(\sigma_{14}A+\sigma_{24}B+\sigma_{34}C+\sigma_{44}D)\right]^2\downarrow_{\hat{\Phi}} \qquad (3.16)$$

where

$$A=\sum_{q,x}\sigma_{qx}L^{(3)}_{qx1} \quad , B=\sum_{q,x}\sigma_{qx}L^{(3)}_{qx2} \quad ,C=\sum_{q,x}\sigma_{qx}L^{(3)}_{qx3}$$

and (3.17)

$$D=\sum_{q,x}\sigma_{qx}L^{(3)}_{qx4} \quad ; \text{for } q,x=1,2,3,4.$$

Also, both the posterior mean and posterior variance of p take the following form:

$$E(p|t)=\left[p-\left(\frac{\sigma_{21}}{v}+\frac{\sigma_{22}}{p}+\frac{\sigma_{23}}{\alpha}+\frac{\sigma_{24}}{\beta}\right)\right.$$

$$\left.+\frac{1}{2}(\sigma_{12}A+\sigma_{22}B+\sigma_{32}C+\sigma_{42}D)\right]\downarrow_{\hat{\Phi}} \qquad (3.11)$$

$$var(p|t)=\sigma_{22}-\left[\left(\frac{\sigma_{21}}{v}+\frac{\sigma_{22}}{p}+\frac{\sigma_{23}}{\alpha}+\frac{\sigma_{24}}{\beta}\right)\right.$$

$$\left.-\frac{1}{2}(\sigma_{12}A+\sigma_{22}B+\sigma_{32}C+\sigma_{42}D)\right]^2\downarrow_{\hat{\Phi}} \qquad (3.12)$$

As the same for the third parameter, α, the posterior mean and posterior variance are expressed as follows:

$$E(\alpha|t)=\left[\alpha-\left(\frac{\sigma_{31}}{v}+\frac{\sigma_{32}}{p}+\frac{\sigma_{33}}{\alpha}+\frac{\sigma_{34}}{\beta}\right)\right.$$

$$\left.+\frac{1}{2}(\sigma_{13}A+\sigma_{23}B+\sigma_{33}C+\sigma_{43}D)\right]\downarrow_{\hat{\Phi}} \qquad (3.13)$$

$$var(\alpha|t)=\sigma_{33}-\left[\left(\frac{\sigma_{31}}{v}+\frac{\sigma_{32}}{p}+\frac{\sigma_{33}}{\alpha}+\frac{\sigma_{34}}{\beta}\right)\right.$$

$$\left.-\frac{1}{2}(\sigma_{13}A+\sigma_{23}B+\sigma_{33}C+\sigma_{43}D)\right]^2\downarrow_{\hat{\Phi}} \qquad (3.14)$$

Finally, both the posterior mean and posterior variance for β are shown as follows:

The equation (3.7) is evaluated at $\hat{\Phi}$, the maximum likelihood estimators of Φ; $u \equiv u(\Phi)$, σ_{qx} are the elements of the inverse of the asymptotic Fisher-information matrix of v, p, α and β and

$$u_q^{(1)} = \frac{\partial u}{\partial \Phi_q}, \qquad u_{qx}^{(2)} = \frac{\partial^2 u}{\partial \Phi_q \partial \Phi_x}, \qquad \rho_x^{(1)} = \frac{\partial \log h(\Phi)}{\partial \Phi_x}, \quad \text{and}$$

$$L_{qxl}^{(3)} = \frac{\partial^3 \ln L(t|\Phi)}{\partial \Phi_q \partial \Phi_x \partial \Phi_l} \tag{3.8}$$

In our study, the number of parameters is four, i.e. m=4. Let the subscripts 1, 2, 3 and 4 refer to v, p, α and β,respectively. To calculate the posterior means and the posterior variances of v, p, α and β, both second and third derivatives of the natural logarithm likelihood function in (3.3) must be obtained see the appendix.

Then , the posterior mean and the posterior variance of v become respectively as the following:

$$E(v|t) = \left[v - \left(\frac{\sigma_{11}}{v} + \frac{\sigma_{12}}{p} + \frac{\sigma_{13}}{\alpha} + \frac{\sigma_{14}}{\beta} \right) + \frac{1}{2}(\sigma_{11}A + \sigma_{21}B + \sigma_{31}C + \sigma_{41}D) \right] \downarrow_{\hat{\Phi}} \tag{3.9}$$

$$var(v|t) = \sigma_{11} - \left[\left(\frac{\sigma_{11}}{v} + \frac{\sigma_{12}}{p} + \frac{\sigma_{13}}{\alpha} + \frac{\sigma_{14}}{\beta} \right) - \frac{1}{2}(\sigma_{11}A + \sigma_{21}B + \sigma_{31}C + \sigma_{41}D) \right]^2 \downarrow_{\hat{\Phi}} \tag{3.10}$$

$$h(v,p,\alpha,\beta|t)=\frac{h(\Phi)L(t|\Phi)}{\int_{\Phi} h(\Phi)L(t|\Phi)d\Phi} \tag{3.5}$$

where $h(\Phi)$ is the prior distribution of Φ.

It is well-known that under a squared error loss function, the Bayes estimator of a parameter is its posterior expectation. To obtain the posterior mean and posterior variance of the parameters, non-tractable integrals will be confronted. So in this case numerical integration is required. Lindley's approximation (1980)[13] is an asymptotic expansion of the ratio of two intractable integrals. The approximation is evaluated at the maximum likelihood estimators of the parameters. Lindley obtained the posterior expectation of an arbitrary function $U(\Phi)$, where $\Phi=(\Phi_1,\Phi_2,\ldots\ldots,\Phi_m)$, and m is the number of the parameters, as follows:

$$E(u(\Phi)|t)=\frac{\int_{\Phi} u(\Phi)h(\Phi)e^{\ln L(t|\Phi)}d\Phi}{\int_{\Phi} h(\Phi)e^{\ln L(t|\Phi)}d\Phi} \tag{3.6}$$

which is the Bayes estimator of $u(\Phi)$ under a squared error loss function. It can be asymptotically estimated by:

$$E(u(\Phi)|t)\approx\left[u+\frac{1}{2}\sum_{q,x}\left(u_{qx}^{(2)}+2u_q^{(1)}\rho_x^{(1)}\right)\sigma_{qx}+\frac{1}{2}\sum_{q,x,l,s}L_{qxl}^{(3)}\sigma_{qx}\sigma_{ls}u_s^{(1)}\right]_{|\hat{\Phi}} \tag{3.7}$$

where $q,x,l,s=1\ldots\ldots..m$.

$$s_j = \frac{c^*}{c_j} \quad , c^* = \prod_{j=1}^{k} c_j^{b_j} \quad , b_j = \frac{r_j}{\sum_{j=1}^{k} r_j} \quad ,v > 0 \ ,p > 0 \ .$$

The likelihood function of the j^{th} sample in case of type-II censoring may be written as:

$$L_j = \frac{n_j!}{(n_j - r_j)!} \prod_{i=1}^{rj} f\left[t_{(ij)}\right]\left[1 - F\left(t_{rjj}\right)\right]^{(nj-rj)} \ .$$

Thus, the likelihood function of the total lifetimes t_{ij}, $j = 1,2,...,k$ and $i = 1,.....,r_j$ which are ndependent and identically distributed random variables takes the following form:

$$L(t|v,p,\alpha,\beta)$$

$$= \prod_{j=1}^{k} U_j \left\{ \left[\prod_{i=1}^{r_j} \left(\frac{\alpha v s_j^p t_{ij}^{vs_j^p - 1}}{\beta + t_{ij}^{vs_j^p}} \right) \left(\frac{\beta}{\beta + t_{ij}^{vs_j^p}} \right)^{\alpha} \right] \left[\frac{\beta}{\left(\beta + t_{r_j j}^{vs_j^p} \right)} \right]^{\alpha(n_j - r_j)} \right\}, \tag{3.3}$$

where $U_j = \frac{n_j!}{(n_j - r_j)!}$.

Assuming the prior distribution of the parameters v, p, α and β (jeffreys' rules) takes the following form:

$$h(v,p,\alpha,\beta) \propto (v,p,\alpha,\beta)^{-1} \tag{3.4}$$

The joint posterior density of v, p, α and β can be obtained as follows

an inverse u-shape. The hazard rate initially increases , attains a maximum at $t^* = (b-1)^{1/b}$ and then decreases to zero as $x \to \infty$.

3- <u>The Bayesian Estimation of the parameters</u>

Suppose that there are k levels of high stress $c_j, j=1,2,........,k$ and assume that c_u is the normal use condition where $c_u < c_1 < c_2 < .... < c_k$, and there are n_j units are put on test at each $c_j, j=1,2....,k$. When a type-II censoring is applied at each stress level, the experiment terminates once the number of failures r_j out of units n_j are reached. The lifetime at stress c_j , t_{ij} , $i=1,2,.....,r_j$, $j=1,2,.......,k$, is considered to have Generalized Burr distribution with the density function:

$$f(t_{ij};\alpha,\beta,\phi_j)=\frac{\alpha\beta^{\alpha}\phi_j t_{ij}^{\phi_j-1}}{\left(\beta+t_{ij}^{\phi_j}\right)^{\alpha+1}},$$

$$t_{ij}>0,\beta,\alpha,\phi>0, j=1,2,..,k \text{ and } i=1,.....,r_j \qquad (3.1)$$

It assumed that the stress c_j affects only on the scale parameter of the Generalized Burr distribution ϕ_j through the Inverse Power Law model that takes the following form

$$\phi_j = v\, s_j^p\ , \quad j=1,2,.......,k \qquad (3.2)$$

Where v is the constant of proportionality, p is the power of applied stress, are the parameters of this model, and

$$g(\theta|\alpha,\beta)=\frac{\beta^{\alpha}}{\Gamma(\alpha)}\theta^{\alpha-1}e^{-\beta\theta}, \qquad \theta>0,\alpha,\beta>0$$

The resulting probability density function (pdf) has the following form:

$$f(t|\alpha,\beta,\phi) \quad = \quad \frac{\alpha\,\beta^{\alpha}\,\phi\,t^{\phi-1}}{(\beta+t^{\phi})^{\alpha+1}}, \qquad t>0\,,\ \phi,\alpha,\beta>0,$$

which is a generalized Burr distribution with three parameters (α,β,ϕ).

The distribution function is:

$$F(t|\alpha,\beta,\phi) \quad =1-\left(1+\frac{t^{\phi}}{\beta}\right)^{-\alpha}, \qquad t>0\,.$$

The reliability function has the following form:

$$R(t|\alpha,\beta,\phi) \quad =\left(1+\frac{t^{\phi}}{\beta}\right)^{-\alpha}, \qquad t>0\,.$$

and the hazard rate function is

$$h(t)=\frac{\alpha\phi\,t^{\phi-1}}{\beta+t^{\phi}}, \qquad t>0\,.$$

The hazard function is considered in the choice of the distribution for survival or reliability data. The shape of the hazard function reflects type of risk to which the population under study is exposed as a function of time.

As Abd EL Wahab (2001)[12] indicated, the Burr type XII distribution {Burr (b,λ)} where $h(t)=\frac{b\lambda t^{b-1}}{1+t^{b}}$,for finite λ and if 0 $<b \leq 1$ the hazard function decreases with increasing t and ultimately approaches zero. For $b>1$ the hazard function, $h(t)$, has

densities of interest in ALT. Non informative priors for the parameters and some usual distributions for life testing (Exponential distribution, Weibull distribution and Inverse Gaussian distribution) are assumed. In (1995), Acher[9] used the same Bayesian methods considering the bivariate exponential distribution.

In section 2, we outline the Generalized Burr lifetime distribution. In section 3, we get the posterior mean and posterior variance of the parameters using Lindley's approximation and depending on a non-informative Jeffreeys' prior density for the parameters.

2- Generalized Burr lifetime distribution

One method of constructing a new distribution is to use the known parametric form of a distribution and allow one (or more) of the parameters to vary according to a special probability law. The new distribution is called a Mixture of distribution. This theory has usuful applications in industrial reliability and medical survivorship analysis.

If $f(t|\underline{\theta})$ is a probability density function depending on a m dimensional parameter vector $\underline{\theta}$ and if $G(\underline{\theta})$ is called a m-dimensional cumulative distribution function, then :

$f(t) = \int_{\underline{\theta}} f(t|\underline{\theta})g(\underline{\theta})$ is called a mixture density, and $g(\underline{\theta})$ is called the mixing distribution[10].

Dubey (1968)[11] obtained a (generalized Burr) distribution by mixing the Weibull distribution in the form

$$f(t|\phi,\theta) = \phi\theta t^{\phi-1} e^{-\theta t^{\phi}}, \qquad t>0,\ \phi,\theta>0,$$

over the Gamma distribution in the form :

In Bayesian analysis, the unknown parameters are considered as random variables. Expert information about unknown parameters may be available. So, the prior information about the characteristics of products as a result of the properties of materials and the engineering facts can be used in measurable form as a prior distribution. The data from experiments observed under acceleration conditions can be combined with the prior information using Bayes' theorem. The posterior information gained are used to predict the behavior of the products under usual conditions.

In literature, Bayesian approach is applied to ALT. Wiling (1987)[3] stated that some integrations considered in Bayesian analysis, to obtain posterior densities and posterior means, can be obtained only in the case of using exponential families as life time models and their conjugate prior. He introduced a new set of distributions called semi- exponential family because the exponential families are very restrictive. According to this set of distribution, there exist a semi sufficient statistics for the unknown vector of parameters. Viertl (1989)[4] explained a review of different Bayesian methods for statistical inference in ALT. Acher and Louzada-Neto (1992a)[5] developed a Bayesian analysis for accelerated life tests considering Weibull distribution for the life time and a general stress-response model considering one stress variable which includes some usual models. They assumed a non informative Jeffreys prior density for the parameters and they used the Laplace's method to find the marginal posterior densities of interest when the explicit solution of integrals couldn't be found. Acher and Louzada-Neto (1992b)[6] considered the Exponential distribution and applied the same approach used above. Also, the Laplace's method was used to develop a Bayesian analysis for accelerated life tests considering an inverse Gaussian distribution by Acher and Rosales (1992)[7]. They also found the predictive density for a future observation which is used to formulate a quality control procedure in life testing. Acher (1994)[8] explored the use of Laplace's method for approximation of integrals to obtain posterior

BAYESIAN ESTIMATION for The PARAMETERS of GENERALIZED BURR DISTRIBUTION USING ACCELERATED TESTING with TYPE-II CENSORING *

Gamila M. Nasr**

In this paper, we assume that the time to failure has a generalized Burr distribution, whose scale parameter is affected by a certain stress through the inverse power law model. We introduce the Bayesian estimates for the distribution's parameters by assuming non-informative Jeffreys's prior density. To obtain the posterior mean and posterior variance of the parameters, Lindley's approximation (1980) [1] is used. The experiments are subject to type-II censoring data.

1-Introduction

As Nelson (1990) [2] indicates, The main reason for using accelerated life testing (ALT) is the development of modern technology, which leads to increase the reliability of devices. By means of ALT, the items are put on test under environmental conditions (stresses) that are more sever than the normal conditions to obtain early failures of the tested items. By determining the relationship between the stress (es) and the parameter (s) of the lifetime distribution (accelerated model), we can estimate the parameters in the unusual condition, then extrapolate them to estimate the parameters in the usual conditions.

* Part of Ph. D. Thesis Submitted to Faculty of Economics & Political Science, Cairo University. Supervised by: Prof. Dr. Abdalla A. Abdel-Ghaly, and Eman H. El-Khodary Associate Professor of Statistics, Department of Statistics, Faculty of Economics & Political Science, Cairo University.

** Researcher of Statistics, The National Center for Social and Criminological Research, Cairo.

The National Review of Social Sciences

VOLUME 45 NUMBER 1 JANUARY 2008

ISSN 0028-0026

The National Review of Social Sciences

Issued by

The National Center for Social and Criminological Research

Zamalek P. O., Cairo, Egypt
P. C. 11561

Correspondence:
Editor, The National Review of Social Sciences,
The National Center for Social and Criminological Research,
Zamalek P. O., Cairo, Egypt
P. C. 11561

Price and annual subscription
US $ 15 per issue

Issued Three Times Yearly
January - May - September



The National Review of Social Sciences

THE EGYPTIANS: THEIR STEREOTYPES AS DEFINED BY EGYPTIAN CITIZENS
Nahed Saleh

FUTURE ANXIETY OF THE YOUTH ITS MANIFESTATIONS AND REPERCUSSIONS
A Theoretical Vision
Amal Hellal

BEDOUIN THINKING AND ITS RELATION TO DEVELOPMENT IN THE DESERT COMMUNITY
Kamel Abd El Malek

BAYESIAN ESTIMATION FOR THE PARAMETERS OF GENERALIZED BURR DISTRIBUTION USING ACCELERATED TESTING WITH TYPE-II CENSORING
Gamila Nası

HYPOTHETICAL GROUPS: THEIR STRUCTURE AND THE CONTEXT OF SOCIAL INTERACTION
Waleed Rashad

MEDIA, COMMUNICATION, INFORMATION: CELEBRATING 50 YEARS OF THEORIES AND PRACTICES, INTERNATIONAL CONFERENCE, PARIS, UNESCO, 23-25 JULY 2007
Maha El Kordi

GLOBAL POLITICAL ECONOMY IN THE INFORMATION AGE: POWER AND INEQUALITY
Marwa Nazir

Volume 45 Number 1 January 2008

Issued by
The National Center for Social and Criminological Research, Cairo